
المجتمع فى مصر
الإسلامية
من الفتح العربى الى العصر الفاطمى
الجزء الثانى
هويدا عبد العظيم رمضان
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المجتمع في مصر الإسلامية

من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي

المجتمع فى مصر الإسلامية

من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى

الجزء الثانى

بقلم

هويدا عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الباب الثالث

التكوين الاجتماعى للمجتمع المصرى

الفصـل الأول : تعريب المجتمع المصرى

الفصل الثانى : المرأة فى المجتبع المصرى

الفصل الثالث : العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى

الفصل الأول

تعريب المجتمع المصرى

- هجرة القبائل العربية

- الفتح العربي وبداية نزوح القبائل العربية إلى مصر.

- مناطق سكنى القبائل العربية بعد الفتح العربى :

- الفسطاط

- الجيزة

- الاسكندرية

- العوامل التى أدت إلى هجرة القبائل العربية.

- أسباب اختلاط القبائل العربية بالمصريين:

- حركة الارتباع

- رابطة الاسكندرية

- الضيافة

- مطالب الحياة اليومية

- الاعمال التى اشتغل بها العرب فى مصر

- ثورات العرب.

- أسماء القبائل العربية التى هاجرت إلى مصر حسب مناطق سكناها

- انتشار اللغة العربية:

.أسباب انتشار اللغة العربية:

- هجرة القبائل العربية.

- حركة التعريب.

انتشار الاسلام :

عوامل انتشار الاسلام:

- هجرة القبائل العربية.

- الرغبة فى التخلص من دفع الجزية.

- تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة في الوظائف.

الفصل الأول

تعريب المجتمع المصرى

اصطبغ المجتمع المصرى بالصبغة العربية بثلاث طرق رئيسية:

الأولى : هجرة القبائل العربية.

الثانية : انتشار اللغة العربية.

الثالثة : انتشار الاسلام.

اولا: هجرة القبائل العربية:

كان من الطبيعى أن يشجع الفتح العربى لمصر، وتملك العرب زمام السلطة فيها - الكثير من القبائل العربية على الهجرة الى مصر. وليس معنى ذلك أنه لم تكن ثمة هجرات عربية الى مصر قبل حملة عمرو بن العاص، وانما يذكر المؤرخون اخباراًعن هجرة بعض بطون خزاعة فى الجاهلية الى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت كما كان يعيش فى الأسكندرية فى عام ٦١٠م كثير منْ العرب الى جانب غيرهم من الاغريق والقبط واليهود والسوريين.

ويرى «بنللى جوزى» أن الدافع لهجرة العرب الى مصر قبل الفتح العربى هو جفاف أرضهم المستمر وما يتبع ذلك من الضيق والفقر.

وقد كان غنى مصر معروفا للعرب قبل الاسلام عن طريق العلاقات التجارية بينهما، وقد ذكرت فى فصل سابق أن عمرو بن العاص - وهو الذى قاد الحملة لفتح مصر - كان تاجرا فى الجاهلية، وكان يأتى بتجارته الى مصر وهى الأدم والعطر، وهكذا كان التجار العرب على معرفة تامة باحوال

مصر الاقتصادية المزدهرة، لذلك يقول ابن عبد الحكم عن عمرو بن العاص:«كان عمرو قد دخل مصر في الجاهلية، وعرف طرقها، ورأى كثرة ما فيها».

وقد بدأ أول نزوح للقبائل العربية الى مصر مع حملة عمرو بن العاص. فتذكر المصادر العربية أن عمرو عندما فتح مصر كان معه أربعة الاف او ثلاثة الاف وخمسمائة رجل «كلهم من عك» وفي رواية أخرى أن ثلثهم من غافق، وانه فى اثناء توجهه إلى مصر، وبالتحديد عندما وصل إلى جبل الحلال [١]، انضمت اليه قبيلة راشدة وقبائل من لخم.

كما تشير المصادر ايضا الي اسماء لقبائل اخرى اشتركت مع عمرو بن العاص فى الفتح، وخاصة فى فتح قصر بابليون وهم: بنو هَمْدان، وبنو الصدف، وبنو بَلِيّ، فقد قال عمرو بن العاص عنهم اثناء فتح قصر بابليون:

يوم لِهَمْدان ويوم للصَّدِف — والمَنْجَنيق فى بَلِيّ تختلف.

اما عن اماكن سكنى هذه القبائل، فتذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما تم له فتح الاسكندرية نزل موضعَ فسطاطه، واتخذها عاصمة لمصر، وهنا انضمت القبائل العربية بعضها الى بعض، وتنافسوا فى المواضع، فولّى عمرو بن العاص على الخطط معاوية بن حديج التجيبى، وشريك بن سُمَيّ الغطيفى، وعمرو بن قحزم الخولانى، وحَيْويل بن ناشرة المعافرى، فقاموا بالفصل بين القبائل، وانزلوهم فى الخطط، وكان ذلك فى عام ٢١هـ / ٦٤١م.

كما اختط العرب مدينة الجيزة على غرار خطط الفسطاط وقد ذكرت المصادر العربية فى سبب بناء الجيزة أن عمرا بن العاص عندما رجع مَن الاسكندرية، ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية. ولما استقر فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة

---

(١) جبل الحلال: بالفتح، وهو جبل فى طريق مصر من الشام، وكان من منازل بنى راشدة.

ان ينضموا إليه، فرفضوا ان يتركوا اماكنهم، فكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب اليه عمر: « كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك؟ لم يكن ينبغى لك ان ترضى لأحد من أصحابك ان يكون بينهم وبينك بحر، لاتدرى مايفجؤهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ماتكره فاجمعهم اليك، فإن أبوا عليك، وأعجبهم موضعهم، فابن عليهم من فئ المسلمين حصناً». فجمعهم عمرو، وأخبرهم بكتاب عمربن الخطاب، فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن، فبنى فى عام ٢١هـ/ ٦٤١م، وفرغ من بنائه عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م، وأمرهم عمرو بالخطط بها.

أما الأسكندرية، فيذكر ابن عبد الحكم انه لم يكن بها خطط وانما كانت اخائذ، من أخذ منزلا، نزل فيه هو وبنو أبيه.

وكانت سكنى القبائل في الأسكندرية فى هذه الفترة المبكرة للفتح - مرتبطة برباطهم. وقدذكرت في فصل سابق أن عمرا بن العاص اقطع من اصحابه لربط الأسكندرية ربع الناس، وربعا فى السواحل، والنصف كانوا مقيمين معه، وكان مدة رباطهم[2] بالاسكندرية ستة أشهر فى الصيف، يعقبهم شاتية ستة أشهر وهكذا.

وعن طريق سكنى الأسكندرية يقول ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب : «إن المسلمين لما سكنوها فى رباطهم، ثم قفلوا [3] ثم غزوا، إبتدروا[4] فكان الرجل يأتى المنزل الذى كان فيه صاحبه قبل ذلك، فيبتدر، فيسكنه. فلما غزوا، قال عمرو: إنى اخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها[5] فلما كان عند الكريون [6] قال لهم: سيروا على بركة الله، فمن ركز منكم رمحه فى

---

(٢) الرباط: المكان الذى يرابط فيه الجيش. والجمع ربط.

(٣) قفل : رجع.

(٤) إبتدر القوم أمرا: بادر بعضهم بعضا اليه ايهم يسبق اليه .

(٥) تعاور واعتور القوم الشئ : تعاطوه وتداولوه.

(٦) الكريون: بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الياء المثناة من تحتها، وواو ساكنة، ثم نون.اسم لموضع قرب الأسكندرية والكريون بمركز كفر الدوار - مديرية البحيرة.

دارفهي له، ولبني أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها، ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار، فكانت الدار تكون لقبيلتين، ثلاث، وكانوا يسكنونها. حتى اذا قفلوا سكنها الروم، وعليهم مَرَمَّتها (٧). فكان يزيد بن أبي حُبيب يقول: لا يحل من كرائها شئ ولا بيعها، ولايورث، ولا يورث منها شئ، إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم» .

وكان هذا هو أول استيطان للقبائل العربية في مصر بعد الفتح العربي، ومنذ ذلك التاريخ بدأت القبائل العربية في الوفود إلى مصر بشكل متزايد وثابت، بعد أن ظهرت إلى جانب العامل الاقتصادي عوامل أخرى سياسية واقتصادية منها:

أولا : تشجيع الخلفاء للقبائل العربية على الوفود إلى مصر لتعزيز الجند واستيطان البلاد.

ثانيا : أن أغلب الولاة الذين حكموا مصر في فجر الاسلام كانوا يصحبون معهم جيوشا عربية حتى نهاية العهد الأموي. وقد سبق لنا ذكر أعداد الجيوش التي جاءت إلى مصر في الفصل الخاص بالنظام الحربي .

ثالثا: النفي السياسي. فقد نفى معاوية بن ابى سفيان جماعة من الأزد إلى مصر. كانوا قد خرجوا على زياد بن أمية بالبصرة، فعاقبهم معاوية بتغريبهم عن أوطانهم، وكان ذلك في عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م وأمير مصر في ذلك الوقت مسلمة بن مخلد (٤٧- ٦٢هـ /٦٦٧- ٦٨١م) وكان عددهم حوالى ٢٣٠، فانزلوا بالظاهر وهو أحد خطط مصر بالفسطاط.

• (٧) مرمة البناء أو الأمر : أصلحه.

رابعا: تحقيق توازن قَبَلى. فقد كانت هجرة قيس إلى مصر لتحقيق توازن قبلى بين عنصرى سبأ وقيس أو قحطان وعدنان، فيرى الدكتور عبد المجيد عابدين أن تشجيع القيسية لا ستيطان مصر كان للحد من سيطرة العنصر السبئي الذى كان مايزال يمثل الغالبية من عرب مصر، فقد كان إحداث التكافؤ بين العنصرين فى الحوف الشرقى يخفف من الأخطار التى قد تنجم من تفرد أعقاب سبأ واستئثارهم بالنفوذ.

خامسا: نقل قبائل بَلِيّ التى تؤلف ثلث قضاعة فى بلاد الشام إلى مصر، وكان ذلك بأمر الخليفة عمر بن الخطاب. ولست أدرى سببا لهذا النقل، هل هو سبب سياسي للتخلص منهم لأنهم يكونون قوة فى بلاد الشام، أو سبب اجتماعي لتحقيق توازن قبلى فى مصر . ويرى محمد عزة دروزة أن ارسال هذه القبيلة إلى مصر كان بقصد الاستيطان.

سادسا: الهجرات الجماعية للقبائل العربية من أجل الانضمام لذويهم فى مصر، فيقول ابن عبد الحكم : « وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل، فلما مُدّت الأمْداد فى زمن عثمان بن عفان وما بعد ذلك، وكثر الناس، وَسَّع كل قوم لبنى أبيهم، حتى كثر البنيان والتأم».

سابعا : ومن الأسباب أيضا رغبة الوالي فى تواجد عصبة له فى مصر. فتذكر المصادر العربية أن عبد العزيز بن مروان عندما ولي مصر من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم (٦٥هـ/ ٦٨٤م) قال لأبيه: «ياأمير المؤمنين، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى»؟

وقد كان المرافقون للوالي ينضمون إلى قبائلهم فى مصر، ويستمرون مقيمين بها، بعد انتهاء ولاية الوالى، وانصرافه عن مصر.

اختلاط القبائل العربية بالمصريين:

نلاحظ أن العرب الأوائل الذين استقروا في مصر كانوا يقيمون في الفسطاط أو الجيزة أو الاسكندرية، فيقول المقريزي:« فانظر، أعزك الله ـ كيف كانت اقامة الصحابة؟ إنما هي بالفسطاط والاسكندرية، وإنه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى، وإن النصارى كانوا متمكنين من القرى، والمسلمون بها قليل، وإنهم لم ينتشروا بالنواحي إلا بعد عصر الصحابة والتابعين» .

لذا لم يختلط العرب بالمصريين في البداية، ولم يكن لهم تأثير يذكر على القبط سواء أكان هذا التأثير من ناحية انتشار الدين الاسلامي أم اللغة العربية، كما أن اختلاط القبائل العربية بأهل مصر عن طريق التزاوج أو الولاء كان نادرا في أول الأمر.

على أنه لم يلبث أن جدت الأسباب التي دفعت إلى الاختلاط بالمصريين، وتتمثل في الآتي :

الارتباع ـ رابطة الاسكندرية ـ الضيافة ـ مطالب الحياة اليومية.

أولا ـ الارتباع:

ويقصد بالارتباع نزول القبائل العربية في الريف في شهور الربيع بقصد المرعى. وكان الارتباع يتم وفقا لخطط مرسوم وضع له منذ اللحظة الأولى للفتح. وفي ذلك نشير إلى الخطبة التي ألقاها عمرو بن العاصْ على جنوده، بمناسبة بدء موسم الارتباع، وفيها يقول : « يامعشر الناس، إنه قد تدلّت الجوزاء، ونَكَت الشِعْرىَ، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودَرَجَت السخائل. وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر، َفحَيِّ لكم، على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه

وخرافه وصيده، وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها جُنّتكم(٨) من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم. واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا .... حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله (ص) يقول : إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لكم منهم صهرا وذمة. فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه، واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علة حطَطته من فريضته قدْرَ ذلك. واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم، وتشوق قلوبهم اليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية. وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله (ص) يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة. فاحمدوا الله معشر الناس على ماأولاكم، فتمتعوا في ريفكم ماطاب لكم، فاذا يبس العود، وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن، وَصوّح البقْل(٩)، وانقطع الورد من الشجر، فحي على فسطاطكم على بركة الله، ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله، إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته. أقول قولي هذا واستحفظ الله عليكم» .

ويظهر من هذه الخطبة النقاط الآتية:

أولا : أن موسم الارتباع كان يبدأ في أخريات الشتاء وقد «تدلت الجوزاء، وذكت الشعرى» ويستمر حوالى ثلاثة أشهر، ثم ينتهي في أوائل الصيف.

(٨) الجُنَة جمع جُنّة بمعنى السترة.
(٩) صَوّحَ البقل : جفّت.

ثانيا: أن من أهداف الارتباع الهامة كان إطعام الخيل وتقويتها، على اعتبار أنها تشكل جانبا أساسيا من قوة العرب العسكرية في ذلك الوقت.

ثالثا: وفيها يوصي عمرو جنده بأن يحسنوا معاملة القبط سكان البلاد الأصليين، عندما يتصلون بهم في خلال الارتباع، ويؤكد وصيته هذه بأحاديث منسوبة إلى النبي(ص) تحض على معاملة المصريين بالحسنى. ولما كان عمرو على علم بالوسائل التي يلجأ إليها الغزاة عادة في الاعتداء على أهالي البلادالمفتوحة، فإنه يأمر جنده هنا أمرا صريحا بأن يكفوا أيديهم عن أموال المصريين وأبدانهم. وأن يعفوا فروجهم عن أعراضهم، وأن يغضوا أبصارهم عن نسائهم.

رابعا: وفيها ينبه جنده إلى دقة موقفهم في مصر نتيجة لموقع مصر الحساس من جهة، وثروتها الواسعة من جهة أخرى، وما يتطلبه ذلك من يقظة دائمة واستعداد كبير.

خامسا: كان الارتباع نوعا من العطلة والاستجمام والراحة من مشاق القتال، فينالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده، مع تجنب الترف في المأكل والملبس، فإنه يفسد الدين ويقصر الهمم.

سادسا: ولما كان الجنود لا يصحبون نساءهم معهم في هذه الرحلة، فقد حرص عمرو على أن يذكرهم بأن يأخذوا بعض الهدايا معهم إلى أسرهم عند عودتهم.

وعن مناطق الارتباع يقول عبد الله خورشيد:

«وبالرغم من أنه كان يترك للقبيلة اختيار الجهة التي تفضل الارتباع بها في الدلتا أو الصعيد، فإن الوالي كان يصدر أمرا كتابيا يحدد فيه القرية التي تذهب إليها (القبيلة)، وكميات اللبن التي يسمح لها بالحصول عليها من المصريين.

وبالنظر في الجهات التي كانت القبائل تختارها للارتباع نستطيع أن نلحظ في وضوح كاف أن هذه الحركة كانت تتركز في كور أو مناطق بعينها هي:

منف[10]، ووسيم [11] لخصبهما، إلى جانب قربهما من الفسطاط ومنوف[12] لخصبها كذلك.كما كانت تتركز في الشمال الشرقي أي في تلك الكور التي أصبحت فيما بعد تؤلف مايعرف باسم (الحوف الشرقي) وهي: عين شمس [13]، أتْريب [14]، بَنَا [15]، بَسْطَه [16] فربيط طرابية، صان [17]،إبْلِيل [18]، تنو، تمي.

---

(١٠) منف: بالفتح ثم السكون وفاء. اسم مدينة فرعون، وهي من المدن القديمة في أول الصعيد على غربي النيل وبينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ. واسمها القديم مافه أي مدينة الثلاثين، وبالرومية منفيس.

(١١) وسيم : بالفتح ثم الكسر وميم. كورة في جنوبي مصر. قال البكري: تخرج من الفسطاط وتصير إلى الجيزة، وهي في الضفة الغربية من النيل. ويقرب الفسطاط على رأس ميل منها قرية يقال لها وسيم. ذكرها محمد رمزي في قاموسه باسم أُوْسيم، وقال إن اسمها العربي القديم كان وسيم . وكانت اوسيم قاعدة قسم أول جيزة، ويعرف بقسم اوسيم لوجود مقره بها، ثم نقل منها ديوان المركز والمصالح الأخرى إلى امبابة لوقوعها على السكة الحديدية في سنة ١٨٨٤ ، على ان يبقى باسم مركز اوسيم وفي سنة ١٨٩٦صدر قرار بتسميته مركز امبابة لوجوده بها.

(١٢) منوف : من قرى مصر القديمة . بأسفل الأرض (الوجه البحري) من بطن الريف، ويقال لكورتها المنوفية . ومنوف الآن قاعدة مركز منوف ـ مديرية المنوفية.

(١٣) عين شمس : كانت من أشهر المدن المصرية القديمة، موقعها في الشمال الشرقي للقاهرة، بأراضي ناحية المطرية، من ضواحي القاهرة، وعلى بعد عشرة كيلومترات منها. واسمها المصري القديم « اتوم » او رع » ومعناها الشمس . والعبري « أون » والرومي « هليوبوليس » أي مدينة الشمس . وقد اندثرت هذه المدينة، ومحلها اليوم يعرف بتل الحصن، وماجاوره بأرض المطرية حيث توجد إحدى المسلتين اللتين اقامهما الملك سنوسرت الأول المعروف بسيزو ستريس الأول على باب معبد المدينة.

(١٤) اتريب: بالفتح ثم السكون وكسر الراء وباء ساكنة وباء. وهي مدينة مصرية قديمة. وقد بدأ الخراب في مساكن هذه المدينة من القرن السابع الهجري، ثم اندثرت بعد ذلك. ويعرف محلها اليوم باسم تل اتريب بمركز بنها ـ مديرية القليوبية.

(١٥) بنا : هي من المدن المصرية القديمة. ذكرها محمد رمزي في قاموسه باسم بنا ابوصير بمركز سمنود ـ مديرية الغربية. وتنسب إلى بوصير لأنها تجاورها.

(١٦) بسطة : بالفتح ويقال بسطة بالضم. كورة بأسفل الأرض بمصر .
وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اطلالها الان باسم تل بسطة، وكانت مبانيها تشغل ارض حوض التل رقم ١٢ بأراضي ناحية شرنيك بسطة بمركز الزقازيق بمديرية الشرقية. وهذا الحوض يقع في الجنوب الشرقي لمدينة الزقازيق وعلى بعد كيلو متر واحد منها.

(١٧) صان: من كور اسفل الأرض.وفي العهد العثماني عرفت باسم صان الحجر بسبب مايوجد في اطلالها القديمة من الأحجار الباقية من معبدها المصري القديم . وفي سنة ١٩٣٢ قسمت أراضي صان الحجر هذه إلى ناحيتين تميزت هذه وهي الأصلية منهما بالقبلية بسبب موقعها بالنسبة للأخرى البحرية المستجدة. وصان الحجر بمركز فاقوس ـ مديرية الشرقية.

(١٨) إبليل: بالكسر ثم السكون ولام مكسورة وياء ساكنة ولام اخرى. قرية من قرى مصر بأسفل الأرض . وقد اندثرت هذه المدينة، ومكانها يعرف اليوم بتل بليم المحرفة عن ابليل، ويقال له ايضا تل البطيخ بجزيرة في بحيرة المنزلة شرقي صان الحجر، على بعد ٢١ كيلو مترا، وغربي محطة الكاب الواقعة على السكة الحديدية الموصلة بين الاسماعيلية وبورسعيد بمسافة ١٤ كيلو مترا .

ويلحظ أن هذه الكور تتمتع بالخصب، إلى جانب متاخمتها من الشرق للصحراء، حيث كان يتهيأ للعرب الصيد، وتأنيب خيولهم، وتدريبها، مع الاقامة فى جو قريب إلى جو البادية التى مايزال الحنين الشديد يجذب قلوبهم اليها. أما الاتجاه إلى الشمال فكان محدودا ولا يتجاوز بَنا، وبوصير والْبَدقُون (١٩) وخِرْبِتَا (٢٠) وسَخا (٢١) . والقبائل التى كانت تذهب هناك قليلة.

وكذلك كان الاتجاه إلى الجنوب محدودا، ففى الفيوم كان يرتبع بعض القبائل، واقصى ماوصلوا اليه هو أهْناس (٢٢) والبهنسا والقيس حيث كانت ترتبع قبيلة واحدة.

وهكذا كانت القبائل تقل كلما زاد الاتجاه نحو الشمال أوالجنوب، فى حين تتركز حول الفسطاط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، بحيث يمكن القول بان الارتباع كان يتم فيما يشبه دائرة مركزها الفسطاط . ولا بد أن القبائل كانت تختار أماكن ارتباعها وفقا لا عتبارات معينة، اذ نلحظ مثلا أن فى منف ووسيم القريبتين من العاصمة كانت ترتبع القبائل ذات النفوذ مثل: بلى وتجيب. ومثل ـ بالذات ـ آل عمرو بن العاص، وآل عبد الله بن سعد بن أبى سرح ـ أول أميرين لمصر .

---

(١٩) البدقون: وردت فى معجم البلدان باسم البلقون كورة بمصر وهى من كور الحوف الغربى. .

(٢٠) خربتا: هى من المدن القديمة. وردت فى معجم البلدان خربتا قرية وكورة من كور مصر بالقرب من الاسكندرية. خربتا بمركزكوم حمادة ـ مديرية البحيرة.

(٢١) سخا: كورة بمصر. وقصبتها سخا بأسفل مصر وسخا بمركز كفر الشيخ ـ مديرية الغربية.

٢٢) أهناس: بالفتح . إسم لموضعين بمصر أحدهما اسم كورة فى الصعيد الأدنى يقال لقصبتها: اهناس المدينة، وأضيفت نواحيها إلى كورة البهنسا، وأهناس هذه قديمة ازلية وقد خرب اكثرها وهى على غربى النيل، ليست ببعيدة عن الفسطاط .وقد ذكر محمد رمزى فى قاموسه ان اطلال هذه المدينة لا تزال ظاهرة بالقرب من مساكن القرية الحالية.

والموضع الثانى: أهناس الصغرى وهى قرية كبيرة فى كورة البهنسا ايضا. ويقول محمد رمزى : ولما كانت كلمة الصغرى تحط من شأن هذه القرية غيرت بالخضرا تفاؤلا بلون زرعها.

وكانت العصبية القبلية موضع اعتبار بوجه عام، بحيث كانت القبائل المتقاربة تشترك في مرتبعات واحدة مثل : بَلِيّ ولَخْم، وجُذام، وغِفار، وأسلَم، وآل عمرو،وآل عبد الله بن سعد. وقد يكون للقبيلة أكثر من مرتبع مثل : بلى، وتُجِيب، ولخم، والمَعَافر. ويبدو ان ذلك يرجع إلى كبر حجم هذه القبائل وأمثالها.

وقد كان لحركة الارتباع هذه تاثير كبير في اختلاط القبائل العربية بالمصريين، اذ هيأت للعرب فرصة التعرف على البيئة الجديدة وسكانها، في نفس الوقت الذى هيأت فيه للمصريين أن يتعرفوا إلى هؤلاء الوافدين الجدد.

ومن هنا يمكن اعتبار الارتباع الخطوة الأولى، أو حجر الاساس في عملية تعريب مصر. ولا أدل على ذلك من أن قبائل بعينها انتهى بها الامر إلى اتخاذ مرتبعاتها منازل، والاقامة فيها بصفة دائمة بعد أن تركت الفسطاط نهائيا، مثل: مدلج ومن حالفهم من حِمْير ونَبْحان الذين استقروا في خِرْبتا. ومثل : خُشَيْن وطائفة من لخم وجذام نزلوا اكناف حسان، وإبليل، وطرابية من الحوف الشرقي، حيث انتهى بهم الأمر إلى الذوبان التام في سكان تلك المناطق الأصليين.

ولما كانت حركة الارتباع قد تركزت حول الفسطاط في الجيزة ووسط الدلتا وشرقها، فكان من الطبيعي أن تكون هذه المناطق اسرع تعربا من مناطق اخرى مثل: شمال الدلتا وغربها والصعيد.

وقد كان يسود القرية المصرية طوال فترة الارتباع، التي تمتد بامتداد وجود البرسيم في الحقول . وقد تأخذ جزءا غير قصير من الصيف ـ جو غير عادي من النشاط والجلبة والبهجة، تتخلله المبادلات الاقتصادية السانجة بين البدو وأهل القرى، وتمارس فيه العلاقات الاجتماعية الانسانية المألوفة من تزاور، وتهاد، ومجاملة. وقد يحدث أن يتزوج أحد العرب من

مـصـرية، في حين لايحـدث العكس، « لأن العـربي يفـضل أن يأكل ابنتـه التمساح، ولا يأخذها الفلاح!».

ثانيا: رابطة الاسكندرية:

يقصد برابطة الاسكندرية القوات العربية المرابطة فى الأسكندرية. وتعتبر عاملا آخر من عوامل اختلاط العرب بالمصريين، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه القوات لم تكن تتخذ معسكرا خاصا لها كالفسطاط، وانما كانت تقيم طوال فترة الرباط فى مساكن الأهلين العادية، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه.

وهكذا، اذا كانت حركة الارتباع لم تبلغ الأسكندرية، لبعدها من جـهة، ولعدم صلاحيتها للمراعى من جـهة أخرى - فلا شك فى أن مـرابطة هذه الاعداد الهائلة من الجند العرب فيها منذ اللحظات الاولى، واقامتـهم بين الاهالى كان له أثر هام فى تعريب تلك المدينة وغيرها من الثغور مثل: رشيد، واخنا، والبرلس،والأُشْتُوم [٢٣]، ودمياط.

ثالثا: الضيافة:

اما العامل الثالث الذى ادى إلى اختلاط العرب بالمصريين، فهو الشرط الذى ورد فى نص الصلح الذى تم بين العرب والمصريين بعد الفتح من أن «للمسلمين عليهم النُزُل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين، او اكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم».[٢٤]

---

(٢٣) الأشتوم : بالضم ثم السكون، وتاء مثناه مضمومة، والواو ساكنة، وميم. موضع قرب تنيس .

(٢٤) وترى الدكتورة فاطمة مصطفى عامر ان شرط الضيافة كان فى الغالب على اهل القرى دون المدن . ويرجع ذلك - كما تقول - إلى أن الخليفة عمر رضى الله عنه، قد حرم على الجند المسلمين سكنى القرى حتى لا ينشغلوا بالزراعة وامتلاك الاراضى وأمرهم بسكنى المدن حتى يكونوا دائما على أهبة الاستعداد للجهاد والفتح.

وهكذا كان للعرب أفرادا و جماعات الحق في أن ينزلوا ضيوفا على المصريين لمدة أقصاها - نظريا - ثلاثة أيام، يتمتعون في أثنائها بكل مايجب للضيف من حقوق الضيافة . ويقول عبد الله خورشيد: إن هذه المسألة يبدو أنها نظمت بحيث كانت القرية كلها تتحمل نفقات من ينزل عليها من الضيوف العرب . فعند تقدير الخراج المستحق على القرية كان يجتمع عرفاؤها ومازوتها ورؤساء أهلها ويتناظرون، فيخرجون من زمام القرية، الذى سيقدر الخراج على أساسه، عددا من الفدادين، يخصص ريعها للانفاق على المرافق العامة مثل : الكنائس والحمامات والمعديات و- وهو مايهمنا هنا - الضيافة للمسلمين ونزول السلطان .

ويرى عبد الله خورشيد أنه سواء كان العربي ينزل ضيفا على المصرى فى بيته الخاص أو فى المضيفة العامة، فلابد أن هذا الشكل من أشكال الاتصال - وهو الضيافة - كان له أثره فى تقارب العرب والمصريين.

رابعا: مطالب الحياة اليومية:

على هذا النحو، كان العرب يتمركزون في مصر، ويختلطون بالمصريين عند الارتباع، وفي الرباط، وعند الضيافة، ولا شك فى أن ذلك كان يتيح للجانبين فرصا هامة للاحتكاك والاختلاط. وكانت هناك فرص أخرى كثيرة تتعدد وتتجدد بتعدد وتجدد مطالب الحياة اليومية نفسها، فقد اعتمد العرب اعتمادا يكاد يكون كاملا على المصريين في أمور بعينها، كأعمال الديوان، والطب، ومسح الأراضى، وأعمال الزراعة، وبناء البيوت، وبناء السفن، وصناعة الأقمشة وغيرها.

والسؤال الآن : ما هى الأعمال التى كان يقوم بها العرب فى مصر؟

للاجابة على هذا السؤال نلاحظ وجود فترتين متميزتين في تاريخ مصر: الأولى، من الفتح حتى سقوط العرب من الديوان فى عام ٢١٨هـ / ٨٣٢م . والفترة الثانية، ماتلى ذلك .

وفي الفترة الأولى نلاحظ أن عمر بن الخطاب قد حرم على العرب الاشتغال بالزراعة أو امتلاك الأراضي (وقد ذكرنا ذلك في فصل سابق)، وبالتالي فلم يكن العرب يشتغلون في مصر بغير السياسة والحكم والحرب .

على أن هناك حالة استثنائية لذلك هي قبيلة قيس، التي جاءت إلى مصر عام ١٠٩هـ /٧٢٧م بشرط ممارستها لمهنة الزراعة.

وعن سبب مجيء هذه القبيلة إلى مصر يقول الكندي : إنه في ولاية الوليد بن رفاعة على مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م نقلت قيس إلى مصر، وذلك عندما تولى عبيد الله بن الحبحاب الخراج في مصر من قبل هشام بن عبد الملك، فقد قال : « ما أرى لقيس فيها حظا إلا لناس من جَديلة وهم فهم وعَدْوان[٢٥] فكتب إلى هشام: إن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - قد شرف هذا الحي من قيس، ونعشهم ورفع من ذكرهم، وإني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا إلا أبياتا من فهم، وفيها كور وليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معها، ولا يكسر ذلك خراجها، وهي بلبيس، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل.

فكتب اليه هشام: أنت وذلك. فبعث إلى البادية، فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر، ومائة أهل بيت من بني عامر، ومائة أهل بيت من أبناء هوازن، ومائة أهل بيت من بني سليم . فأنزلهم بلبيس، وأمرهم بالزرع، ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها اليهم، فاشتروا إبلا، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم، وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل، ثم أمرهم باشتراء الخيول، فجعل الرجل يشتري المهر، فلا يمكث إلا شهرا حتى يركب، وليس عليهم مؤونة في أعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم.

---

(٢٥) وقد سمي عدوان لأنه قتل أخيه فهم. واسمه الحقيقي الحارث.

فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمَّل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية، فكانوا على مثل ذلك . فأقاموا سنة، فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت. فمات هشام (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) وبلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس . حتى اذا كان فى زمن مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر (١٢٨ - ١٣١هـ/ ٧٤٥ - ٧٤٨م)، مالت إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة الاف أهل بيت، ثم توالدوا، وقدم عليهم من البادية من قدم» .

وهكذا فان العرب فى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ / ٧٢٣- ٧٤٢م)- كما تقول الدكتورة سيدة كاشف - أخذوا يتخلون عن السياسة التى اتبعوها منذ الفتح، وهى سياسة الترفع عن الاختلاط بالأهالى، وعن الاشتغال بالزراعة. وترى أيضا أنه ربما أراد الخليفة من نقل هذه البطون إلى مصر، والسماح لها بالاشتغال بالزراعة، أن يتقوى المسلمون بالعرب ضد الأقباط الذين بدأوا ثوراتهم، أو أن يحل العرب محل من يموت من الأقباط فى هذه الثورات، أو من يهجر أرضه، وذلك حتى لا يصيب الزراعة ضرر.

على كل حال، فلم يلبث أن جاء سقوط العرب من الديوان عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م، وقطع أعطياتهم زمن المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣- ٨٤١م)، فى ولاية كيدر بن نصر بن عبد الله على مصر (٢١٦-٢١٩هـ/ ٨٣١- ٨٣٤م). فلقد كان من نتيجة ذلك أن وجد العرب أنفسهم امام ضرورة احتراف الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن التى كانت حتى ذلك الوقت وقفا على أهالى البلاد .

وبذلك فقد العرب مركزهم السامى فى الدولة الاسلامية، واضطروا إلى الانتشار فى الريف، والاختلاط بالمصريين والتزاوج من بناتهم، والاشتغال بهذه الأعمال التى ترفعوا من قبل عن الاشتغال بها. فيقول المقريزى :« وكان

من خير اراضي مصر، بعد نزول العرب بأريافها، واستيطانهم واهاليهم فيها، واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا، وانقياد جمهور القبط إلى إظهار الاسلام، واختلاط انسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات ......».

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن العرب منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أصبحوا لايتميزون عن أهل البلاد، ودليلها على ذلك شواهد القبور. فقد احتفظ العرب بالانتساب لقبائلهم حوالى قرنين من الزمان، ففي معظم شواهد القبور التي اكتشفت حديثا في مقابر أسوان والفسطاط كان اسم الميت يتبع باسم قبيلته في خلال القرنين الأولين للهجرة، ولكن في خلال القرن الثالث الهجرى نجد أن اسم القبيلة قد حل محلها اسم الجهة أو الاقليم الذى ينتسب اليه المتوفى، فيكتب فلان الكوفي أو المصرى ...الخ.

ثورات العرب:

كان من أثر اشتغال العرب بالزراعة وامتلاك الاراضى، أن أخذوا يدفعون الخراج، وبالتالي أخذوا يتعرضون لنفس المظالم التى كان يتعرض لها الاقباط والمسالمة الذين يدفعون الخراج، من زيادة الخراج عليهم بدون وجه حق. لذلك فقد أخذوا يشاركونهم ثوراتهم .

ففي السنوات الأولى نلاحظ قيام الاقباط وحدهم بهذه الثورات، ثم بعد مرور فترة تبدأ المصادر العربية في ذكر ثورات العرب مع الاقباط، مما يدل على نوع من الاندماج بين العرب والمصريين، وبالتالى تضامنهم ضد أى اعتداء يقع عليهم.

فتذكر المصادر العربية أن اول انتفاض للقبط في مصر كان عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م في ولاية الحر بن يوسف على مصر (١٠٥-١٠٨هـ / ٧٢٣-٧٢٦م). وكان ذلك لأن عبد الله بن الحبحاب صاحب الخراج ارسل إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل قيراط دينارا.

ثم تبدأ المصادر العربية فى ذكر انتفاضات القبط المختلفة على طول السنين، ومنها : انتفاضة القبط عام ١٢١هـ / ٧٣٨م فى ولاية حنظلة بن صفوان الثانية (١١٩-١٢٤هـ/ ٧٣٧- ٧٤١م). ثم فى عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م فى سمنود. وفى عام ١٣٥هـ/ ٧٥٢م بسمنود أيضا فى ولاية أبى عون عبد الملك بن يزيد (١٣٣ - ١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٣م). وفى عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م أيضا خرج القبط بناحية سخا أثناء ولاية يزيد بن حاتم على مصر من قبل المنصور (١٤٤-١٥٢هـ/ ٧٦١-٧٦٩م). وفى عام ١٥٦هـ/٧٧٢م وفى أثناء ولاية موسى بن على بن رباح على مصر (١٥٥- ١٦١هـ / ٧٧١- ٧٧٧م) خرج القبط ببلهيب.

ثم تبدأ المصادر فى ذكر انتفاضات العرب الذين كانوا يشتغلون بالزراعة من القيسية واليمانية، بسبب زيادة الخراج، وفى أحيان كثيرة تشير إلى ثورات قام بها العرب والأقباط معا.

وأول انتفاضات العرب كانت فى عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م فى ولاية موسى بن مصعب على مصر من قبل المهدى (١٦٧-١٦٨هـ / ٧٨٣- ٧٨٤م)، وكان ذلك بسبب تشدده فى استخراج الخراج، كما أنه زاد على كل فدان ضعف مايقبل به، فثارت قيس واليمانية وهم أهل الحوف.

وفى ولاية اسحاق بن سليمان من قبل الرشيد (١٧٧ ـ ١٧٨ هـ/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤م) خرج عليه أهل الحوف، بسبب زيادة الخراج على المزارعين «زيادة أجحفت بهم» ـ على حد تعبير الكندى.

وفى ولاية الليث بن الفضل على مصر من قبل الرشيد (١٨٢ ـ ١٨٧ هـ/ ٧٩٨ ـ ٨٠٢م)، ثار أهل الحوف عام ١٨٦ هـ/ ٨٠٢م، وكان السبب فى ذلك أنه «بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم، فانتقصوا من القصبة أصابع، فتظلم الناس إلى الليث، فلم يسمع منهم. فعسكروا، وساروا إلى الفسطاط».

والغريب أن الليث بن الفضل سافر إلى هارون الرشيد في عام ١٨٧ هـ/ ٨٠٢م، وطلب منه أن يبعث معه بالجيوش، لأنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف إلا بجيش يبعث به معه!

وفي ولاية الحسين بن جميل من قبل الرشيد على مصر (١٩٠ ـ ١٩٢هـ/ ٨٠٥ ـ ٨٠٧م)، امتنع أهل الحوف من أداء الخراج، فأرسل إليهم الرشيد جيشاً لمحاربتهم بقيادة يحيى بن معاذ. ويذكر الكندي أنه في ولاية مالك بن دلهم من قبل الرشيد (١٩٢ ـ ١٩٣هـ/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨م) ورد كتاب الرشيد على يحيى بن معاذ، يأمره بالخروج إليه، فكتب إلى أهل الأحواف أن «اقدموا حتى أوصيكم مالك بن دلهم، وأدخل فيما بينكم وبينه في أمر خراجكم». فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية، وقد أعد لهم القيود، فأمر بالأبواب، فأخذت، ثم دعا بالحديد فقيدهم، وتوجه بهم إلى مقر الخلافة وذلك عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م.

كما قامت ثورات العرب من أهل الأحواف، خاصة أهل تنو وتنمي، في ولاية حاتم بن هرثمة (١٩٤ ـ ١٩٥ هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٠م).

كذلك قامت ثورة في ولاية العباس بن موسى عام (١٩٨ هـ/ ٨١٣م) على مصر من قبل المأمون. فقد أرسل ابنه عبد الله إلى مصر كخليفه له، وقد «تشدد على أهل مصر»، فثاروا عليه. وقد وقف العرب بجوارهم فيقول أبو المحاسن «ووافقهم جند مصر». فمنع عنهم أعطياتهم، واجتمع الجميع ـ كما يذكر أبو المحاسن ـ وثاروا، ووقفوا جملة واحدة، حتى أخرجوه من البلاد.

وفي ولاية عيسى بن يزيد الجلودي على مصر عام (٢١٢ ـ ٢١٤هـ/ ٨٢٧ ـ ٨٢٩م)، ثار أهل الحوف أيضاً، وذلك بسبب تعسف صالح بن شيرزاد، صاحب الخراج في ذلك الوقت، الذي «ظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم»، مما أدى إلى إندلاع الثورة.

وفي ولاية عيسى بن يزيد الثانية عام (٢١٤ ـ ٢١٥هـ/ ٨٢٩ ـ ٨٣٠م)، قام أهل الحوف بالثورة، مما دفع المأمون إلى إرسال أخيه المعتصم (أبو اسحاق بن هارون) إلى مصر، وبالفعل خرج المعتصم من بغداد في أربعة آلاف من الجنود الترك، فقاتل أهل الحوف من القيسية واليمانية وقتلهم ومهد البلاد.

وفي ولاية عيسى بن منصور عام (٢١٦هـ/ ٨٣١م) ثارت أسفل الأرض ـ كما تقول المصادر العربية ـ «عربها وقبطها»، وكان ذلك بسبب سوء سيرة العمال فيهم، وقد امتدت الحروب بينهم وبين عساكر الفسطاط، إلى أن قدم الخليفة عبد الله المأمون إلى مصر عام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م لاخمادها، فقاتلهم وهزمهم، ثم رحل بعد تسعة وأربعين يوما.

ويذكر المقريزي أنه إذا كانت الثورات التي كان القبط يقومون بها قبل دخول المأمون مصر دليلاً على «ما هم عليه من القوة والكثرة». إلا أنه بعد مجيء المأمون مصر لم تقم لهم قائمة ـ كما يفهم من النص. وفيما يبدو أن ذلك صحيح، لأن المصادر العربية ـ في حدود علمي ـ لم تعد تذكر شيئاً بعد ذلك عن ثورات القبط، وانما اقتصر كلامها على ذكر ثورات العرب وخلافات القبائل العربية مع بعضها مثل:

ثورة أهل الحوف في ولاية موسى بن أبي العباس عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م، وثورة أهل الحوف أيضاً، وأهل الجيزة في ولاية مزاحم بن خاقان في عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م.

توزيعات القبائل العربية في مصر

بعد أن أصبحت القبائل العربية جزءاً من نسيج مصر الإجتماعي، فقد يبدو من الضروري هنا أن نقدم دراسة لهذه القبائل وتوزيعاتها في مصر حسب المناطق التي نزلت فيها.

أولاً ـ القبائل التي سكنت الفسطاط:

وتنقسم إلى قحطانية وعدنانية، ثم تجمعات قبلية منهما.

أما القحطانية فقد توزعت على الخطط على النحو الآتي:ـ

(أ) خططُ القبائل القحطانية من الهميسع بن حمير:

١ ـ خطط حَضْرَمَوت: وهم بنو حَضْرَموت بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن حمير.

٢ ـ خطط الصدِف: وهم بنو مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير من قبائل اليمن. وهم من أولاد حضرموت. وقد سمي الصدِف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم.

٣ ـ خطة رُعَيْن: وهم بنو رعين بن زيد بن سهل بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَد.

٤ ـ خطة بني الكُلاع: وهو الكلاع بن شَرَحْبيل بن سعد بن حِمْيَر.

٥ ـ خطة يَحْصُب: وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير.

٦ ـ خطة سيبان: قبيلة من الهميسع، اختطوا بمصر، وكان لهم مسجد باسمهم في الفسطاط.

٧ ـ خطة بنو الرجبة: وهم بنو الرجبة بن زرعة بن كعب. قبيلة من الهميسع، اختطوا بالفسطاط.

٨ ـ خطة القبض: وهم بنو القبض بن مَرْثد. ويرى عبد الله خورشيد أن بني القبض ربما كانوا بَطْنًا من الرعين من الهميسع بن حمير.

(ب) خطط القبائل القحطانية من قضاعة بن مالك بن حمير:

× بنو مَهْرَة: وهم بنو مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن إلْحَاف بن قُضاعة بن مالك بن حمير، من قبائل اليمن.

(جـ) خطط القبائل القحطانية من عريب من كهلان:

١ ـ بنو كِنْدة: قبيلة من عدى من مرة من عريب من كهلان. وكِنْدة: بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر. وسمى كِنْدة لأنه كند اباه أى كفر نعمته. وقد شهدت فتح مصر.

٢ ـ بنو تجيب: وهم بنو عَدِيّ وسعد ابنى الأشرَس بن شبيب بن السكَن بن الأشرس بن كنده. وتجيب اسم أمهما، وقد عرفت القبيلة بها.

٣ ـ خطط خَوْلاَن: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ولام الف ثم النون، وهم: بنو خَوْلاَن بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب.

٤ ـ خطط مَذْحج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة ثم جيم. وهم بنو مالك بن مُرّة بن أدَد بن زيد بن كهلان بن عبد الله.

٥ ـ بنو الأشْعريين: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة. وهم فرع من عريب من القحطانية. وهم بنو الأشعر بن أد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان. وقيل سمى الأشعر لأن امه ولدته وهو أشعر. وقد شهدوا مصر، وكانت خطتهم مع المعافر.

٦ ـ بنو سعد: وهم بطن من جذام من عدى من مرة من عريب، وقد شهدت فتح مصر، واختطت بها.

٧ ـ خطة بنى وائل: وهم بطن من جذام من عدى من مرة من عريب. وهو وائل بن زيد مناة بن أفْصى بن إياس بن حَرَام بن جذام بن عدى.

٨ ـ خطة المعافر: وهم من قبائل مالك بن مرة من عريب. وهم بنو المعافر ابن يَعْفُر بن مُرّة بن أدد.

٩ ـ بنو لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم فى الآخر. وهى ثلاث:

الأولى: بنو لخم بن عَدِىّ بن مُرّة بن أدَدَ ومن خالطهم من جذام.

الثانية: بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن لخم.

الثالثة: بنو راشدة بن أذبّ بن جَزِيلة بن لخم.

وقد ذكرت سابقاً أن بني راشدة من القبائل التي انضمت إلى عمرو بن العاص عندما مر بجبل الحلال.

(د) خطط القبائل القحطانية من الأَزْد من مالك من كهلان:

١ ـ خطط غافق: من قبائل الأَزْد. وهم بنو غافق بن الحارث بن عَكّ بن عُدْثان بن عبد الله بن الأَزْد.

٢ ـ بنو غنث: من قبائل الأزد.

٣ ـ بنو شبابة: من قبائل الأزد.

٤ ـ بنو خثيم: من قبائل الأزد.

٥ ـ بنو مازن: من قبائل الأزد.

× خطة سبأ: وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سبأ.

هذا بالنسبة للقبائل القحطانية، أما بالنسبة للقبائل العدنانية فقد توزعت على الخطط على النحو التالي:

(أ) خطط القبائل العدنانية من خندف من مضر:

١ ـ بنو فهر: بطن من كنانة من بني مدركة من خندف، وهو فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. وقد اختطوا بالفسطاط منذ الفتح العربي.

٢ ـ بنو جُمَح: من قريش بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص من قريش. وهم أبناء عم بنى سهم، وقد أمر عمرو بن العاص أن تكون خطتهم بالفسطاط بجوار داره.

٣ ـ بنو سهم: من قريش بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف، وهم ولد عمرو بن العاص بن وائل. وكانوا بفسطاط مصر، وفِرَق منهم بالصعيد. وكانت دور بني سهم حول جامع عمرو بن العاص من الفسطاط.

(ب) خطط القبائل العدنانية من ربيعة:

× عنزة: بطن من ربيعة، وهم بنو عنزة بن أسد ربيعة. ويقول عنها عبد الله خورشيد: إن عنزه يبدو انها جاءت مع جيش الفتح، فابن عبد الحكم يذكر أن لها بمصر دورا مجتمعة نحواً من عشر، وفي هذا ما يدل على كثرتها.

وبالنسبة للتجمعات القبلية من القبائل العدنانية والقحطانية، فقد توزعت على النحو الآتي:

١ ـ أهل الراية: وهم جماعة من قريش [٢٦]، والانصار [٢٧]، وخُزَاعة [٢٨] وأسلَم[٢٩]، وغفار[٣٠]، ومُزَيْنَة [٣١]وأشْجَع [٣٢]. وجُهَيْنَة [٣٣]،

---

(٢٦) قريش: من القبائل العدنانية، وهم ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

(٢٧) الانصار: من القبائل القحطانية، وهم من قبائل الأوس والخزرج من قبائل الأزد من مالك من كهلان.

(٢٨) خُزَاعة: بضم الخاء وفتح الزاء المعجمتين وألف ثم عين مهملة وهاء في الآخر. من القبائل القحطانية، وهم قبيلة من الأزد من مالك من كهلان.

(٢٩) أسلَم: ولم تذكر المصادر العربية هل هم من بني اسلم: بطن من خزاعة من القحطانية، وهم بنو أسلم ابن قصي بن حارثة بن عمرو مزيقياء. أم هو بنو اسلم: بطن من بني قمعة من العدنانية، وهم بنو أسلم بن عامر بن قمعة. أم هو بنو أسلُم بضم اللام: بطن من قضاعة من القحطانية وهم بنو اسلم بن الحارث بن قضاعة.

ويرجح عبد الله خورشيد أن بني أسلم المذكورة هنه هي اسلم خزاعة القحطانية وهم من الأزد من مالك من كهلان.

(٣٠) غفار: من القبائل العدنانية، وهم بطن من كنانة من بني مدركة من خندف من مضر. بطن من جاسم من العماليق. وهم: بنو غفار بن جاسم بن عمليق وكانت منازلهم بنجد.

(٣١) مُزَيَّنة: من القبائل العدنانية، وهم بطن من طابخة من خندف من مضر. وهم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخة. ومزينة امهما عُرفوا بها.

(٣٢) أشْجَع: من القبائل العدنانية، وهم من بنو سعد فرع من قبيلة قيس من مضر، وهم: حيٌ من غطفان، غلب عليهم إسم ابيهم فقيل لهم اشجع. وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان. وكانوا عرب المدينة النبوية.

(٣٣) جُهَيْنَة: بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء المثناة التحتية وفتح النون وهاء في الآخر. من القبائل القحطانية، وهم قبيلة من أسلم من قضاعة من مالك من حمير. وهم بنو جهينة بن يزيد بن ليث بن سود بن سلم بن الحافي من قضاعة.

وثَقِيف [٣٤]، وبَوْس [٣٥]، وعَبْس بن بغيض [٣٦]، وجُرَش بن بني كنانة [٣٧]، وليث بن بكر [٣٨].

لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان، فجعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها إلى أحد، وقال: يكون وقوفكم تحتها. فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها، فعُرفوا بأهل الراية، وانفردوا بخطة وحدهم، وخطتهم من أعظم الخطط وأوسعها.

٢ ـ **بنو اللفيف:** وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الروم حين بلغ عمرا قدومهم الأسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد استكثرهم: إنكم لكما قال الله (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) فسموا اللفيف من يومئذ. وقد كانوا مجتمعين في المنزل، متفرقين في الديوان، اذا دُعي كل بطن منهم انضم إلى بني ابيه. وكان عامتهم من الأزْد [٣٩]، ومن الحجر [٤٠]ومن

---

(٣٤) ثَقِيف: من القبائل العدنانية، بطن من هوازن من بني خصفة من قيس من مضر، وقد اشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم: ثقيف. واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن .

(٣٥) بَوْس: لم تذكر المصادر العربية هل هم من بني بَوْس: بطن من شنوءة، من الأزد من القحطانية وهم: بنو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر وهو شنوءة. أم هم بنو دوس: بطن من بني مهدي من جذام من القحطانية. وقد صنفهم عبد الله خورشيد من ضمن قبيلة الازد من مالك القحطانية.

(٣٦) عَبْس بن بغيض: من القبائل العدنانية، من بني سعد من قيس من مضر، وهم بطن من غطفان. وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان.

(٣٧) جُرَش: يقول عبد الله خورشيد: لا نعرف عن هذا البطن سوى ما ذكره ابن دقماق من أنه من كنانة من أهل الراية (وهم من كنانة من بني مدركة من خندف من مضر العدنانية).

(٣٨) ليث بن بكر: من القبائل العدنانية، وهم بطن من بكر من كنانة من بني مدركة من خندف من مضر.

(٣٩) الأزْد: بفتح الهمزة وسكون الزاي ودال مهملة في الاخر. من القبائل القحطانية، وهم حي من كهلان من القحطانية. وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك زيد بن كهلان.

(٤٠) الحجر: من القبائل القحطانية (من الأزد من مالك من كهلان). بطن من لخم من القحطانية وهم بنو حجر بن جزيلة بن لخم.

غـســان (٤١)، ومن شـــجــاعــة (٤٢)، والتف بهم نفـر جـذام (٤٣)، ولخم (٤٤)، والوحاف(٤٥)، وتنوخ (٤٦) من قضاعة.

٢ ـ **خطط الحمروات:** وهى ثلاث، سميت بذلك لنزول الروم بها وهى:

الأولى: الحمراء الدنيا: وبها خطة بَلِىٍّ، وهم: بنو بلى بن عمرو بن إلحاف ابن قضاعة (من القبائل القحطانية) إلا ما كان منهم فى أهل الراية. وخطة ثراد من الأزد (٤٧). وخطة فــهم. وهم: بنو فــهم بن عــمــرو بن قــيس بن عيّلان(٤٨). وخطة بنى بحر بن سَوَادة من الأَزْد (٤٩).

الثـانيـة: الحـمـراء الوسطى، وبهـا خطة بنى نبيـه، وهم قـوم من الروم حضـروا الفتح. وخطة هذيل: وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَة بن إلْيَاس بن مـضـر (من القبائل العدنانية). وخطة بنى سَلاَمَان من الأَزْد (٥٠).

---

(٤١) غسان: من القبائل القحطانية، وهم حى من الأزد (من مالك من كهلان).

(٤٢) شجاعة: من القبائل القحطانية. ويقول عبد الله خورشيد: وقد يفهم من سياق كلام ابن دقماق أنها من الأزد.

(٤٣) جذام: من القبائل القحطانية. من عدى من مرة من عريب من كهلان. وهم: بنو جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. ويقول الهمدانى: إن جذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا فى الفتح مع عمرو بن العاص. وهم: بنو زيد بن حرام بن جذام.

(٤٤) لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم فى الآخر. من القبائل القحطانية. من عدى من مرة من عريب من كهلان. وهم بنو لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أُدَد بن زيد.

(٤٥) الوحاف: من القبائل القحطانية. من قبائل الهميسع بن حمير.

(٤٦) تنوخ: يقول القلقشندى: وهم من قضاعة. وقال آخر: وهم حىٌّ من اليمن. يعنى من القحطانية. ويقول عبد الله خورشيد: وهم من القبائل القحطانية. من قبائل عمران من قضاعة من مالك من حمير.

(٤٧) ثراد: من القبائل القحطانية. بطن من الأزد من مالك من كهلان.

(٤٨) فهم: من القبائل العدنانية. من بنى جديلة من قيس من مضر.

(٤٩) بنو بحر: من القبائل القحطانية. بطن من الأزد من مالك من كهلان .

(٥٠) سلامان: من القبائل القحطانية بطن من الأزد من مالك من كهلان.

الثالثة: الحمراء القصوى: وهى خطة بنى الأزرق من الروم، وحضر الفتح منهم اربعمائة رجل. وخطة بنى يَشْكُر بن جَزِيلة من لَخْم [٥١]. وإليهم ينسب جبل يشكر الذى بنى عليه جامع أحمد بن طولون.

٤ ـ خطة أهل الظاهر: وهم جماعة من القبائل قفلوا من الاسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكموا إلى معاوية بن حديج الذى جعله عمرو على الخطط فقال لهم: إنى أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل. فسميت منازلهم الظاهر.

٥ ـ خطة الفارسيين: وهم بقايا جند بَاذان، عامل كسرى ملك الفرس على اليمن قبل الإسلام، اسلموا بالشام، ورغبوا فى الجهاد، وقد حضروا مع عمرو بن العاص إلى مصر واختطوا بها.

ثانياً ـ القبائل التى سكنت الجيزة:

١ ـ خطط أصبح: من القبائل القحطانية، من الهميسع بن حمير، وهى من القبائل الذين كرهوا أن يبنى الحصن فيهم.

٢ ـ خطط يافع بن الحارث: من القبائل القحطانية، بطن من رعين من الهميسع بن حمير. ويرى عبد الله خورشيد أن الاسم الصحيح لهذه القبيلة هو يافع، وليس نافع كما يقول ابن دقماق. على أية حال فإن هذه القبيلة كانت خططهم فى وسط الجيزة، وقد بنى الحصن فى خططهم. ويقال إن طائفة منهم قد خرجت عن القبيلة بسبب عدم رضاها على الحصن.

٣ ـ خطط هَمْدان: بفتح الهاء وسكون الميم وألف ثم نون. من القبائل القحطانية، من مالك من كهلان. ومن بطونها التى اختطت فى الجيزة:حاشد

---

(٥١) يشكر: من القبائل القحطانية، بطن من لخم من عدى من مرة من عريب من كهلان.

وبكيل ابنا جشم بن نوفل بن همدان.وقد اختطت بكيل في جنوبها الشرقي، واختطت حاشدفي شمالها الغربي. ومن بطون بكيل التي اختطت في الجيزة: الحياوية بن بني عامر بن بكيل. وبنو عوف بن أرحب بن بكيل. وقد اختطت كلاهما في قبلي الجيزة.

٤ ـ خطط بني حجر: من القبائل القحطانية، من الأزد من مالك من كهلان. ويقول عبد الله خورشيد: إن بطنا منهم فقط هم: بنو كعب بن مالك بن الحجر هو الذي اختط في الجيزة. وكانت خطتهم فيما بين بكيل ويافع.

ثالثاً ـ القبائل التي سكنت الحوف الشرقي (بلبيس):

وقد سكن الحوف الشرقي قبائل من القبائل العدنانية وهم من قيس من مضر، ومن هؤلاء القبائل:

١ ـ بنو عبس: وهم من قبائل بني سعد من قيس. وقد سكنوا الحوف الشرقي منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وقد اشتهروا باقامتهم في بلبيس بالذات. ويرى عبد الله خورشيد أن انتقالهم إلى الحوف ربما كانوا ليعيشوا مع قبائل قيس الأخرى التي هاجرت إلى تلك المنطقة.

٢ ـ بنو سليم: وهم من قبائل بني خصفة من قيس. وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وقد قدمت مائة أسرة منهم إلى مصر ونزلت بلبيس في هجرة قيس الكبرى إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م في ولاية الوليد بن رفاعة.

٣ ـ قبيلة هَوَازِن: وهم من قبائل بني خصفة من قيس. وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس. قدم منها مائة أسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م ونزلوا بلبيس.

٤ ـ بنو نصر: بطن من هوازن من بني خصفة من قيس. وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. قدم منها مائة أسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/٧٢٧م ونزلوا بلبيس.

٥ ـ بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من بني خصفة من قريش. وهم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. قدم منها مائة اسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م في هجرة قيس إلى مصر.

رابعاً: القبائل التي سكنت الصعيد:

١ ـ بنو هلال: من القبائل العدنانية، وهم من بني عامر بن صعصعة من مجموعة هوازن الكبرى من بني خصفة من قيس من مضر.

وقد كان اول قدومهم إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م في هجرة قيس الكبرى، وقد انتشر بنو هلال في وقت متأخر في الصعيد في بلاد أسوان وما تحتها.

٢ ـ قبائل ربيعة: من القبائل العدنانية، ويقول المقريزي إنهم قدموا إلى مصر في خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م) أعوام بضع وأربعين ومائتين. وعن سبب سكناهم في الصعيد يقول عبد الله خورشيد: إنه لما كانت القبائل العربية القديمة قد اتخذ كل منها لنفسه موطنا، فإن ربيعة لم تجد بدأ من الذهاب إلى أعالي الصعيد، حيث سكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها، وخلعوا اسمهم على القرية الكبيرة الجامعة ـ قرية بني ربيعة ـ الواقعة في اقصى الصعيد بين أسوان وبلاق [٥٢]. على اية حال فإن قبائل ربيعة هي التي اوقفت غارات البجة، التي كانت تشنها على القرى الشرقية، بل إنهم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بالعلاقي، فكثرت أموالهم، وبالتالي اتسعت أحوالهم.

٣ ـ بنو حجر: من القبائل القحطانية، من الأزد من مالك من كهلان. وهم: بنو كعب بن مالك بن حجر، وقد انتقلت هذه القبيلة أو بعضها إلى المنطقة

---

(٥٢) بلاق: بالكسر وأخره قاف. وهي مدينة واقعة في أول بلاد النوبة على الشاطئ الشرقي للنيل جنوبي أسوان ومتصلة بها بطريق البر. وإليها تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين، وبينها وبين أسوان أربعة اميال.

الواقعة فى محافظة المنيا الحالية، وذلك منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى).

٤ ـ بنو راشد: من القبائل القحطانية، بطن من لخم من عدى من مرة من عريب من كهلان. ويقول عنها عبد الله خورشيد: «يبدو أنها كانت كثيرة العدد، إذ كان منها فى مصر عدد كبير من البطون، وكانت تمثل جانبا كبيراً من القسم الذى عاش من لخم بالصعيد، فقد أقامت بطونُها بالبر الشرقى من صعيد مصر، فيما بين مسجد موسى وأسكر من عمل أطفيح».

٥ ـ بنو المغيرة: من القبائل القحطانية، أسرة من العتيك من الأزد من مالك من كهلان. يقول عنها عبد الله خورشيد: «يبدو أنها كانت تقيم فى القرن الثانى بصعيد مصر فى كورة البهنسا (مركز بنى مزار محافظة المنيا)».

خامساً: القبائل التى سكنت الأشمونين:

١ ـ بنو كنانة طلحة: من القبائل العدنانية، بطن من كنانة من بنى مُدْرِكَة من خندف من مضر. وهم من كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر. وقد ذكرهم القضاعى فى خطط مصر وقال: إن منهم أخلاطاً فى بلاد قريش، أى بلاد الأشمونين وما حولها من البهنسا.

٢ ـ بنو زُهْرة: بضم الزاى وسكون الهاء وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر. من القبائل العدنانية، بطن من قريش من كنانة من بنى مُدْرِكَة من خندف من مضر وهم: بنو زُهْرَة بن كلاب بن مرة. وزُهْرَة اسم إمرأة كلاب، نُسب ولده إليها. ويقول عنهم عبد الله خورشيد: إنهم «أقاموا بمصر إقامة فعلية منذ القرن الثانى فى الأقل. والمقريزى يحسبهم ممن كان بالصعيد من قريش، فى حين يحدد الحمدانى مكانهم ببلاد الأشمونين وما حولها من صعيد مصر. ويُفهم من هذا أنهم ذهبوا للإقامة فى بلاد قريش منذ هجرة الأشمونين».

٣ ـ بنو سهم: من القبائل العدنانية، بطن من قريش من كنانة من بني مدركة من خندف من مضر. وقد ذكرت سابقاً انهم ولد عمرو بن العاص، ويرى عبد الله خورشيد انهم اقاموا في منطقة الأشمونين منذ هجرة قريش، رغم أن المقريزي قد ذكرهم ممن كانوا بالصعيد من قريش.

٤ ـ بنو جعفر الطيار بن أبي طالب (٥٣): من القبائل العدنانية، من بني هاشم بطن من قريش من كنانة من بني مدركة من خندف من مضر. ويقول عنهم عبد الله خورشيد: إن المقريزي لا يعطينا فكرة واضحة عن أول اقامتهم بمصر، ولكنه في موضع اخر يذكر أن عدة بطون منهم كانت تنزل بأرض الأشمونين. ويرى عبد الله خورشيد ان الجعافرة عاشوا في مصر منذ القرن الثالث في الاقل، وأنهم هاجروا إلى الاشمونين في هجرة قريش الكبرى (٥٤) إلى تلك المنطقة.

٥ ـ جهينة: من القبائل القحطانية، وقد تم التعريف بها مع أهل الراية. لكن يبدو ـ من كلام المقريزي ـ أنهم انتقلوا بعد ذلك وسكنوا بلاد الاشمونين، وظلوا بها حتى مجيء الفاطميين الذين نقلوهم من بلاد الاشمونين إلى بلاد اخميم.

٦ ـ بنو أمية: من القبائل العدنانية، وهم بطن من قريش من كنانة من بني مُدْرِكَة من خندف من مضر. ويقول عنهم الحمداني: وبالصعيد جماعة من بني امية بناحية تَنْدَة (٥٥) وما حولها من الاشمونين ـ من بني أبان بن عثمان، وبني خالد بن يزيد بن معاوية، وبني مسلمة بن عبد الملك، وبني حبيب بن الوليد بن عبد الملك، ومن بني مروان بن الحكم، وهو المروانية.

---

(٥٣) ويقول القلقشندي: وقد عرف بجعفر الطيار لانه عندما قطعت يداه يوم موته سنة ثمان من الهجرة، فاخبر النبي (ص) أن الله جعل له منهما جناحين يطير بهما في الجنة، ولذلك قيل له :الطيار.

(٥٤) ويرجح عبد الله خورشيد أن تكون هجرة قريش الكبرى إلى بلاد الاشمونين قد تمت فيما بين أواسط القرن الرابع وقت دخول الفاطميين مصر، وأواسط الخامس.

(٥٥) تَنْدَة: الدال مهملة مفتوحة. وهي قرية كبيرة في غربي النيل من الصعيد الادنى، وتَنْدَة بمركز ملوي ـ مديرية أسيوط.

(ثانيا) انتشار اللغة العربية:

رأينا كيف كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للبلاد قبل الفتح العربي لمصر طوال مدة الحكم البيزنطي، وكيف كانت اللغة القبطية هي لغة المصريين. ولم تكن ثمة حاجة بالمصريين لتعلم اللغة اليونانية إلا لمن يريدون تولي الأعمال الإدارية في الحكومة.

وعندما فتح العرب مصر تغير الأمر، ولكن تدريجياً، ففي خلال ثلاثة قرون كانت اللغة القبطية للمصريين قد أفسحت مكانها للغة العربية. فكيف تغير اللسان المصري، الذى لم يتغير طوال العهود السابقة، من القبطية إلى العربية؟ وبمعنى آخر ما هي العوامل التى ادت إلى إنتشار اللغة العربية في مصر، ومن ثم إلى تعريب مصر؟

تُعتبر هجرة القبائل العربية ـ التى مرت بنا في الصفحات السابقة ـ من اهم عوامل انتشار اللغة العربية، ذلك أن احد الفروق الهامة بين هذه القبائل واليونانيين الذين عاشوا في مصر، هو أن هذه القبائل اتت للإستيطان والمعيشة في مصر، فكان عليها ان تنتشر في الريف المصري. اما اليونانيون فقد عاشوا في مصر كطبقة حاكمة، فاقتصر نزولهم على المدن وصبغوها بحضارتهم، ولم يمتد نفوذهم الثقافي في الريف كثيراً، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا في بيئات خاصة، وعاش اليونانيون في مصر، كأنهم جزر يونانية في المحيط المصري الواسع. أما العرب فقد عاشوا وسط المصريين، واختلطوا بهم اختلاطاً كاملاً، وتزوجوا منهم، الأمر الذى أدى ـ بالضرورة ـ إلى إنتقال اللغة العربية إليهم. وبدون هذا التفاعل والإختلاط لا يمكننا أن نفسر ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ كيف ترك الفلاح المصري القديم لغته رغم تمسكه بالقديم وحرصه عليه.

هذا على كل حال، هو العامل الأول في إنتشار اللغة العربية في مصر، أما العامل الثاني، فهو حركة التعريب التى قامت بها الدولة العربية، سواء لتعريب الدواوين أو لتعريب النقود.

وبالنسبة لتعريب الدواوين فى مصر، فقد حدث ذلك فى عام ٨٧هـ/٧٠٥م فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر (٨٦ ـ ٩٠ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م)، الذى نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية. وبغض النظر عن الدافع وراء هذا التعريب ـ وهو ما تناولناه فى كلامنا عن النظام الإدارى، فإن تعريب الدواوين شكل خطراً كبيراً على مناصب الأقباط فى الدولة، دفعهم دفعاً إلى تعلم اللغة العربية، حتى يتسنى لهم الإحتفاظ بوظائفهم، أو تولى الوظائف كما ذكرت سابقاً.

وهكذا أصبحت اللغة العربية، هى اللغة الرسمية للبلاد، بدلاً من اللغة اليونانية التى كانت حتى ذلك الحين هى لغة الدواوين.

ولم تقتصر حركة التعريب على تعريب النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية، وإنما تعددت إلى تعريب النظام الإقتصادى المتمثل فى عملة البلاد، ومن المعروف أن العرب ظلوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر، أى الدراهم والدنانير، حتى تولى عبد الملك بن مروان الخلافة (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م)، فكان أول من ضرب النقود الرسمية عربية مستقلة فى الإسلام، وأوجب التعامل بها، وأبطل إستعمال النقود الرومية والفارسية عام ٧٦ هـ/ ٦٨٦م.(٥٦)

على كل حال، فقد كان بسبب حركة التعريب أن انتقلت ثقافة مصر من الثقافة القبطية واليونانية إلى الثقافة العربية، بكل ما ترتب على ذلك من تغير العقل المصرى بصفاته القديمة القبطية واليونانية، إلى عقل عربى، حتى إذا ما وصلنا إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) رأينا البطرك الملكانى فى مصر سعيد بن بطريق (ت عام ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م) يكتب كتابه فى التاريخ

---

(٥٦) وقد اختلف المؤرخون فى السنة التى ضرب فيها عبد الملك النقود ونقشها، فقيل عام ٧٦هـ/ ٦٩٥م وقيل عام ٧٥ هـ/ ٦٩٤م وقيل عام ٧٤ هـ/ ٦٩٣م وقيل عام ٧٧هـ/٦٩٦م.

باللغة العربية، ويعنونه باسم «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق». كذلك نرى ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين - في صعيد مصر- يؤرخ لبطاركة الكنيسة المصرية باللغة العربية في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ويتضح لنا - كما تقول الدكتورة سيدة كاشف - مما كتبه ساويرس أن اللغة العربية كانت قد أصبحت هي اللغة السائدة في ديار مصر في عصره على المستوى الشعبي والرسمي، حتى إن اللغة القبطية - باعترافه هو نفسه - أصبحت مجهولة من غالبية المصريين، وكذلك الحال بالنسبة للغة اليونانية التي كانت هي اللغة الرسمية منذ عهد البطالمة. لذلك يذكر ساويرس أنه لاقى مشقة كبيرة في ترجمة الوثائق القبطية واليونانية إلى العربية، وأنه استعان ببعض المسيحيين ممن كانوا لهم دراية باللسان القبطي أو اليوناني!

ثالثاً: انتشار الإسلام:

أما بالنسبة لانتشار الإسلام، وهو العامل الثالث في صبغ المجتمع المصري بالصبغة العربية - فمن المحقق أن هجرة القبائل العربية إلى مصر، ونزولها خاصة في الريف المصري، كانت من أهم عوامل انتشار الإسلام في مصر. ومما يؤكد أهمية هذا العامل قول المقريزي:

«ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة، عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب، مولى سلول، قيساً بالحوف الشرقي. فلما كان في المائة الثانية من سني الهجرة، كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها.»

على أنه كان ثمة عوامل أخرى - ذكرتها المصادر العربية - أسهمت في انتشار الإسلام في مصر، خاصة في فترات معينة، تبعاً لسياسة الخلفاء وولاتهم.

ومن هذه العوامل: الرغبة في التخلص من دفع الجزية.

فيذكر ساويرس انه في خلافة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٩م) أعلن والي مصر حفص بن الوليد (١٢٧ ـ ١٢٨هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٥م) إعفاء كل من يسلم من الجزية، فاعتنق نحو أربعة وعشرين ألفا من الأقباط الدين الإسلامي!

كذلك يذكر ساويرس انه عندما قرر الخليفة العباسي الأول أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٤٩ ـ ٧٥٣م) أن يُعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامي ويقيم شعائره، تخلى كثير من المسيحيين ـ أغنياء كانوا أو فقراء ـ عن دينهم، وأعتنقوا الدين الإسلامي بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاة عليهم.

ومن الأمثلة التي يبين فيها ساويرس أيضاً إسلام الكثيرين من الأقباط بسبب الفقر وقلة ما معهم من المال، ما حدث في خلافة المنتصر العباسي (٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ/ ٨٦١ ـ ٨٦٢م) حينما ولي خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبر، إذ فرض هذا الوالي ضرائب باهظة على الكنيسة وعلى الأقباط عامة، مما دفع الكثيرين إلى التحول إلى الإسلام.

وهذه الأمثلة التي أوردها ساويرس لا يجب التشكيك فيها، لأن ساويرس كان قبطيا، كما انه لم يكن ليغفل الكلام على اى اضطهاد يصيب الأقباط لتحويلهم إلى الدين الإسلامي بقوة.

وقد كانت ثورات القبط ـ التي سبق أن تعرضنا لها ـ بسبب زيادة الخراج، يتبع اخمادها في العادة تحول عددكبير من الأقباط إلى الدين الإسلامي. وكان آخر تلك الثورات، تلك التي انتهت عام ٢١٧ هـ / ٨٣٢م بمجيء الخليفة المأمون إلى مصر، واخضاعه للثائرين. وكان من نتائجها أن اصبح المسلمون اغلبية في القطر المصري.

كذلك من العوامل التي أدت إلى دخول القبط إلى الإسلام، تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة في وظائف الدولة. وقد بدأ به الخليفة عمر بن عبد

العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩م)، وتلاه الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٥م)، ثم هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م)، والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٢ ـ ٨٣٣م)، والمتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م)، والمقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ/ ٩٠٧ـ ٩٣٢م).



الفصل الثانى

المراة فى المجتمع المصرى

وضع المرأة فى المجتمع المصرى

المعلمات، والأميرات، وزوجات الأمراء، والفقيهات

الوظائف التى شغلتها المرأة

الفصل الثانى
المرأة فى المجتمع المصرى

بداية نقول إنه على الرغم من كثرة المؤلفات العربية فى مجالات الحياة المختلفة، إلا إننا لا نجد مصدراً يلقى أضواء كافية عن المرأة ووضعها فى المجتمع المصرى على وجه الخصوص.

وعند محاولتنا دراسة وضع المرأة فى المجتمع المصرى خاصة فى الفترة الخاضعة للبحث (من الفتح العربى إلى بداية الدولة الفاطمية) نلاحظ أن المصادر العربية تكاد تكون نادرة، أما فيما يختص بالمراجع الحديثة، فنلاحظ أنها قد أغفلت فترة بحثنا، كما نلاحظ أنها تتناول المرأة من حيث تكريم الإسلام لها ورفع مكانتها، وغير ذلك من الأمور النظرية التى لا تعبر عن واقع المرأة فى تلك الفترة، فهناك فرق بين النظرية والتطبيق أو الواقع.

وعلى أية حال، فمن خلال ما جمعناه من معلومات، وجدنا أن المرأة فى المجتمع المصرى - فى فترة بحثنا - لم يكن لها دور يذكر فى شئون الحكم، كما حدث فيما بعد، ولم نسمع عن دور سياسى قامت به زوجات الأمراء أو بناتهم أو أية امرأة أخرى.

على أن المصادر تتحدث عن حرص الأمراء والخلفاء على تعليم بناتهم وزوجاتهم، وتأديبهن على يد معلمات ومربيات عُرفن بالفضل والعلم.

فتتحدث المصادر عن عَزة بنت حُمِيل بن حفص بن أياس الحاجبية الغفارية الضمرية [1] التى أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بإدخالها على حرمه ليتعلمن من أدبها. وكانت من أجمل النساء وجها وأفصحن لسانا، وأحفظن لكلام العرب. وقد سكنت مصر، وكان كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الشاعر المشهور يهيم بها، لذلك كان ينسب بها.

---

(1) فى ابن إياس (عزة بنت جميل بن عمرو الضمرى)

وقد توفيت عام ٨٥ هـ/ ٧٠٤م وقيل عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م بمصر، في أيام عبد العزيز بن مروان. وقد زار «كثير» قبرها، ورثاها، وتغير شعرُه بعدها، فقال له قائل: ما بال شعرك قد قصرت فيه؟ فقال: ماتت عزة فلا أطرب، وذهب الشباب فلا أعجب، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب.

وقد تحدثت المصادر عن بعض الأميرات اللاتي عُرفن بالعلم والأدب مثل:

قطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون:

وكان اسمها: أسماء. وكانت من أعقل النساء، وتذكر المصادر العربية أنه كان لها من الحكايات مع الخليفة المعتضد ما يجب أن تؤرخ! فمنها:

أن المعتضد قال لها يوما: «بم تشكرين الله اذ جعل أمير المؤمنين زوجك؟»

قالت: «بما يشكر به أميرُ المؤمنين اذ جعل أحمد بن طولون من رعيته»!

ومما أورده ابن سعيد أن المعتضد «وضع رأسه يوما في حجرها، فنام حتى غط في نومه، فتلطفت في ميل رأسه من حجرها، ووضعته على مخدة، وقامت، إلى أن انتبه المعتضد من نومه، فوجد رأسه على مخده، ونظر إلى قطر الندى، فلم يجدها معه في البيت، فاشتد غيظه، واستدعاها، فقال لها ـ بكلام منزعج ـ: ما هذا الذي صنعت ؟ أضع رأسي في حجرك، واستأمنك على روحي، فتتركيني وتعرين عني؟ فقالت: إن فيما أوصاني به أبي، ألاَّ أجلس بين النيام وألا أنام بين الجلوس! فأعجب ذلك المعتضد وقال: نِعم ما أوصاك به أبوك».

ثم يقول ابن سعيد إن المعتضد «ناولها يوما قدح خمر لتشربه، فقالت: يا أمير المؤمنين: ما شربتُه قط، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول عن النساء: ناقصات عقل ودين، والرجال إن شربوا الخمر، ففي عقولهم وأديانهم ما يحتمل حَيفها، والنساء بضد ذلك، فاشتد ولعه بما سمع منها وأعفاها».

«وقال لها يوماً: ما أحسن ما أدبك أبوك؟ فقالت: إني لم أكن أبصر أبي، ولكني تأدبت بأدب جواريه، فقال: ذلك أحسن وأشرف». وعن أدب قطر الندى يقول ابن سعيد:«وصارت الأمثال في قصر الخليفة تُضرب بأدب قطر الندى».

ومن الأميرات اللاتي عرفن بالعلم والأدب:

أم مروان:

وهي الإبنة الكبرى لآخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، وكانت قد جاءت ضمن بناته وزوجاته عندما هرب إلى مصر. ويقال إنه عندما قتل مروان بن محمد على يد عامر بن اسماعيل، أرسل حريمه وبناته إلى صالح بن علي، فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت:

«يا عم أمير المؤمنين، حفظ الله لك من أمرك ما يحب لك حفظه، وأسعدك في الأمور كلها بخواص نعمه، وعمك بالعافية في الدنيا والآخرة. نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك، فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جَورنا! قال: اذن لا نستبقي منكم أحدا رجلاً ولا إمرأة... قالت: يا عم أميرالمؤمنين فليسعنا عفوكم اذا. قال: أما العفو فنعم قد وسعكم، فان أحببتِ زوّجتك من الفضل بن صالح بن علي، وزوجتُ أختك من أخيه عبد الله بن صالح. فقالت: يا عم أمير المؤمنين، وأي أوان عرس هذا؟ بل تلحقنا بحرّان. قال: فاذاً أفعل ذلك يكن إن شاء الله، فألحقهن بحران».

ويذكر الحميري أنه عندما قَتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد، قعد على فرشه، وأكل من طعامه، فخرجت إليه ابنة مروان الكبرى، وتعرف بأم مروان، فقالت: «يا عامر، إن دهراً أنزل أمير المؤمنين عن فرشه حتى أقعدك عليه، فأكلت من طعامه، واحتويت على أمره، وحكمت في مملكته - لقادر أن يغير مآربك! فاغتاظ السفاح من ذلك وكتب إليه: ويلك، أما كان لك في أدب

الله عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان، وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده؟! أما والله لولا ان أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك، لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله عز وجل بصدقة تطفيء بها غضبه، وصلاة تُطهربها الاستكانة، وصم ثلاثة أيام، ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك».

ومن الأميرات اللاتي ذكرت المصادرُ العربية أسماءهن:

ارمانوسة ابنة المقوقس:

وكان عمرو بن العاص عندما نزل بلبيس قد أسرها وأخذ جميع مالها، ثم أحب عمرو ملاطفة المقوقس، فسيرها اليه مكرمة في جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمي.

أم كلثوم:

وكانت ابنه الوالي عقبة بن عامر.

أم سهل:

وكانت ابنة الوالي مسلمة بن مخلد. واليها تنسب منيةأم سهل، وقد تزوجت من أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان.

أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان:

وهي التي يُعرف باسمها (مصحف أسماء). فقد ذكرتُ في موضع سابق ان عبد العزيز بن مروان عندما كان واليا على مصر، أمر ان يكتب له مصحف، فلما فرغ من كتابته قال: مَن وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارًا، فتداوله القراء، فأتى رجل من قراء الكوفة (من أهل الحمراء

كما في رواية ابن عبد الحكم) ذكر ابن يونس أن اسمه زرعة بن سهيل الثقفي، فقرأه بهجاء، ثم جاء إلى عبد العزيز بن مروان فقال له: قد وجدت في المصحف حرفاً خطأ، قال مصحفي؟ قال: نعم. قال: فنظروا، فاذا فيه: «إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة»،فإذا هي مكتوبة «نجعة»قدمت الجيم قبل العين، فأمر بالمصحف، فأُصلح وابدلت الورقة، ثم أمر له بثلاثين ديناراً وبراس احمر. وعندما توفي عبد العزيز بن مروان في سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م بيع هذا المصحف في ميراثه، فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار، ثم توفي أبو بكر، فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار، فأمكنت منه الناس، وشَهرتْه، فنُسب اليها، وعرف بمصحف أسماء.

عباسة بنت أحمد بن طولون:

وهي من فواضل نساء عصرها، وقد سميت بها قرية العباسة ـ الواقعة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام ـ عندما نزلت بها في اثناء توديعها لقطر الندى.

وقد أبرزت المصادر أيضاً أسماء بعض زوجات الأمراء في مصر، دون ذكر أدوار لعبنها وهن:

أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو بن العاص:

وقد تزوجها عبد العزيز بن مروان فأنجبت منه سهلاً وسهيلاً.

مارية:

وكانت جنسيتها رومية. وقد تزوجها عبد العزيز بن مروان. وأنجب منها ولدا وهو محمد بن عبد العزيز، وقد بنى عبد العزيز بن مروان قصرا لها عرف بقصر مارية.

أسماء:

وكانت زوجة أحمد بن طولون، يقول عنها ابن سعيد، نقلا عن نعْت جارية أحمد بن طولون: كان لأحمد بن طولون زوجة من بنات الموالي تزوجها بمصر، وكانت حسنة الموقع منه، جميلة الصورة، يقال لها أسماء، فقلت: «يا مولاي ليس خلوتك منها على حسب محلها منك!!» قال لي: «هي صغيرة الكف، قصدة الخلقة، فأخاف أن يكون هذا في ولدى منها».

خديجة بنت مزاحم بن خاقان:

وكانت زوجة أيضاً لأحمد بن طولون. وكانت دار صناعة السفن قد نقلت إلى دارها بساحل الفسطاط من جزيرة الروضة عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م، وذلك في الدولة الإخشيدية.

وقد أوردت المصادر بعض أسماء الجاريات اللاتي كانت لهن حظوة لدى الأمراء أو الوزراء، ومنهن:

نعت:

وكانت جارية أحمد بن طولون. وتقول عنها الدكتورة سيدة كاشف:

«ولم تشتهر في بلاط أحمد بن طولون نساء اللهم إلا جاريته نعت. والظاهر أنها كانت تنعم بقسط وافر من الحرية، فإن ابن الداية قد نقل عنها معظم البيانات التي تركها لنا عن حياة أحمد بن طولون الخاصة. والمعروف أنها كانت أماً لثلاث من بناته. والظاهر أنها كانت تدير (حريم) أحمد بن طولون، ومن المحتمل أنها كانت غير صغيرة في السن، فإننا نراها تعنى بالترويح عن الأمير، وتعنى ببيته وسائر حريمه وجواريه، ولكنا لا نظن أنها كانت ذات شأن يذكر في الأمور العامة».

بوران:

وكانت محظية خمارويه. ويقال إن من أجلها بنى خمارويه بيت الذهب، وصور فيه صورتها وصورته، وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها وبنظره إليها، وتمتعه بها، فكدر موتها عيشه، وانكسر انكساراً بان عليه.

وقد كان لأبي بكر محمد بن على الماذرانى جارية ـ لم يذكر المقريزى اسمها ـ كانت تخرج معه للحج.

كما ذكرت المصادر اسما لسيدة كانت أما لأحد أولاد أحمد بن طولون وهو أبو العشائر. وإن كانت المصادر لم توضح لنا هل كانت زوجته أو جاريته، وقد عرفت باسم «مائة ألف».

وقد برزت في فترة البحث، بعض الفقيهات من النساء اللاتى حظين بقدر من الشهرة، وكانت أشهرهن:

السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب:

وقد دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق. وكانت من ربات الصلاح والزهد، ويقال إنها حجت ثلاثين حجة، وكانت كثيرة البكاء، تقوم الليل وتصوم بالنهار، فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي، وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. وكانت تحفظ القرآن وتفسيره. وكان الإمام الشافعي يزورها وهي من وراء الحجاب، وقال لها: ادعى لي! وكان معه عبد الله بن عبد الحكم. وقيل: لما مات الإمام الشافعي أوصى أن السيدة نفيسة تصلى عليه، فلما مات أدخل نعشه في دارها، وصلت عليه، ثم حُمل من عندها ودفن. وقد توفيت السيدة نفيسة سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣ ودفنت في منزلها، وهو الموضع الذي به قبرها الآن. وقد أراد زوجها إسحاق بن الصادق أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة. وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر.

وقد أشار الأبشيهى والقرمانى فى كتابيهما إلى واقعة مقابلة أحمد بن طولون والسيدة نفيسة، ومن الواضح جليا أن هذه الواقعة مختلقة، خاصة وأن الدولة الطولونية قامت فى مصر عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، والسيدة نفيسة ـ كما ذكرت آنفا ـ قد توفيت عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، فكيف تسنى لهما هذا اللقاء؟ وعلى أية حال، فسأورد نص هذه المقابلة كما ذكرها الأبشيهى، فهو يقول: «وقيل لما ظلَّم أحمد بن طولون قبل أن يعدل، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: فى غد. فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون! فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة، وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. قال: فعدل لوقته».

ومن الفقيهات اللاتى ذكرتهن المصادر العربية كذلك:

كلثوم بنت أبى القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب:

وقد كانت من الزاهدات العابدات، وكان لها مشهد يزار فى مصر ـ كما ذكرت فى موضع سابق.

عائشة بنت جعفر الصادق:

من ربات العبادة والصلاح، كانت تقول: «وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار، لأخذتُ توحيدى وأدور به على أهل النار، وأقول لهم: وحدتُه فعذبنى»! وقد توفيت عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ودفنت بقرافة مصر.

رابعة بنت اسماعيل:

عابدة من عابدات مكة، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وأقامت بمصر سبع سنين، ولما دخل الإمام الشافعي مصر كان يتردد عليها، وكان يصلي التراويح في رمضان بمسجدها.

اسية بنت مزاحم بن خاقان:

وهي من ربات العبادة والزهد والتقى والصلاح، عكف عليها الخاص والعام، ويُنسب اليها تربة السيدة اسية بنت مزاحم بمصر. وتوفيت عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م. ويبدو من اسمها انها كانت اختا لخديجة ابنة مزاحم بن خاقان، زوجة احمد بن طولون،التي ذكرتها سابقاً.

فاطمة بنت عبد الرحمن الحرانية:

كانت من الزاهدات العابدات، ولدت ببغداد، وقدم بها أبوها إلى مصر، وسمعت منه، وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تعرف بالصوفية لأنها كانت تلبس الصوف، ولا تنام إلا في مصلاها بلا وطاء أكثر من ستين سنة. وقد سمع منها أخيها عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبي صالح. وقد توفيت عام٣١٢هـ/ ٩٢٤م.

وبعد فقد حاولنا معرفة شيء عن الوظائف التي شغلتها المرأة في فترة بحثنا، فلم نجد إلى جانب وظيفة المؤدبة والمربية التي تحدثنا عنها، سوى وظيفة الحاضنة. ومن الحاضنات اللاتي ذكرتهن المصادر العربية: بُنانة وكانت حاضنة لبعض بني مروان أو ظِئْرا لهم (٢) كما يقول ابن عبد الحكم.

---

(٢) الظئر جمع اظْؤُر واظْآر وظُؤُور وظُؤُورة وظُؤار. اي المرضعة لولد غيرها.

الفصل الثالث

العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى

. الأعياد والمواسم

.أعياد المسلمين ـ أعياد الأقباط ـ أعياد اليهود.

. الأعياد القومية.

. احتفالات الزواج.

. الطعام والشراب.

. الملابس والزينة.

. الألعاب ووسائل التسلية..

. الشطرنج
. الصيد
. لعب القمار
. لعبة الصوالجة
. الجواء
. الكُرج
. سباق الخيل

. المقابر والجنازات .

الفصل الثالث

ـ العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى

الأعياد والمواسم

بعد سيطرة العرب على مصر، ودخول الدين الإسلامى إليها، أصبح فى مصر ثلاثة أنواع من الأعياد تتبع ثلاث ديانات أساسية فى مصر، وهذه الأعياد هى:

أعياد المسلمين ـ أعياد الأقباط ـ أعياد اليهود.

هذا إلى جانب أعياد يمكن أن نطلق عليها أعيادا قومية، وذلك لأنها لا تقام وفقا لدين معين، وإنما كان الشعب كله يحتفل بها، وشاركهم العرب فى هذا الاحتفال.

وقبل تناول الأعياد فى مصر يجب أن نشير إلى ظاهرة هامة، وهى أن المصريين، مسلمين ومسيحيين، كانوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية والمسيحية على السواء، ولعل ذلك ـ كما ترى الدكتورة سيدة كاشف ـ يرجع إلى أن الكثير من المصريين المسلمين كان من أصل قبطى.

وسنحاول فى الصفحات القادمة أن نتتبع الأعياد فى مصر بشىء من التفصيل، رغم فقر المصادر العربية التى تعرضت للفترة التى يتناولها بحثنا فى هذا الموضوع.

أولا: أعياد المسلمين:

نلاحظ أن المصادر العربية لا تشير إلى احتفالات بأعياد المسلمين أقيمت فى هذه الفترة، اللهم إلا ما ذكر عن إحتفالين فى الدولة الإخشيدية، كان الأول عن الإحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر ـ ويظهر من النص أن هذا ما كان يحدث فى الدولة الطولونية ـ والثانى عن الإحتفال بعيد الأضحى.

وبالنسبة للإحتفال الأول، وهو الإحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر، يقول ابن سعيد: «ولما دخل شهر رمضان، أطلق النفقات للمسجد الجامع، وأمر بعمارة المساجد بالجص، والبياض، والخلوق، والمصابيح، والأئمة. ثم أمر بالتأهب للعرض ليلة الفطر على رسم أحمد بن طولون وما كان يفعله تكين، فتاهب الناس واشتروا وأكثروا، وكان القواد التكينية على غاية الرفعة. ولما كان أخر شهر رمضان ركب الإخشيد بعد عشية، فحضر ختم الجامع وصلى وأوتر، وهو فى وجوه عبيده فى دراعه [1] بياض، وبين يديه خمسمائة غلام بالدبابيس [2] والمستوفيات [3]، وبين يديه الشمع والمشاعل، وقيل كان بين يديه مائة فراش بمائة شمعة. ثم أصبح الناس للعرض، وجلس فى المنظرة التى على باب دار الإمارة، ومرت العساكر. فلما انفض العسكر ركب غلمانه فى أحسن زى بالتجافيف [4]، والجواش [5] والدروع، فلم يفرغوا إلى العشاء. ثم أصبح، فركب لصلاة العيد، فصلى به عمر بن الحسن العباسى وخطب به وانصرف، ونصب السماط فاكل الناس وحملوا».

أما بالنسبة للإحتفال الثانى وهو الإحتفال بعيد الأضحى، فيقول ابن خلكان: كان كافور فى عيد الأضحى يسلم أحد رجاله ويدعى أبو بكر المحلى - وكان يتولى أمر نفقاته - بغلا محملا ذهبا وورقا وجريدة تتضمن أسماء بعض الأشخاص، لتوزع عليهم هذه الأموال. ويصف ابو بكر مهمته فى العيد فى تلك العبارة: كان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل حتى اسلم ذلك إلى من

---

(١) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

(٢) الدبوس: عصا من خشب أو حديد فى رأسها كالكرة. والدبوس يسمى ايضاً العامود وهو آلة من حديد ذات أضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة (توضع على الراس) ومن فى معناه.

(٣) الراجح أنها ضرب من العصى الخشبية السميكة.

(٤) جمع تجفاف، وهى آلة للحرب يلبسها الفارس ويتقى بها وكأنها درع.

(٥) الجواش: الدروع.

تضمنت اسمه الجريدة، فطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول: الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدي يهنئك بعيدك، ويقول لك: اصرف هذا في منفعتك. فادفع إليه ما جعل له.

كما كان الشيعة في مصر ـ خاصة في الدولة الإخشيدية ـ يحتفلون بيوم عاشوراء بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام.

ويروى المقريزى عن يوم عاشوراء في الدولة الإخشيدية فيقول:

«وإنما قَويتْ أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الإخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة. وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة، وتتعلق السودان في الطرقات بالناس، ويقولون للرجل: من خالك؟ فإن قال معاوية، أكرموه، وإن سكت، لقى المكروه، وأخذت ثيابه وما معه، حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج ».

ثانيا: أعياد الأقباط:

ذكر المقريزى أن أعياد الأقباط المشهورة والشرعية بمصر، عددها أربعة عشر عيداً، في كل سنة من سنواتهم القبطية، منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا، وسبعة يسمونها أعيادا صغارا.

أما الأعياد الكبار فهي:

١ ـ عيد البشارة:

ويَحتفل به الأقباط في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات (مارس). وهو اليوم الذى بشر فيه جبريل مريم بميلاد المسيح عليه السلام.

٢ ـ عيد الزيتونة:

ويعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح، ويَحتفل به الأقباط في الأحد السابع من صومهم الذي يوافق اليوم الثاني والأربعين من بداية الصوم. وهو يُحيي ذكرى ركوب السيد المسيح لحماره، ودخوله إلى بيت المقدس ومَنْ حوله النصارى يسبحون، وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى في مصر. فتتزين كنائسهم، ويخرجون في جماعات من الكنائس حاملين سعف النخل.

ويذكر المقريزي أن من عادة الإحتفال به في مدينة أخميم، أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والأناجيل والشموع المشعلة، ويقفوا على باب القاضي، ثم أبواب الأعيان من المسلمين، فيبخروا، ويقرؤوا فصلا من الانجيل، ويمدحونه.

٣ ـ عيد الفصح:

وهو العيد الكبير عندهم، يحتفلون به يوم الفطر من صومهم الأكبر، ويأتي هذا العيد بعد «عيد الصلبوت» بثلاثة أيام كما يقول المقريزي. وهو إحياء لذكرى خروج المسيح عليه السلام من قبره بعدما دفن. وكان ذلك في ليلة الأحد، عشرين من برمهات (مارس). فيقال إن المسيح عليه السلام خرج من قبره في هذا اليوم ودخل على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم بأمور تضمنها انجيلهم.

٤ ـ عيد خميس الأربعين:

ويُعرف أيضاً بعيد الصعود، ويحتفل به الأقباط في اليوم الثاني والأربعين من الفطر. ويعتقدون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته، خرج والتلاميذ معه، فرفع يديه وبارك عليهم، وصعد إلى السماء، وذلك عند إكماله ثلاثة وثلاثين سنة وثلاثة أشهر.

٥ ـ عيد الخميس:

ويحتفل به الاقباط بعد خمسين يوما من يوم القيام، وهو في اليوم السادس والعشرين من بشنس (مايو). وقد اعتقدوا أنه بعد عشرة أيام من الصعود، وبعد خمسين يوما من قيامة المسيح، اجتمع التلاميذ في بيت المقدس، فتجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار، فامتلئوا من هذه الروح، وتكلموا بجميع الالسن، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة ومعجزات، فعاداهم اليهود وحبسوهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى نجّاهم، فخرجوا من السجن وساروا في الأرض متفرقين يدعون الناس إلى دين المسيح.

٦ ـ عيد الميلاد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد في التاسع والعشرين من شهر كيهك (ديسمبر)، وهو ذكرى ميلاد المسيح، ودائما يوافق يوم الاثنين (فهم يقولون إنه ولد يوم الاثنين)، فتبدأ الاحتفالات مساء الأحد. ومن عاداتهم في هذا العيد تزيين الكنائس بالمصابيح، وإضاءة دورهم بالفوانيس الملونة، بداخلها الشموع المصبوغة، وكانوا يقبلون على أنواع الملاهي واللعب بالنار، وكانت الأسواق تزدان بالفوانيس والشموع والمشاعل في هذه الليلة.

٧ ـ عيد الغطاس:

يحتفل الأقباط بهذا العيد في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة (يناير). وأصله عند النصارى ـ كما يقول المقريزي ـ أن يحْيى بن زكريا عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمداني، عمّد المسيح اى غسله في بحيرة الأردن، وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم، وينزلون فيه بأجمعهم، ولا يكون ذلك إلا في شدة البرد، ويسمونه «يوم الغطاس». ويصف المسعودي ليلة الغطاس في مصر عندما شاهدها بنفسه، وكان ذلك في عام

٣٣٠هـ/ ٩٤١م زمن الدولة الإخشيدية فيقول: ولقد حضرت سنة ٣٣٠هـ ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة، والنيل يطوف بها، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل، غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، فيحرق في تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده. وقد حضر النيل في تلك الليلة الاف من الناس من المسلمين والنصارى، منهم في الزوارق، ومنهم في الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط، ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف. وهي احسن ليلة تكون بمصر، لا تُغلق فيها الدروب، ويَغطس أكثرهم في النيل، ويزعمون ان ذلك أمان من المرض ومبرىء للداء.

أما الأعياد الصغار فهي:

١ ـ عيد الختان:

يحتفل به الأقباط في اليوم السادس من شهر بؤونة (يونيه)، ويعتقدون أن المسيح ختن في هذا اليوم، وهو يوافق اليوم الثامن من يوم الميلاد.

٢ ـ عيد الأربعين:

يحتفل به الأقباط في اليوم الثامن من شهر أمشير (فبراير)، وفي هذا اليوم ـ كما يقول الاقباط ـ دخل المسيح الهيكل، ويعتقدون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه بعد اربعين يوما من ولادته.

٣ ـ خميس العهد:

ويأتي هذا العيد قبل عيد الفصح بثلاثة ايام، وكان من عاداتهم فيه أن يُملأ إناء من ماء ويزمزمون عليه، ثم يُغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى. ويعتقدون ان المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع، ثم اخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض.

والعامة يطلقون عليه خميس العدس، من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس بأصناف كثيرة، ويقول أهل الشام: خميس الأرز وخميس البيض. ويبدو ـ كما يقول الدكتور عبد المنعم سلطان ـ أن هذه التسميات راجعة إلى نوع الطعام الذى اشتهر كل اقليم بتناوله فى هذه المناسبة.

وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة فى هذا العيد، فيهادى النصارى بعضهم بعضا، ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض.

وكان يقام فى الأسكندرية عيد يسمى بخميس العدس، وهو أول خميس من شهر نيسان، وهو خاص بمنارة الأسكندرية، لا يتخلف فى الأسكندرية عن الخروج إلى المنار ذلك اليوم أحد ـ كما يقول الحميرى ـ وقد أعدوا لذلك الأطعمة والأشربة، ولابد فى ذلك الطعام من العدس، فيفتح باب المنارة للناس ويدخلون فيها، فيقيمون إلى نصف النهار ثم ينصرفون.

٤ ـ سبت النور:

يأتى هذا العيد قبل «عيد الفصح» بيوم، ويكون ثالثَ يوم من «خميس العدس». وفى هذا اليوم يعتقد المسيحيون أن النور يظهر على قبر المسيح بكنيسة القيامة فى القدس، فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها.

٥ ـ عيد حد الحدود:

يأتى هذا العيد بعد «عيد الفصح» بثمانية أيام، ويحتفلوا به أول أحد بعد الفطر، لأن الآحاد قبله تكون مشغولة بالصوم. ومن عاداتهم فيه ـ كما يذكر المقريزى ـ أنهم يجددون ملابسهم والأثاث وغير ذلك.

٦ ـ عيد التجلى:

يحتفل به الأقباط فى اليوم الثالث عشر من شهر مسرى (اغسطس)، لأن فى هذا اليوم ـ كما يعتقد المسيحيون ـ تجلى المسيح عليه السلام لتلاميذه

بعدما رُفع. وقد تمنوا عليه أن يحضر لهم إيلياء وموسى عليهما السلام، فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم.

٧ ـ عيد الصليب:

ويُحتفل به في اليوم السابع عشر من شهر توت (سبتمبر)، وكان سبب الإحتفال به هو ظهور الصليب على يد هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين. فيذكر المقريزي أنها سافرت إلى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام، وبناء الكنائس، وإقامة شعائر النصرانية. ويقال إن الأسقف مقاريوس دلها على الخشبة التي زعموا أن المسيح صلب عليها، وقد قَص عليها ما عمل به اليهود، فحفرت فوجدت قبرا وثلاث خشبات على شكل الصليب، فاتخذوا ذلك اليوم عيدا، وسموه عيد الصليب، وهو اليوم الذي وجدت فيه الثلاث خشبات، وبنيت في نفس المكان كنيسة القيامة.

وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم ـ كما يقول المقريزي ـ يخرج الناس فيه إلى بني وائل بظاهر فسطاط مصر، ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات، ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد.

ومن أعياد القبط أيضاً:

عيد الشهيد:

ويحتفل به أقباط مصر في اليوم الثامن من شهر بشنس (مايو)، ويعتقد النصارى أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يُلقوا فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى. ويكون ذلك اليوم عيدا تَرحل اليه النصارى من جميع القرى على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيم على شطوط النيل، ويركبون فيه الخيل، ويباع في هذا اليوم أعداد كبيرة من الخمر. وكان يخرج إلى هذا العيد أيضا المغنون والمغنيات وأصحاب الفسق

وغيرهم، وكان يُتجاهر هناك بما لا يحتمل ـ كما يقول المقريزى ـ من المعاصى والفسوق.

عيد النيروز:

وهو الاحتفال براس السنة القبطية، ويحتفل به الاقباط فى أول يوم من شهر توت (سبتمبر) والنيروز كلمة فارسية معربة. وهو من الأعياد القديمة التى احتفلت بها كثير من الشعوب على اختلاف جنسياتها وعقائدها، وهذا العيد ليس له تاريخ ثابت، بل يحتفل به كل شعب حسب تاريخ بداية السنة عنده.

وكان من عادتهم في هذا اليوم اشعال النيران والتراش بالماء، فهو من مواسم لهو المصريين.

ثالثا: اعياد اليهود:

يذكر القلقشندى فى كتابه أن لليهود خمسة أعياد مذكورة في التوراة، وعيدين احدثوهم ولم يذكرا بالتوراة.

وبالنسبة للأعياد الخمسة المذكورة فى التوراة، فهى:

١. عيد راس السنة:

ويحتفل به اليهود فى أول يوم من تشرى من شهورهم، ويسمونه «عيد رأس هيشا» اى عيد رأس الشهر. وهو عندهم بمنزلة عيد الأضحى عند المسلمين، فيقولون: إن الله تعالى أمر ابراهيم بذبح اسماعيل ابنه فيه، وفداه بذبح عظيم. وهو عيد البشارة كما يقول المقريزى .

٢. عيد صوماريا:

ويسمونه الكبور، وهو عندهم الصوم العظيم، ويقولون: إن الله فرض عليهم صومه، ومن لم يصم فيه قتل عندهم . ومدة هذا الصوم خمس

وعشرون ساعة. يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشري، وتختم بمضي ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر، وربما سموه العاشور ويشترط فيه لجواز الافطار عندهم روية ثلاثة كواكب عند الافطار .
ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم في يوم الأحد، ولا في يوم الثلاثاء، ولا في يوم الجمعة. ويعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجحده ربوبية الله تعالى .

٣. عيد المَظَلّة:

ويكون لمدة سبعة أيام، اولها الخامس عشر من تشري، وهو ايضا حج لهم، يجلسون في هذه الايام تحت ظلال من جريد النخل، واغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض. ويعتقدون أن ذلك تذكار منهم لا ظلال الله اياهم في التيه بالغمام.

٤. عيد الفطير:

ويسمونه الفصح، ويحتفل به اليهود لمدة سبعة أيام ايضا، ويكون بدايته اليوم الخامس عشر من نيسان. وفي هذا العيد يأكلون الفطير، وهو ذكرى لاحياء الأيام التي خلص الله فيها بني اسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه، فجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير.

عيد الاسابيع:

ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويحتفل به اليهود في اليوم السادس من شهر سيوان.

ويأتي هذا العيد بعد عيد الفطير بسبعة اسابيع. ويقولون إن في هذا اليوم خاطب الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل من طور سيناء. وهو أيضا حج لهم، فحجوجهم، ثلاثة: الاسابيع والفطير والمظلة. ومن عاداتهم في هذا العيد أكل القطائف، ويتفننون في عملها، ويجعلونها بدلا من المن الذي أنزله الله عليهم في هذا اليوم.

أما العيدان اللذان احدثهما اليهود فهما كما يقول القلقشندى:

١. عيد الفوز:

واليهود يصومون قبلة بثلاثة أيام، وهو فى شهر اذار الثانى، وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة، يهدى فيه بعضهم إلى بعض.

عيد الحنكة:

وهو ثمانية أيام فى شهر كسيلو، ومن عاداتهم فيه انهم يوقدون فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من ابوابهم سراجا، وفى الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سروج.

الأعياد القومية:

كان على راس هذه الأعياد عيد وفاء النيل :

عندما فتح عمروبن العاص مصر اتى اهلها اليه حين دخل شهر بؤونه (يونيه) (٦)، وقالوا له كما يقول ابن عبد الحكم :«أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال لهم : وما ذاك؟ قالوا: إنه اذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين ابويها، فارضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل مايكون، ثم القيناها فى هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الاسلام، وإن الاسلام يهدم ماقبله. فاقاموا بؤ ونه وأبيب، ومسرى، لا يجرى قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء . فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب اليه عمر: قد أصبت إن الاسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها فى داخل النيل اذا أتاك كتابى. فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤ منين إلى نيل أهل مصر: أما

---

(٦) كانت الزيادة فى النيل ـ كما تذكر المصادر العربية ـ تبدأ فى الخامس من شهر بؤونة. وفى اليوم السابع والعشرين من نفس الشهر، ينادى عليه بالزيادة، وكانت علامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وانظر فى ذلك، الموضوع الخاص بطبقة الزراع.

بعد، فإن كنت تجرى من قبلك (قتلاك) فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذى يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك .

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل، فأصبحوا يوم الصليب، وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة، وقطع تلك السُنة السوء عن أهل مصر».

وكان المتولى قياس المقياس اذا وجد أن العلامة وصلت إلى الستة عشر ذرعا، يسبل ستارا أسود على شباك المقياس، فاذا شاهد الناس هذا الستار قد اسبل، تباشروا بالوفاء، واجتمعوا كعادتهم للفرجة من كل صوب .

كما تذكر المصادر العربية أن متولي القياس كانوا ينادون على النيل بقولهم: « نعم لا تحصى، من خزائن لا تفنى، زاد الله فى النيل المبارك كذا وكذا » كانت زيادته في العام الماضى فى هذا اليوم كذا وكذا، وعلى الله التمام» . وكان المنادى يجعل فى أيديهم عودا وهو مخلق بالزعفران ، ومعهم الرياحين، وكانوا يتجهون إلى الجامع، وهناك يقفون حلقة، ويرمون بما معهم من الرياحين إليهم، وينادون أن الله عز وجل زاد فى النيل كذا وكذا، فيستبشر الناس، ويكثرون حمد الله والشكر له.

وقد جرت العادة في كل سنة أنه اذا وفى النيل، يرسل الحاكم بشيرا إلى كل البلاد لتطمئن القلوب. وهى عادة قديمة.

وتذكر المصادر أن هذا اليوم، كان يوما مشهودا، وموسما معدودا، ليس له نظير فى الدنيا، وكانت فرحة أهل مصر به لا تعادلها فرحة، وقد خصوا بذلك دون غيرهم من البلاد الشامية وغيرها.

وقد قال القائل فى المعنى :

نادى منادى الوفا بمصر ... اذا علقوا ستره علامة

من الغلا قد سلمت حقا ... وبت فى الستر السلامة

احتفالات الزواج

نظرا لارتباط الزواج بالدين، كان من الطبيعي أن تختلف مراسيم الزواج بانتقال مصر من يد البيزنطيين إلى يد العرب، ومن الديانة المسيحية إلى الاسلامية. وتقدم لنا أوراق البردى الكثير من عقود الزواج التي توضح لنا عادات وتقاليد الزواج فى فترة دراستنا.

وقد كانت عقود الزواج فى هذا العصر تختلف عن عقود الزواج فى عصرنا، فقد كانت غنية بالبيانات المتصلة بالزواج من خطوبة، وشهود، ومهر معجل، ومؤخر، ووصايا بحسن الصحبة والمعاشرة، والأمر بالامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان، وفى بعضها شروط تشترطها الزوجة على الزوج.

ويتضح من هذه العقود أن قيمة المهر في ذلك الوقت، كانت تتراوح ما بين ٤ دنانير و٢٠ دينارا ذهبا، حسب الحالة الاجتماعية لكل زوجة أو زوج.

اما المؤخر فلم يكن يدفع عند الطلاق كما يحدث حاليا، وانما كان يدفع على اقساط فى مواعيد محددة من تاريخ عقد الزواج.

ونلاحظ أن الزوجة عندما تستلم صداقها تكتب براءة أو اقرار الشهود بأنها استلمت قيمة الصداق. أما بالنسبة للشهود، فنلاحظ من عقود الزواج أنهم كانوا أكثر من شاهدين، وليس كما يحدث في وقتنا الحاضر. وتقول الدكتورة سيدة كاشف: إنهم كانوا أكثر من عشرة في الغالب! وكان من الشروط التى تضمنتها عقود الزواج ما يتعلق بحسن الصحبة والمعاشرة، أو يتعلق بزيارة الأهل، أو يتعلق بوضع الزوجة اذا تزوج الزوج عليها أو اتخذ جارية له.

وتتضمن ملاحق الرسالة بعضا من عقود الزواج لنرى فيها بوضوح البيانات المتعلقة بالزواج.

وكـان أشــهـر زواج قـد تم فى فـتـرة بحـثنا هو زواج قطر الندى إبنة خمارويه. ففى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م توفى الخليفة المعتمد، وبويع بالخلافة من بعده المعتضد ابو العباس احمد بن الموفق طلحة، فبعث اليه خمارويه بهدايا وتحف، وسأله أن يزوج ابنته قطر الندى لولده المكتفي بالله فقال المعتضد: بل أنا اتزوجها ! وتزوجها فى عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م.

ويذكر ابن اياس أن مهرها الذى دفعه الخليفة المعتضد كان مائة ألف دينار، ومائة الف شُقة حرير ملون، وان كان ابن خلكان يقول في كتابه: إن مهرها قدر ألف ألف درهم.

وقد جهزها خمارويه بجهاز لم ير مثله، لذلك سنعرض وصفا لهذا الجهاز مع ما فيه من مبالغة، من كل مصدر على حده، خاصة أن بعض المصادر العربية تشير إلى أن المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه!

يقول ابن كثير:« فجهزها ابوها بجهاز لم يسمع بمثله، حتى قيل إنه كان فى جهازها مائة هاون من ذهب. فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة بـبـغداد ».

ويقول فى موضع آخر: وهذا « غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى. ثم بعد كل حساب ارسل معها أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج اليه مما ليس بمصر مثله»!

ويقول ابن دقماق :« وحمل معها مالم ير مثله، ولاسمع به، دكة [٧] اربع قطع ذهب، عليها قبة ذهب مشبكة، في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا يعرف لها قيمة»، وفيه ايضاه الف تكة، الثمن عنها عشرة الاف دينار».

---

(٧) الدكة جمع دكاك: بناء يسطح اعلاه للجلوس او لجعل كرسي عليه.

ويقول القلقشندى :«وجهز اليه مهرها ألف الف درهم، وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر، فاجابة خمارويه إلى ذلك، وهادى بالهدايا الجمة، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله، يقال إنه كان فيه الف هاون من ذهب» .

ويقول السيوطى :» وكان جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة، وعشر صناديق جوهر».

ويقول ابن اياس :» كان معها من القماش والأواني مالا يحصر، حتى قيل نقل جهازها من مصر إلى بغداد في ستة أشهر! فكان من جملة ما ذكر من جهازها مائة هاون ذهب، وألف سروال حرير، وفي تكة كل سروال جوهرة قدر بيضة الحمامة»!

ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته قطر الندى، أمر فبنى لها على رأس كل مُنزِله تنزل فيها قصرا فيما بين مصر وبغداد. واخرج معها خمارويه أخاه خزرج بن احمد بن طولون (وفي رواية المقريزى شيبان بن أحمد بن طولون) في جماعة مع ابن الجصاص، الحسن بن عبد الله، فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد، فكانت اذا وافت المنزلة وجدت قصرا قد فرش فيه جميع مايحتاج اليه، وقد علقت فيه الستور، وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها. وكانت في مسيرها من مصر إلى بغداد- على بعد الشقة - كأنها في قصر أبيها، حتى قدمت بغداد في أول المحرم سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م وكانت عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون قد خرجت لتوديعها، فنزلت مكان القرية المعروفة بالعباسية من بلاد الشرقية من الديار المصرية، فعرفت بها كما ذكرت في موضع سابق.

وعندما وصلت قطر الندى بغداد، نزلت في دار صاعد بن مخلد، لان المعتضد كان بالموصل . وزفت قطر الندى إلى المعتضد في ربيع الآخر من نفس العام، وعند ذهابها اليه من دار صاعد، منع الناس من المرور في الطرقات، ويصف الطبرى زفافها اليه بقوله:

«ونودى فى جانبى بغداد الا يعبر أحد فى دجلة يوم الأحد، وغلقت ابواب الدروب التى تلى الشط ومد على الشوارع النافذة إلى دجلة شراع، ووكل بمافتى دجلة من يمنع أن يظهروا فى دورهم على الشط. فلما صليت العتمة، وافت الشذا[8] من دار المعتضد، وفيها خدم معهم الشمع، فوقفوا بإزاء دار صاعد. وكانت أعدت أربع حراقات [9]، شُدَّت مع دار صاعد، فلما جاءت الشذا أحدرت الحراقات، وصارت الشذا بين أيديهم، وأقامت الحرة يوم الاثنين فى دار المعتضد، وجليت عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول ».

وقد توفيت قطر الندى زوجة المعتضد فى رجب سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد.

أما الزواج الثانى الذى تم فى فترة بحثنا، فهو زواج الحسين بن القاضى أبو زرعة ببنت أبى على الحسين بن أحمد الماذرائى المعروف بابى زنبور.

يقول الكندى :

«فكتب أبو زنبور أسامى مائة نفس فى درج، ووعدهم أن يكونوا عنده قبل صلاة الصبح، فحضروا، فأخرج اليهم مائة غلام بمائة قدح غالية، ومائة قمقم ماء ورد، ومائة مشط، ومائة مرآة، ومائة مبخرة. ثم عقد النكاح، فخرج مائة غلام، بمائة طست، ومائة إبريق وعشرة موائد، فعقدوا على كل مائدة عشرة انفس، فأكلوا ثم غسلوا أيديهم، فألقيت على ايديهم مائة منديل، وأعيد عليهم الطيب والبخور، واخرجت مائة صينية فيها الدنانير وتماثيل النَّد[10] والعنبر، فألقيت فى أكمام الناس، وكان املاكا ماسمع بمثله، وكان العرس بعد ذلك اعظم من الأملاك».

---

(٨) الشذا جمع شذوات: ضرب من السفن. هى سفن صغيرة .

(٩) الحراقة : جمع حراقات. السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو.

(١٠) الند بالفتح عود يتبخر به. وهى كلمة فارسية.

وكان الزواج يشترط فيه التكافوء الاجتماعي، فتتزوج الأميرة من أمير مثلها أو حتى خليفة أو ابن قاضي أو ابن وزير، وهكذا. ويظهر ذلك بوضوح في حكاية ذكرها الكندي فهو يقول:

« إن عبد الأعلى بن سعيد الجَيْشَاني تزوج بامرأة من بني كُلال، فقام بعض أوليائها في ذلك وانكروه، وترافعوا إلى أبي خزيمة (ابراهيم بن يزيد قاضي مصر) فقال: ما أُحل ماحرم الله، ولا احرم ما احل الله، اذا زوجها ولي فالنكاح ماض. فارتفعوا إلى يزيد بن حاتم، وهو الأمير يومئذ، فقال يزيد: ليس عبد الأعلى من أكفائها، وأمر أبا خزيمة بفسخ نكاحها، فامتنع ابو خزيمة من ذلك، وفرق بينها يزيد بن حاتم.»

وهكذا نرى كيف ان عدم التكافوء بينهما اباح للوالي أن يفرق بينهما .

ولا تورد المصادر العربية معلومات كافية عن مظاهر الاحتفالات بالأفراح، ولكن نجد في ابن عبد الحكم أن يزيد بن أبي حبيب كتب إلى عمر بن عبد العزيز عن اللعب بالدفاف والبرابط [11] في العرس. فكتب اليه عمر بن عبد العزيز: إمنع الذين يضربون البرابط، ودع الذين يضربون بالدفاف.

وقد كانت مراسيم الزواج عند اليهود مختلفة، فيقول المقريزي :« ولا يصح النكاح عندهم إلا بولي، وخطبة، وثلاثة شهود، ومهر مائتي درهم للبكر، ومائة للثيب لا اقل من ذلك. ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين، فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه، ويخطب خطبة النكاح، ثم يدفعه

---

(١١) البربط من ملاهي العجم، ولهذا قيل معرب. و العرب تسمية المزهر والعود. والبربط من جنس الطنبور الفارسي القديم، ذو الوجه من الجلد، ويعرف الآن باسم: الطنبور العجمي، وصندوقه صغير، بعضه مغطى بالجلد وبعضه بالخشب، وجسمه قطعة واحدة محفورة، والأصل في تسميته انه محرف عن (بارباتره)، بمعنى الطنبور ذي الدف، اى المعلق به صندوق مستدير كالطبلة، فكان العرب يسمونه البربط وهو أيضا بهذه التسمية بالفارسية. والبربط او الطنبور بوجه عام، اقدم عهدا من العود، ويتميز بطول الساعد حتى يكاد يبلغ اربعة أمثال ساعد العود.

إلى الخَتَن [١٢] ويقول : قد تزوجت فلانة بهذه الفضة، أو بهذا الذهب، وهو خاتم في يده، وبهذا الكاس من الخمر، ويمهر كذا، ويشرب جرعة من الخمر، ثم ينهضون إلى المراة، ويامرونها ان تأخذ الخاتم والمرسين والكاس من يد الختن، فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح، ويضمن أولياء المراة البكارة...... ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن».

أما الطلاق عند اليهود، فيقول عنه المقريزي : إنه لم يكن يجوز « إلا بفاحشة او سحر او رجوع عن الدين. وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما للبكر، ونصف ذلك للثيب، وينزل في كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج: انت طالق مني، ومختلعة مني، وفي سعة أن تتزوجي من شئت. ولايقع طلاق الحامل أبدا ... ويراجع الرجل امراته مالم تتزوج، فان تزوجت حرمت عليه إلى الأبد ».

---

(١٢) الختن جمع أختان: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والاخ.

الطعام والشراب

ربما كان موضوع الطعام والشراب خير مايعطينا من مثل على ثراء الحكام والامراء والكبراء واسرافهم في هذا العصر، بقدر ما كان عليه العامة من فقر، ومن الولاة الذين تحدثت المصادر العربية عن موائدهم واسرافهم:

عبد العزيز بن مروان ـ أحمد بن طولون ـ خمارويه بن أحمد بن طولون ـ كافور.

وبالنسبة لعبد العزيز بن مروان فيذكر الكندى انه كان له الف جَفْنة كل يوم تنصب حول داره، كما كانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل وهى مملوءة بالطعام، تفرق على الفقراء والمساكين ومعها الخبز، وقد وصف أحد الشعراء مائدة عبد العزيز بن مروان هذه بقوله :

كلُّ يَومٍ كـــانه يومُ أضـــحى ... عند عـــبـد العـــزيز أو يومُ فطْر
ولُه الفُ جَــفْنَةٍ مُــتْــرعَــاتٍ ... كل يوم يُمُـــدها الفُ قِـــدْرِ

أما أحمد بن طولون فتذكر المصادر العربية أنه كان ينفق على مطبخه فى كل يوم ألف دينار . وكـان يعمل سـمـاط عظيم فى داره كل يوم يحـضـره الخـاص والعـام ، فينادى فى مصـر : من أحب أن يحـضـر سـمـاط الأمـيـر فليحضر . وكان أحمد بن طولون يجلس بأعلى القصر ينظر ذلك ، ويأمر بفتح جميع أبواب الميدان ، فيراهم وهم يأكلون ويحملون ، فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته . وقد كانت مطابخ الفقراء والمساكين هذه يذبح فيها البقر والغنم ، ويفرق للناس فى القدور الفخار والقصع، ولكل قصعة أو قِدر أربعة ارغفة، فى اثنين منها فالوذج، والاثنان الآخران على القدر أو القصعة.

وبالنسبة لخمارويه بن احمد بن طولون فيذكر المقريزى انه كان يُنفق على مطبخه المعروف بمطبخ العامة ثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر، بدون أرزاق الطباخين ومن يخدمهم.

كمـا يصف لنا المقـريزى مطبخ دار الحـرم التى بناها لزوجـات أبيه وزوجاته، كما ذكرت فى موضع سابق، فيقول: «فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم، يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع فى قوته، الزلة الكبيرة، والتى فيها العدة من الدجاج، فمنها ما قُلع فخذها، ومنها ما قد تشعب صدرها، ومن الفراخ مثل ذلك، مع القطع الكبار من الجدى، ولحوم الضأن، والعدة من الوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج، والكثير من اللوزينج، والقطائف والهرائس من العصيدة التى تعرف اليوم فى وقتنا هذا بالمأمونية، واشباه ذلك مع الأرغفة الكبار. واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعُرفوا به، فكان الناس يتناوبونهم لذلك، وأكثر ما تباع الزلة الكبيرقمنها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم، فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات ... موجودا فى كل وقت لكثرته واتساعه، بحيث أن الرجل إذا طرقه ضيف خرج من فوره إلى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله، ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج مثل ذلك».

أما كافور فقد بالغت المصادر العربية فى ذكر مطبخه:

فيقول ابن اياس: «كان راتب كافور فى مطبخه فى كل يوم ألفى رطل من اللحم البقرى، وسبعمائة رطل من اللحم الضأن، ومائة طير أوز، وثلاثمائة طير دجاج، وثلاثمائة فرخ حمام، وعشرين فرخ سمك كبار، وعشرين رميا رضعا، وثلاثمائة صحن حلوى، وسبعة أفراد فاكهة، وألف كوز فقاع، ومائة قرابة سكر، وعشرة قناطير سكر، وألف كُمَاجة [١٣] من الخبز، وخمسة أفراد بقولات، وكان يحضر على سماطه الخاص والعام».

---

(١٣) الكماج الواحدة كماجة: وهى كلمة فارسية بمعنى خبز مستدير أسمك من الخبز العادى.

ويقول أبو المحاسن عن سماط كافور في اليوم إنه: «مائتا خروف كبار، ومائة خروف رميس (١٤)، ومائة وخمسون إوزة، وخمسمائة دجاجة، وألف طير من الحمام، ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال، ومائتان وخمسون قرابة أقسماء».

ولم يكن الولاةُ هم وحدهم الذين ظهروا بمظهر الإسراف على موائدهم، وانما اشارت المصادر العربية كذلك إلى بعض أغنياء الدولة، سواء كانوا من العرب أو من الأقباط.

ومن العرب المسلمين الذين ذكرتهم المصادر:

أبو محمد عبد الله بن احمد بن علي بن الحسن بن ابراهيم بن طباطبا (تسنة ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩م) وكان من سادة مصر وكبرائها، يقول عن مطبخه ابن كثير: «لا تزال الحلوى تعقد بداره، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها. وللناس عليه رواتب من الحلوى، فمنهم من يُهدى اليه كل يوم، ومنهم في الجمعة، ومنهم في الشهر. وكان لكافور الإخشيد عليه في كل يوم جامان(١٥) ورغيف من الحلوى».

ومن الأقباط :

مارية القبطية صاحبة قرية طاء النمل . وقد ذكر المقريزي أنها عندما دعت المأمون إلى قريتها « جاء ولدها إلى صاحب المطبخ وساله: كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته؟ فاحضر جميع ذلك اليه بزيادة، وكان مع المأمون أخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق

---

(١٤) الرميس : هو ولد الضأن الصغير
(١٥) الجام جمع جامات وأجوام: وهى كلمة فارسية بمعنى الكاس.

والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي احمد بن ابي دواد، فأحضرت لكل منهم ما يخصه على انفراده، ولم تكل أحد منهم ولا من القواد إلى غيره، ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا، حتى إنه استعظم ذلك».

وقبل الخوض في أنواع الطعام والشراب في هذا العصر، يجب أن نوضح أن معظم ماورد ذكره كان قاصرا على موائد الأغنياء، اما الفقراء وعامة الشعب، فقلما عرفوا ذلك. فيقول عبد اللطيف البغدادي:

« وأما عوامهم، فقلما يعرفون شيئا من ذلك، وأكثر اغذيتهم الصِّير والصحناه [16]، والدلّينس، [17]، والجبن والنيدة ونحو ذلك، وشرابهم المزر وهو نبيذ يتخذ من القمح».

وقد رأينا عند تناولنا لمطبخ دار الحرم في زمن كافور، أن هذه الأطعمة التي كانت تباع، كان لا يستطيع الرجل العادى أن يصنعها فى بيته، فيقول المقريزي :« فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله، ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك».

ويبدو أن هذه الأطعمة كانت تكلفتها عالية، فيذكر ابن سعيد أن طبق «الحماضية» الذى صنع للاخشيد بلغ ثمنه مائة دينار.

كان الخبز يعد من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية، سواء فى ذلك طعام العامة أو الخاصة. وقد روى الكندى عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، حديثا يرفعه إلى الله عز وجل، يقول يوم القيامة لساكنى مصر، فيما يعدد عليهم من نعمته:

---

(١٦) الصحناة كلمة فارسية وهى ما يطلق عليها العرب الصير. والصير هو السمك الصغير الذى يصاد من النيل عند الفيضان وانصراف الماء، ولايزيد عن الأصبع فى حجمه، ويسمى ايضا الملوحة، اذا كبس بالملح، ويسمى اذا كان طازجا البسارية، وتؤكل مشوية ومقلية.

(١٧) ويعبر المقدسى عن هذه الأكلة بأنها اقذر شئ «حيوان بين زلفتين صغيرتين، يفلقان ويحسى مثل المخاطه. ويبدو لنا انه يقصد بهذه الاكله ام الخلول».

« ألم أسكنكم مصر، فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها »؟ وعندما تولى موسى بن كعب من قبل المنصور عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م كان يقول:« كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان »!

وقد كانت كل مدينة تبنى، يبنى فيها عدة افران، بل إن دار عبد العزيز بن مروان كان بها عدة افران كما ذكرت في موضع سابق.

ومن أنواع الخبز التى عرفت بمصر: الخبز الحوارى، وكان من أجود أنواع الخبز في عهد الطولونيين والاخشيديين، وكان يصنع من الدقيق الأبيض المنخول.

ومن أنواع الخبز ايضا نوع يسمى كعكا، وكان ـ كما يقول المقريزى ـ يعمل من جريش الحنطة ويجفف. ويكثر هذا النوع عند فلاحيهم، وهو اكثر اكلهم السنة كلها، ويعرف أيضا بكعك مصر الخشن.

ويذكر ابن سعيد أن أبا بكر محمد بن على المانرائى كان قد عمل كعكا لحاشيته، وعزم على الخروج إلى مكة، فتوفى وكان ذلك عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، فباعوا الكعك للناس ولم يتصدقوا به بعد موته.

ويذكر البلوى أن رغيف الخبز فى الدولة الطولونية كان به رطلان زائدان.

ومن الأطعمة أيضا:

الترمس، وكان من الحبوب التى يقبل الناس على أكلها، فكان يسلق وينقع فى الماء عدة أيام لتذهب مرارته، كما كان يحلى أو يملح.

كما كان العدس من الاطعمة التى يقبل عليها الناس، وخاصة الاقباط. وقد ذكرت فى موضع سابق انه كان للاقباط عيد يعرف بخميس العهد، فكانت العامة تطلق عليه خميس العدس، لان الاقباط كانوا يطبخون فيه

العدس بأصناف عدة. ويذكر آدم متز أن العدس كان يعتبر طعام حداد، وأن نصارى مصر يأكلونه في كل يوم جمعة.

وكان الحمص المسلوق من الأطعمة التي ينتشر بيعها في الأسواق، فقد ذكر المقريزي أنه كان خارج مدينة الفسطاط سوق عظيم يباع فيه حمص مسلوق، فكان به عدد ٣٩٠ قدر حمص مسلوق.

ومن الأطعمة أيضا السويق. وطريقة صنعه ان تحمص الحبوب جيدا، ثم تطحن ويصنع من دقيق الحنطة أو الشعير أو الفول، وأحيانا يطحن مع الحبوب البلح والسكر وهو طعام سهل التجهيز، وتصنع منه غالبا العصيدة أو الثريد بإضافة الماء او الزبد .

كما كان أهل مصر يأكلون الجلبان، وخاصة الرهبان منهم.

ومن أشهر أكلات العرب التي عرفت في مصر الثريد، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق، ويوضع فوقه اللحم.

ومن الأكلات التي ذكرت في الدولة الطولونية:

فراريج كردباج حارة: والصحيح فراريج كردناج، وهومعرب كردناك، وهو شواء في سَفُّود يقلب على النار لينضج ويوء كل.

بزْماوَرْد، أو الزماورد: طعام قيل هو الرقاق الملفوف باللحم ويسمى لقمة القاضي. وقيل هو طعام من البيض واللحم، وهو لفظ فارسي. وصنعته ان يوءخذ الشواء الحار الذي فتر وهجه، ويقطع ويجعل عليه ورق النعنع، ويسير من خل خمر وليمون مملوح ولب جوز، ويرش عليه يسير ماء ورد، ويدق بالساطور دقا ناعما، ولايزال يسقي خلا إلى أن يشربه جيدا، ويوءخذ الخبز السميذ الملبب، فيخرج لبابة، ثم يُحشي من ذلك الشواء حشوا جيدا، ويقطع ويبل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد، ثم يفرش فيه نعنع طري، ويعبي فيه بعضه فوق بعض، ويغطي أيضا بشيء من النعنع، ويترك ساعة ثم يوء كل.

ومن الأكلات التى ذكرت فى الدولة الاخشيدية:

الهريسة، وهى مصنوعة من لحوم الضأن والبقر والدجاج، ودقيق بعض الحبوب مثل القمح بالاضافة إلى البصل والتوابل بنسب محددة.

البقرية، وكان الاخشيد يحبها.

وقد كثر فى الأسواق المصرية فى ذلك الوقت الأماكن الخاصة ببيع الشواء، وهو المعروف اليوم باسم «الكباب» حتى إن الاخشيد حذر الشاعر أبو القاسم سعيد المعروف بقاضى البقر من شراء شواء من محل «دار فرح» لأنه يباع نيا ويخلط بلحم الماعز .

ومن الحلوى:

النيدة: وهى تعمل من بقول القمح، وقد روى عن مريم عليها السلام أنها عندما دخلت إلى مصر ومعها ابنها عيسى عليه السلام وهو رضيع، شكت إلى الله تعالى قلة اللبن بها، فألهمها الله تعالى أن غلت النيدة، وأطعمت منها عيسى عليه السلام.

عسل النحل: وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أهدى اليه من المقوقس هدية، من ضمنها عسل نحل من بنها، فلما أكل منه اعجبه، فقال: من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية من قرى مصر، يقال لها بنها، فقال: اللهم بارك فى بنها وفى عسلها.

القُنُود[18]: وهى الحلاوة المصنوعة من قصب السكر، فكان أهل الصعيد يكسرون قصب السكر فى شهر كيهك (ديسمبر)، ويعتصر، ويعمل منه الطباخون القنود، ثم يحملونها إلى الفسطاط وغيرها من المدن، فتباع هناك .

---

(١٨) القَنْد جمع قنود: عسل قصب السكر اذا جمد، وهي كلمة فارسية معربة.

الكنافة: يذكر القرماني أنها صنعت في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م)، فكان يتسحر في ليالي رمضان كل ليلة بثمانين رطل كنافة. وهي مبالغة كما هو واضح.

ومن الحلويات التي ورد ذكرها في الدولة الطولونية:

الفالوذج أو البالوظة، واللُّوزينج وهي تشبه القطائف وتعمل بدهن اللوز، والقطائف،والعصيدة التي تعرف بالمأمونية.

هذا إلى جانب صنف ذكره ابن سعيد يعرف باسم : سماني زيرباجا.

ومن الحلويات التي ورد ذكرها في الدولة الاخشيدية:

الحماضية: وكان الاخشيد يحبها، وهي تعمل من الأترج، ويوضع فيها ماء الورد والمسك، والأفاويه، والجوازيه.

الكعك المحشو بالسكر: ويذكر المقريزي انه عمل في أيام ابي بكر محمد ابن على المادرائي .

افطن له!: وقد عمل في أيام أبو بكر محمد بن على المادرائي، ويقول المقريزي عن سبب تسميته بذلك:« كان قد سمع في سيرة المادرائيين أنه عمل له هذا ال «أفطن له»، وفي كل واحدة خمسة دنانير، ووقف أستاذ على السماط فقال لأحد الجلساء: أفطن له! وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس، لكن ما فيه الدنانير صحنا واحدا، فلما رمز الأستاذ لذلك الرجل بقوله: افطن له، وأشار إلى الصحن، تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه، فحصل له جملة، ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره، فتنبهوا له، وتزاحموا عليه، فقيل لذلك من يومئذ «افطن له ».

ويذكر البغدادى فى كتابه انهم كانوا يطبخون الدجاج كصنف حلو، وذلك بأن يسلق الدجاج، ثم يوضع فى الجُلاّب [١٩]، ويلقى عليه بندق أو فستق أو خشخاش أو بذر رجلة او ورد، ويطبخ حتى ينعقد، ثم يتبل ويرفع، وتسمى هذه الاصناف باسم حشوها، فتعرف بالبندقية، والفستقية، والخشخاشية، وست النوبة لبذر الرجلة لسوادها، والوردية.

ثانيا : الشراب.

اذا كان الخبز هو الطعام الذى لا تخلو منه المائدة المصرية على مر العصور، فان الماء يعتبر الشراب الرئيسي على تلك المائدة.

وقد أورد المقريزى العديد من الطرق التى كانت تتبع لتنقية ماء النيل، ليكون صالحا للشرب، وذلك بترسيب المواد الغريبة العالقة بالماء باستخدام الطباشير وانواع من الطين وقلوب نوى المشمش، أو بتقطيره فى أوان من الخزف والفخار أو الجلود، وذلك بعد غليه وتركه يبرد .

وكان عامة المصريين يهتمون بتبريد الماء فى الصيف باستخدام آنية من الخزف والفخار لهذا الغرض، وفى الشتاء يوضع الماء فى آنية من الزجاج المدهون، وغالبا ماكان يضاف إلى ماء الشرب القليل من ماء الورد، وأحيانا يبخر الاناء بأنواع الأبخرة الطيبة لتجويد مذاق الماء .

ويذكر ياقوت ان أهالى تنيس عندما تتكامل زيادة النيل تغلب حلاوته على ماء البحر، فتصبح بحيرة تنيس حلوة، فحينئذ يدخر أهالى تنيس المياه فى صهاريجهم ومصانعهم لمدة عام.

كما يذكر ياقوت عن نَسْتَرو، وهى جزيرة بين دمياط والاسكندرية - بأنه ليس عند أهلها ماء، وانما يأتيهم الماء فى المراكب، فاذا لاحت لهم مراكب الماء، ضربوا بوق البشارة سرورا، ثم يأتى كل رجل بجرته يأخذ فيها الماء .

---

(١٩) الجلاب أو الجلاّب : العسل أو السكر عقد بماء الورد.

وعرف الأغنياء في مصر، ولاسيما في العصر الاخشيدي، الماء المثلج، وكان الثلج بمصر يستعمل في تبريد الماء والمشروبات. ولكن الظاهر أنه لم يكن يصل إلى مصر كل يوم بانتظام.

ومن الأشربة التي وجدت في تلك الفترة:

الشمسي: وهو من أجود الأشربة كما يقول المقريزي، ويدخل في صناعته الزبيب والعسل، ويصنع في الوقت الشديد الحرارة.

المزر: وهو شراب يعمل من الشعير، ويستعمل عند بعض الناس بدل الخمر، واذاأكثر من شربه ـ كما يقول ابن البيطار ـ فإنه يؤدي إلى الغثيان والقيء. وقد ذكره البغدادي باسم المزد، وقال عنه: إنه نبيذ يتخذ من القمح، وهو شراب العامة.

شراب العسل او نبيذ العسل: ويصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضافا اليه العسل .وكان هذا الشراب ينقل من مصر إلى سائر الاقطار.

الشوبية: يذكر الكندي ان عبد الرحمن بن حجيرة كان يشربها.

المثلث: وهو شراب يطبخ حتى يذهب ثلثاه.

شراب الأقسما: وكان يصنع من السكر الابيض النقي المضاف إلى الماء، وماء الورد ويطيب بالمسك ويبرد بالثلج.

شراب الفقاع: وهو شراب يتخذ من الشعير، وقد سمي بذلك لما يرتفع في رأسه ويعلوه من الزبد.

صناعة الخمور: وكان يختص بصناعتها الاقباط فكانت تعتصر من كرومهم خاصة في شهر مسرى (اغسطس)، ويضاف اليها العسل.

ويبدو أن شرب الخمر كان منتشرا في مصر في تلك الفترة؛ لذلك نجد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ١٠١هـ/٧١٧ ـ ٧١٩م) يرسل رسالة إلى

ايوب بن شرحبيل ـ والى مصر ـ وأهل مصر، ينهى فيها عن شرب الخمر.
لذلك ففي ولاية ايوب بن شرحبيل عام ٩٩هـ/ ٧١٧م حرمت الخمر،
وكسرت، وعطلت حاناتها كما تذكر المصادر العربية.

الملابس والزينة

كان من اثر انتقال مصر من يد البيزنطيين الى يد العرب ، ومن الديانة المسيحية الى الديانة الإسلامية ، ان طرأ تغيير على ملابس الناس يواكب التغيير الجديد . فبانقسام المصريين إلى مسلمين وأهل ذمة ، اصبح للمسلمين ملابسهم ولأهل الذمة ملابسهم ، وهو لم يكن موجودا قبل الفتح .

وسنتناول في الصفحات القادمة التطور الذي طرأ على الملابس . وفقا للتركيب الاجتماعي للسكان ووظائفهم ودينهم .

كان لبس البدو - كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن - يتكون من قَبَاء[٢٠] طويل مشقوق من الوسط ، ومتدل الى العقب ، ومربوط من الوسط بحزام من الجلد ، ولايزال البدو من الرجال والنساء يستعملون هذا اللباس إلى اليوم . وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل ، وكانوا يرتدون في الحرب أو في ركوب الخيل اردية خاصة ، فيلبسون السروال عادة ، ورداء قصير بدلا من الثياب الفضفاضة.

وتذكر المصادر العربية أن الملابس التي أعطاها عمرو بن العاص لجنوده في مصر كانت تتكون من جُبَّة [٢١] وبُرْنُسا [٢٢] او عمامة وخفين .

وبمرور الوقت حدث تطور في ملابس العرب، وكان ذلك يرجع في الغالب لرغبة الخلفاء. ففي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م) شاع الوشي [٢٣] الذي كان يجلب من اليمن والكوفة والاسكندرية،

---

(٢٠) القباء جمع اقبية : وهو ثوب يلبس فوق الثياب.
(٢١) الجبة جمع جبب وجباب : وهو ثوب واسع يلبس فوق الثياب.
(٢٢) البرنس: قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الاسلام. والبرنس كذلك بمعنى كل ثوب يكون غطاء للراس جزءا منه، متصلا به.
(٢٣) الوشي جمع وشاء: نقش الثوب.

واتخذ الناس منه جلبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس .وقد بلغ من ولوعه بالوشي أنه كان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته وعماله وأصحابه ورجال بلاطه إلا في الوشي، وكان رداوه اذا جلس أو ركب أو ارتقى المنبر من الوشي .

وفي عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٤٢م) أدخل زي الخَزّ أو القُطُف أي القماش الناعم. فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه .

وفي سنة ١٥٣ هـ/ ٧٧٠م أمر أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ـ ٧٧٤م) بلبس القلانس الطوال، وهي القبعات السود الطويلة المخروطة الشكل ـ بصفة رسمية، والدراريع مكتوب عليها بين كتفي الرجل (فسيكفيكهم الله). كما أمرهم بتعليق السيوف في أوساطهم، كما أدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب، وغدا خلعها على الناس من حق الخليفة.

وينسب إلى الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ ـ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) أنه أول من اتخذ الزي الفارسي زيا رسميا.

وفي خلافة المتوكل (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١ م) أوجد زيا عرف بالمتوكلية، وهو نوع من ثياب الملحم أي المبطن، وقد فضله على سائر الثياب، واتبعه مَن في داره على لبس ذلك، كما لبسه الناس وبالغوا في ثمنه وهو غاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع.

وفي خلافة المستعين بالله (٢٤٨ـ ٢٥٢هـ / ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) صغَّر القلانس، وأحدث لبس الأكمام الواسعة التي لم تكن تعهد من قبل، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك. وكانت هذه الأكمام تقوم مقام الجيوب، يحفظ فيها الانسان كل ما يحتاج إلى حفظه من اقلام وكراريس وأموال ودواة وغيرها.

ولم يقتصر تطور ملابس العرب على الخلفاء، بل كان لبعض الولاة دور في هذا التطور، ففي عام ٨٧هـ/ ٧٠٥م منع عبد الله بن عبد الملك والي مصر

(٨٦ ـ ٩٠هـ/٧٠٥ ـ ٧٠٨م) من لبس البرانس. وتذكر المصادر العربية أنه هو أول من نهى الناس عن لبس البرانس السود.

وفي أثناء ولاية يحيى بن داود على مصر من قبل المهدي (١٦٢ـ ١٦٤هـ/٧٧٨ـ٧٨٠م) أمر الفقهاء والأشراف والأعيان بلبس القلانس الطوال عند الدخول عليه لمقابلته، وذلك في يومي الاثنين والخميس ـ بلا أرْديَة [٢٤].

وقد اختلفت ملابس عمال الدولة، تبعا لوظائفهم، فكان الكُتّاب يلبسون الدراعات، وهي ثياب مشقوقة من الصدر.

أما القضاة فكان لهم زي خاص، ويذكر أن أول من ميزهم بلباس مخصوص بهم هو القاضي أبو يوسف في عهد هارون الرشيد. فكان القاضي يلبس السواد كهيئة عمال بني العباس، وكانت ملابسه تتكون من طيلسان أسود وعمامة سوداء.

ويذكر الكندي أن القاضي المفضل بن فضالة الذي تولى القضاء من قبل المهدي (١٦٨ـ ١٦٩هـ / ٧٨٤ـ ٧٨٥م) كان «يعتم بعمامة سوداء على قَلَنسيّة طويلة».

أما القاضي اسماعيل بن اليسع الذي تولى القضاء من قبل المهدي (١٦٤ـ ١٦٧هـ/ ٧٨٠ـ ٧٨٣م) فيذكر الكندي انه كان يصلي الجمع وعليه كساء مربع من صوف وقطن وقلنسية حبْر.

وعندما تولى محمد بن أبي الليث الخُوَارزمي القضاء من قبل المعتصم (٢٢٦ـ ٢٣٥هـ/ ٨٤٠ ـ ٨٤٩م) أمر الشيوخ بعدم لبس القلانس، فيقول الكندي : «كان زي أهل مصر وجمال شيوخهم وأهل الفقة والعدالة منهم لباس القلانس الطوال، وكانوا يبالغون فيها، فأمرهم ابن أبي الليث بتركها،

(٢٤) الرداء جمع أردية : ما يلبس فوق الثياب كالعباءة والجُبّة.

ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضي وزيه، فلم ينتهوا. قال ابن عثمان: فجلس ابن أبي الليث في مجلس حكمه في المسجد، واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس، فأقبل عبد الغني ومَطَر، فضربا رؤوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم».

ويبدو أن القضاة كانوا ملزمين بالزي المخصوص بهم. فمثلا عندما ولي الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل (٢٣٧- ٢٤٥هـ/ ٨٥١- ٨٥٩م) طُلب منه أن يلبس السواد، فامتنع، فخوفه أصحابه سطوة السلطان به، وقالوا: سوف يقال إنك من موالي بني أمية! فأجابهم إلى لباس كساء أسود من الصوف.

كما يحكي أيضا أن القاضي أبا زُرْعة محمد بن عثمان الذي تولى القضاء من قبل هارون بن خمارويه (٢٨٤- ٢٩٢هـ/ ٨٩٧- ٩٠٤م) قدم دمشق على الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب فقال له:«يا أبا زرعة، بلغني أن القضاة والشهود يركبون بغير سراويل - واتفق أني كنت بغير سراويل - فعاهدت الله إن سلمت من التفتيش أن لا أعود، فسهَّل الله أن نهضت قبل أن يمتحنني بالتفتيش».

وقد اختلفت ملابس الطبقة الراقية الغنية عن ملابس العامة، لذلك كان من السهولة التفريق بين طبقات المجتمع في ذلك الوقت.

وكان اللباس العادي للطبقة الراقية يشتمل على سراويل فضفاضة وقميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعمامة أو جبة.

ولم يكن الأغنياء يتأنقون في ملابسهم فحسب بل كانوا يتسابقون كذلك إلى الحصول على النادر والثمين منها. وكانت الفراء الغالية معروفة بين الأغنياء، ولم يكن لبسها وقفا على النساء بل كان الرجال يلبسون المعاطف المصنوعة من الفرو.

يقول ابن سعيد: «وحدثني مزاحم بن رائق قال : استعمل لي فرو قام عليّ بستمائة درهم، فمن حسنه وفرحي به لبسته بدمشق، وركبت إلى الاخشيد، فلما رآه قلّبه واستحسنه و قال : مارأيت مثله قط! فلم تسمح نفسي بأن أنزعه للوقت، فلما انصرف اعترضني جانك (وهوالمعروف بفاتك) وقال لي : اجلس فان الاخشيد يريد أن يخلع عليك ! وجاء وا برزمة وقالوا اخلع الفرو، وطووه ومضوا به. وبقيت جالسا ثم قالوا : قد نام، تعود اليه العشية! فانصرفت إلى داري، وقلت: هاتوا الفرو! فقالوا: ايما فرو!! ماجاء نا شيء! فلما كان عشية دخلت على الاخشيد فاذا الفرو عليه، فلما رآني ضحك وقال: كيف رأيت؟ ما أصفق وجهك! ولكنك ابن أبيك، وكم عرضت لك وأنت لا تستحي فلم تفعل، حتى اخذناه بلا شكر ولا منة».

وكان الاغنياء من الرجال والنساء، يلبسون الجوارب المصنوعة من الحرير أو الصوف أو الجلد ويسمونها (موزاج).

أما عامة الناس فكان لباسهم يشتمل على إزار [٢٥] وقميص ودراعة وسترة طويلة وحزام، وكانوا ينتعلون الأحذية والنعال.

وكان لباس الراس هو العمامة وهي عادة من عادات العرب، وكان حجمها يختلف تبعا للسن والمركز العلمي وغيرهما. وكانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة، وهو عبارة عن منديل كبير متدل إلى الكتفين ليقي الرقبة حرارة الشمس.

هذا فيما يتصل بملابس الرجال، أما مايتصل بملابس المرأة فكانت تتكون من سروال فضفاض، وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في البرد، واذا خرجت المرأة من بيتها ترتدي الحِبَرة وهي ضرب من برودالیمن، وهي ملاءة طويلة سوداء تغطي جسمها، وتقي ملابسها من التراب والطين، وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة.

---

(٢٥) الإزار او المئزر كما يسمى أحيانا عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على الجسم، تعقد على وسطه من تحت السرة، وربما فيها ازرار.

وقد تطورت ملابس النساء في العصر العباسي تطورا ظاهرا عما كانت عليه في العصر الأموي، اذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء للرأس (البرنس) مرصعا بالجواهر، محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة. ويرجع ابتكار هذا الغطاء إلى علية بنت المهدى وأخت الرشيد. وكانت نساء تلك الطبقة يعلقن الحُجُب بزنار [٢٦] البرنس للزينة.

أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رؤوسهن بحلية مسطحة من الذهب، ويلففن حولها عصابة مرصعة باللؤلؤ والزمرد، ويلبسن الخلاخل في أرجلهن والأساور في معاصمهن وأزنادهن، ولم يجهلن فن التجميل الذى أخذنه عن الفارسيات، وكان «طابع الحسن» الصناعي مما يتحلى به الاعرابيات.

ولم تكن الملابس تختلف فقط بين طبقات المجتمع وانما كانت تختلف أيضا بين الحضر والريف، وبين كل مدينة وأخرى فيذكر الوطواط أن اهل مدينة بلبيس كانوا يأخذون بزى اهل مصر.

ملابس أهل الذمة:

عندما فتح العرب مصر، لم تكن ثمة حاجة لالزام المصريين بلبس معين يميزهم عن العربي، اذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم دون جبر أو الزام، على ان الحاجة استلزمت هذا الالزام فيما بعد، حين أخذ العرب بحظ من التمدن، إذ حمل الاغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء بهم في ملبسهم، والتشبه بهم في ثيابهم.

ومن هنا، ولتمييز أهل الذمة عن المسلمين، أخذ الخلفاء يصدرون المراسيم بخصوص الملابس.

وقد كان اول هؤلاء الخلفاء هو عمر بن عبد العزيز، فيذكر ابن عبد الحكم انه كتب إلى عماله يقول:« لا يمشي نصراني إلا مفروق الناصية، ولا

---

(٢٦) الزُنّار جمع زنانير: ما يشد على الوسط . وهى كلمة يونانية.

يلبس قباء، ولا يمشي إلا بزنار من جلود، ولايلبس طيلسانا ولا سراويل ذات خَدَمة [٢٧]، ولا نعلا لها عَذبة».[٢٨]

وفي خلافة هارون الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٨م) طلب منه أبو يوسف تمييز اهل الذمة، بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات (مثل الخيط الغليظ يعقد في وسط كل واحد منهم)، وبأن تكون قلانسهم طوالا. فيقول له:«مرعمالك أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي، هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي وقال:حتى يعرف زيهم من زي المسلمين» [٢٩]. وإن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن « لايلبس نصراني قباء، ولا ثوب خز ولا عصب. وقد ذكر لي أن كثيرا من قبلك من النصارى راجعوا لبس العمائم، وتركوا المناطق على أوساطهم».

وفي عام ١٩١هـ / ٨٠٦م أمر هارون الرشيد أهل الذمة بتمييز لباسهم وهيئاتهم في بغداد (مدينة السلام) وغيرها من البلاد .

وفي عام ٢٣٥هـ / ٨٤٩م الزم المتوكل أهل الذمة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير، وبتصيير زِرّين على قَلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون، وبتصيير رقعتين على ماظهر من لباس مماليكهم (رجالهم) مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه، وأن تكون احدى الرقعتين بين يديه عند صدره، والأخرى منهما خلف ظهره، وتكون كل واحدة من الرقعتين قَدْر أربعة أصابع، ولونهما عسليا. ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلي، ومن خرج من نسائهم فبرزت، فلا تبرز إلا في إزار عسلي. وأمر بأخذ مماليكهم بلبس الزّنانير ويمنعهم لبس المناطق.

---

(٢٧) خَدَمة: الخلخال. المُخَدَّم والمُخَدمة: رباط السراويل عند أسفل الرجل

(٢٨) العَذَب: الاطراف من كل شئ.

(٢٩) ترى الدكتورة سيدة كاشف أن ماورد في كتب الفقهاء عن أمور اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الذمة بخصوص ملابسهم والدواب التي يركبونها، مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية - قد أصابها الزيادات الكثيرة، والتأويلات وسوء التفسير والتحريف خاصة منذ القرن ٥ هـ / ١١م. فليس من المعقول أن يتدخل عمر بن الخطاب في ملابس أهل الذمة حتى ولو تشبهوا بالعرب القادمين، والمعقول أن العرب الذين كانوا في دور البساطة زمن الفتح هم الذين أخذوا يتشبهون بأهل البلاد المفتوحة في ملابسهم، حين بدأوا يتخلون عن عهد البساطة الأول، ويسيرون في ركب التطور والمدنية.

وفي عـام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م زاد المتـوكل في التـغليظ على أهل الذمـة في التمييز في اللباس وفي عام ٢٣٩هـ/٨٥٣م أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس دُرّاعتين عسليتين على الأقبية والدراريع.

ويذكر ابن الراهب ان المتوكل امر أن لا يلبس أحد من النصارى واليهود ابيض بل مصبوغا.

وفي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م امر المقـتدر بالله اهل الذمة بلبس العسلي، وتعليق الرّقاع المصبوغة بين أظهرهم .

ويورد الأبشيهي قائمة بما تراه جماعة الشافعية من القيود على الملابس، فيقول :

«قال أصحاب الشافعي : ويلزمهم أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين، وأن يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة، ويشدوا الزنانير على اوسـاطهم، ويكون في رقابهم خاتم من نحاس أو رصـاص أو جرس يدخلون به الحمام، وليس لهم ان يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات. وأما المرأة فانها تشد الزُّنار تحت الإزار، وقيل فوق الإزار وهو الأولى، ويكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام، ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض.

ويقول القلقشندي في كتابه تحت عنوان (في ذكر مايحتـاج الكاتب الى معرفته في عقد الذمة):

«التمييز عن المسلمين في اللّباس: بأن يخيطوا في ثيابهم الظاهرة مـا يخـالف لونهـا، سـواء في ذلك الرجـال والنسـاء. والأولى باليـهود الأصـفـر، وبالنصارى الازرق والأكْهَب (وهو المعبر عنه بالرمادي)، وبالمجوس الأسود والأحمر، ويُشدُّ الرجال منهم الزُّنَّار من غير الحرير في وَسَطه، وتشُدّه المرأة تحت إزارها، وقيل فوقه. ويميزون ملابسهم عن مـلابس المسلمين، وتغاير المرأة لون خُـفَّيْـهـا بان يكون احـدهمـا ابيض والآخر اسـود، و نحـو ذلك. ويُجعل في عنقه في الحمام جُلجُلا او خاتما من حديد. وان كان على راس احدهم شـعر أمر بَجِّز ناصـيته. ويمنعون من ارسـال الضـفـائر كما تفعل

الاشراف. ولهم لبس الحرير والعمامة والطيلسان. والذى عليه عرف زماننا فى التمييز ان اليهود مطلقا تلبس العمائم الصفر، والنصارى العمائم الزرق».

وبالنسبة للزينة :

فقد كان أهل اليسار يقبلون على التطيب بالروائح العطرية إقبالا عظيما – كما تقول الدكتورة سيدة كاشف. وقد روى ابن زولاق أن الحسين بن أبى زرعة – أحد قضاة مصر زمن الاخشيد – كان يبالغ فى التطيب. وكان الاخشيد يحب العنبر ويجمع منه مقادير كبيرة. فيقول ابن سعيد: «وكان قد اشتهر عنه محبة العنبر، وكان اكثر ما يهدي اليه، فكان اذا جاءت هذه الأوقات التي يهدي اليه فيها، أخرج من خزانته العنبر الى التجار فيشتريه الذين يهدونه اليه، فيحصل له الثمن الوافر ثم يعود العنبر. اقام سنين كثيرة يعمل هذا، وقيل إنه اجتمع عنده قناطير. واحترق فى سنة ثلاث واربعين (وثلاثمائة) فى دار أبى الفضل بعقبة ابن فليح لجاريته أم أولاده، عنبر كثير، كان يُشم على بعد، وكنت أسمع الناس يقولون: احترق لهم فى دار أبى الفضل عنبر، وأسفاط وأعدال، وصيني، مامبلغه مائة ألف دينار».

ويقول ابن سعيد فى موضع آخر: «كانت خزانة طغج للطيب تحمل فى سفره على نيف وخمسين جملا».

الألعاب ووسائل التسلية

مع اصطباغ المجتمع المصرى بالصبغة العربية، كان من الطبيعى أن تصطبغ عاداته وتقاليده بالصبغة العربية أيضا، ومن هذه العادات مايتصل بالألعاب ووسائل التسلية التى عرفتها مصر بعد الفتح العربى.

ومن وسائل التسلية والألعاب التى كانت منتشرة فى مصر، وذكرتها المصادر العربية خاصة فى الفترة التى يتناولها بحثنا:

١- الشَطْرَنْج(٣٠):

وهى لعبة ذات أصل هندى، ويذكر ابن اياس أن عمرا بن العاص هو أول من ادخل علم الشطرنج إلى مصر.

٢- الحواة:

ومن الألعاب التى كانت منتشرة فى مصر خاصة فى العصر الاخشيدى الحواة الذين يلعبون بالثعابين وغيرها من الزواحف، وكان الحواة فى مصر يصيدون الحيات الضخمة، ويتباهون فيما بينهم بأحجامها وبالنادر من أجناسها، ويعرضون ألعابهم فى المجالس الخاصة. وكان بعض الشخصيات لهم هواية جمع الأفاعى والحيات، فقد ذكرت فى موضع سابق أن الوزير جعفرين الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة كان يربى الحشرات والأفاعى لدراسة خواصها وطباتعها. ويذكر المقريزى أنه كان فى داره قاعة مصنوعة بالرخام يوجد بها سلات الحيات ولها حاو من الحواة ومعه مستخدمون لهم رواتب ثابتة، وأنه كان له وقت معين يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما فى السلات ويعرضون ألعابهم، وكان ابن حنزابة « يتعجب من ذلك ويستحسنه».

ويذكر المقريزى أن كل حاو فى مصر كان يصيد مايقدر عليه من الحيات، ويتباهون فى ذوات العجب من أجناسها، وفى الكبار منها، وفى الغريبة المنظر. وأن الوزير ابن حنزابة كان يثيبهم على ذلك ويبذل لهم الأموال حتى يجتهدوا فى تحصيلها.

---

(٣٠) يذكر الأبشيهى أنه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر، القطعة منه قدرت بثلاثة الاف دينار.

٣- الصيد :

وقد كانت هواية الصيد منتشرة في مصر، خاصة بين الأمراء . ومن أشهر الولاة الذين كانوا مغرمين بهواية الصيد خمارويه بن أحمد بن طولون.

فيذكر المقريزى أنه كان يخرج للصيد فى منطقة الأهرام ومدينة العقاب. ثم يصف لنا عملية الصيد فى زمن خمارويه فيقول:« لا يكاد يَسمع بسبع إلا قصده، ومعه رجال عليهم لُبُود[٣١] فيدخلون إلى الأسد، ويتناولونه بأيديهم من غابة عَنْوة وهو سليم، فيضعونه فى اقفاص من خشب محكمة الصنعة، يسع الواحد منها السبع وهو قائم، فاذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه».

وكان خمارويه قد بنى لكل نوع من الحيوانات دارا له، فكان له دار للسباع، عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته، وعلى تلك البيوت ابوابا تفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة تلك البيت، يفرشه بالزبل، وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فاذا أراد سائس سبع من هذه السباع تنظيف بيته، أو وضع وظيفة اللحم التى لغذائه، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت، وصاح بالسبع فيخرج إلى القاعة المذكورة، ويرد الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق فيكنس الزبل، ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف، ويضع الوظيفة من اللحم فى مكان معد لذلك بعد ما يخلص مافيه من الغدد، ويقطعه لهما، ويغسل الحوض ويملأه ماء، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه، وقد عرف السبع ذاك، فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الأسد فاكل ما هيىء له من اللحم حتى يستوفيه، ويشرب من الماء كفايته، فكانت هذه مملوءة من السباع، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج إلى القاعة وتتمشى فيها وتمرح

(٣١) اللِبْد جمع لُبُود وألْباد: كل شعر أو صوف متلبد. واللُبادة: ما يلبس منه للمطر.

وتلعب، فتقيم يوما كاملا إلى العشى، فيصيح بها السواس، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره. ويذكر المقريزي أن من ضمن هذه السباع كان هناك سبع أزرق العينين يقال له« زريق»، قد أنس بخمارويه وصار مطلقا في الدار لا يؤذي أحدا، وكان خمارويه يطعمه، وكان يحرس خمارويه اذا نام فلا يقدر احد أن يدنو من خمارويه، وكان في عنقه طوق من ذهب .

كما كان للنمور دار خاصة بها، وللفهود دار، وللفيلة دار، وللزرافات دار، وكان لهذه الدور وكلاء لهم الرزق السني والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.

٤- الكُرَّج :

ومن تماثيل اللهو واللعب الكُرَّج بضم الكاف وفتح الراء المشددة، معرب كرة بالفارسية، وهو تمثال مُهْر من خشب يلعب به.

وهي لعبة أحدثت في الدولة العباسية، وعنها يقول ابن خلدون:

«واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان، ويحاكين بها امتطاء الخيل، فيكرون ويفرون ويثاقفون [٣٢] وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو. وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق، وانتشر منها إلى غيرها ».

ويبدو أن هذه اللعبة قد انتقلت إلى مصر من ضمن البلاد التي انتقلت اليها، وخاصة أن ابن سعيد يذكر أن الفضل بن جعفر بن الفرات وزير الراضي بالله العباسي، عندما وصل إلى مصر بعد أن ملكها محمد بن طغج الاخشيد، كان مما عملوه في الاحتفال بمقدمه تمثال فرس من خشب ينحدر ويصعد، ولعله ــ كما يقول احمد تيمور باشا ــ من هذا النوع المسمى بالكرج أو شبيها به. فيقول ابن سعيد:

(٣٢) أي حاول كل منهما ان يدرك الآخر ويظفر به.

« ثم دخل الوزير الفضل بن جعفر إلى مصر، وقد ملكها الاخشيد، فتلقاه الاخشيد، وخلع عليه عند باب المدينة خلعا سلطانية، وزينت لهما المدينة، ونصب لهما على جوسق ابن الخلا طى فرس من خشب ينحدر ويصعد و ابن الخلاطى راكب عليه، وأكثر الناس ينظر اليه».

٥- لعب القمار:

على الرغم من تحريم الدين الإسلامى للقمار إلا انه استمر اللعب به، بل كان للقمار دور خاصة يلعب المقامرون فيها، ويظهر ذلك بوضوح فى الدولة الاخشيدية ومما ذكره ابن سعيد يظهر نظام اللعب فى دور القمار، فيقول:

«وأمر الاخشيد في وقت من الأوقات بهدم المواخير ودور المقامرين والقبض عليهم. وأدخل عليه جماعة من المقامرين وعرضوا عليه، وفيهم شيخ له هيئة، فقال: هذا الشيخ مقامر؟ فقالوا: هذا يقال له المطمِّع. فقال الاخشيد: وايش المطمع؟ فقالوا: هو سبب عمارة دار القمار، وذلك أن الواحد اذا قمر ما معه، قال له: فالعب على ردائك فلعلك تغلب، فاذا ذهب رداوه قال له: إلعب على قميصك حتى تغلب به، كل شىء حتى يبلغ نعليه، وربما اقترض له.

ولهذا الشيخ جراية يأخذها على هذا كل يوم من متقبل دار القمار. فضحك الاخشيد وقال: ياشيخ تب إلى الله وحده من هذا! فتاب، وامر له الاخشيد بثوب ورداء وألف درهم وقال: يجرى عليه فى كل شهر عشرة دنانير. فانصرف الشيخ شاكرا داعيا. فقال: ردوه، وقال: خذوا ما أعطيناه وابطحوه، فضربه ستمائة عصا، ثم قال: خلوه، أين هذا من تطميعك!!».

٦- سباق الخيل :

كان سباق الخيل من الألعاب المعروفة عند العرب فى الجاهلية، وكان العرب تراهن على سباق خيلها، وكانوا يعدون ذلك فخرا يتفاخرون به ويتمادحون بسببه. وكان من عاداتهم انهم كانوا اذا سبق الفرس الْحَلْبَةَ وبرز، قلدوه شيئا ليعرف انه سبق وسموه الْمقلَّد. وكان من عاداتهم أيضا

ان يمسحوا وجه الفرس اذا جاء سابقا. كما كان من عاداتهم أن يجعلوا للفرس الذى يجيء فى آخر الحلبة حبلا، ويحملوا عليه قردا، ويعطوا للقرد سوطا فيركضه القرد، ويُعير بذلك صاحب الفرس.

وكان بعضهم اذا تخلف فرسه عن الحلبة، يرميه بالنبل حتى يسقط بالأرض، كما كانوا يستعملون في سباقهم ورهانهم طريقة القمار.

وتشير المصادر العربية إلى أول سباق تم فى مصر، هو الذى كان فى زمن عمرو بن العاص، فيذكر ابن الجوزى أن عمرو بن العاص أجرى بمصر الخيل. وقد كان لهذا السباق حادثة مشهورة ذكرتها فى موضع آخر، وهى باختصار عندما سابق فرس أحد أهل مصر فرس محمد بن عمرو بن العاص، فأشار محمد بن عمرو بن العاص إلى الفرس السابقة بقوله: فرسى ورب الكعبة! مما جعل صاحب الفرس يقول نفس العبارة: فرسى ورب الكعبة. فضربه محمد بن عمرو بن العاص وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. فسافر صاحب الفرس إلى عمر بن الخطاب وحكى له ظلامته، وما تبع ذلك من ارسال عمر بن الخطاب رسالة إلى عمرو بن العاص يستدعيه هو وابنه، ثم عندما امتثلا بين يديه طلب من المصرى أن يضرب ابن عمرو ثم عمرو نفسه.

وقد عنى أحمد بن طولون بحلبات السباق، فبنى مكانا لعرض الخيل سماه «المنظر». وقد كانت حلبة السباق فى أيام الدولة الطولونية، خاصة فى زمن خمارويه - كما يقول المقريزى - تقوم مقام الأعياد، لكثرة الزينة، وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك، كما يجلسون فى الأعياد، وتطلق الخيل من غايتها، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق.

وقد اعتبر عرض الخيل فى الدولة الطولونية من عجائب الاسلام الأربعة - كما يقول القضاعى - وهى عرض الخيل هذا، ورمضان بمكة، والعيد بطرسوس، والجمعة ببغداد.

أما حلبة السباق في الدولة الاخشيدية، فيبدو أنها حاكت حلبة السباق التي كانت في الدولة الطولونية، فيذكر ابن سعيد أنه في عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م شرع الاخشيد في إجراء الحلبة على رسم أحمد بن طولون.

وقد كانت تقام سباقات دولية للخيول - في فترة بحثنا - كما يظهر ذلك من المصادر العربية. فيذكر الكندي أنه في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م) عزم على أن يجري الخيل، ويمتحن خيل البلدان، فكتب إلى سائر الأمصار أن يتخير له خيل كل بلد، ويتوجه به اليه، فلما اجتمعت، عرضت عليه، فمرت به المصرية، فلما راها دقيقة العصب، لينه المفاصل والأعطاف، قال: هذه خيل ما عندها طائل! (أي ليس لها قدرة) . فقال له عمر ابن عبد العزيز وهو جالس معه : وأين الخير كله إلا لهذه وعندها؟ فقال له: ما تترك تعصبك يا أبا حفص لمصر! على كل حال، فلما اجريت الخيل جاءت المصرية كلها سابقة، ما خالطها غيرها».

ويبدو أن الرهان في سباق الخيل كان موجودا في مصر رغم تحريم الاسلام للرهان،فيذكر الكندي أنه في ولاية يزيد بن عبد الله من قبل المنتصر عام (٢٤٢ - ٢٥٣هـ/ ٨٥٦ - ٨٦٧م) باع الخيل التي كانت تتخذ للسباق بمصر، وعطل الرهان الذى كان لسباق الخيل بمصر، فلم تجر إلى عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م.

ويظهر اهتمام الدولة بسباق الخيل في الدولة الطولونية ما ذكره المقريزى من وجود اصطبلات خاصة تنتج فيها الخيل لحلبة السباق، وكان لهذه الاصطبلات وكلاء، لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.

ويذكر ابن اياس أن خمارويه كان يحب الجياد من الخيل، فكان لها أنساب مثبتة في الدواوين كأنساب الناس .

ومن الخيول التي اشتهرت في مصر، وكانت ملكا للقبائل أو الاشخاص:

١- فرس ذو الريش وكان ملكا للعوام بن حبيب اليَحْصبي .

٢- فرس الخَطّار، وكان ملكا للبيد بن عُقْبة السُومي.

٣ـ فرس الذُّطُّوق، وكان ملكا لِحِمّيَر بن وائل السومى

٤ .. فرس عَجْلَى، وكانت ملكا لقبيلة عَكّ. ولها يقول الشاعر:

سَـــبقَ الاقـــوام عـــجْلى

ســبـــقـــتـــهم وهى خَــبْلى

٥ـ فرس أبْلَقَ لخم، وكانت ملكا لقبيلة لخم.

٦ـ فرس الجَوْن، وكانت ملكا لعُقْبة بن كُلَيب الحضرمى .

٧ـ لعبة الصوالجة:

وهى عبارة عن كرة كانت تصنع من مادة خفيفة كالفلين ونحوه، وتلقى فى أرض الميدان، فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بالصولجان، حيث يرسلون الكرة في الهواء وهم على ظهور الخيل. ويرجح أنها ظهرت للمرة الأولى فى بلاط الفرس حوالى القرن الرابع قبل الميلاد، وهى اللعبة المعروفة اليوم عند الانجليز باسم البولو POLO.

وقد اهتم أحمد بن طولون بهذه اللعبة، حتى إنه عندما بنى قصره، بنى فيه ميدانا كبيرا للّعب فيه بالصوالجة.

المقابر والجنازات

اتخذ عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر - سفح جبل المقطم، ليدفن فيه المسلمون، وقد حدث ذلك - كما يقول ابن عبد الحكم - عندما «سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك، وقال: أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب اليه عمر: سَلْه لم أعطاك به ما أعطاك، وهي لا تُزْدَرع، ولا يُستَنْبط بها ماء، ولا ينتفع بها؟ فسأله فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب، إن فيها غراس الجنة. فكتب بذلك إلى عمر، فكتب اليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين، ولا تبعه شيئا».

وهناك رواية أخرى يذكرها الكندي عن اتخاذ عمرو بن العاص سفح المقطم مقبرة للمسلمين فيقول: « سأل عمرو بن العاص عن سفح المقطم ومعه المقوقس، فقال: ما بال جبلكم هذا اقرع ليس عليه نبات كجبال الشام، فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا؟ فقال المقوقس : وجدنا في الكتب أنه كان من أكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة، وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام، أوحى إلى الجبال، انى مكلم نبيا من انبيائى على جبل منكم، فسمعت الجبال كلها وتشامخت، إلا جبل بيت المقدس، فانه هبط وتصاغر، فأوحى الله تعالى اليه: لم فعلت ذلك؟ وهو به أخبر، فقال: إعظاما واجلالا لك يارب قال: فأمر الله الجبال أن يحبوه، كل جبل مما عليه من النبت، وجاء له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى، فأوحى الله تعالى اني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرسها. فكتب بذلك عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكتب اليه: إنى لا أعلم شجرة الجنة لغير المسلمين، فاجعله لهم مقبرة. ففعل. فغضب المقوقس من ذلك، وقال لعمرو: ما على هذا صالحتني! فقطع له عمرو قطيعا نحو بركة الحبش يدفن فيه النصارى».

وفى وصف هذه المقبرة يقول الكندى: « والاجماع على أنه ليس فى الدنيا مقبرة أعجب منها، ولا أبهى، ولاأعظم، ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها، ولا أعجب تربة منها، كأنها الكافور والزعفران، مقدسة فى جميع الكتب، وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها ».

وقد اجمعت المصادر العربية على أن أول من دفن فى هذه المقبرة رجل من قبيلة المعافر يقال له «عامر»، فقيل: عمرت. وقبره الآن - كما يقول المقريزى - تحت حائط مسجد الفتح الشرقى .

وقد دفن فيها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أشخاص هم: عمروبن العاص، عبد الله بن حذافة السهمى، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى، وأبو بصرة الغفارى، وعقبة بن عامر الجهنى . ويقال : ومسلمة بن مخلد الأنصارى .

أما بالنسبة لمقابر النصارى، فلا نعرف من المصادر العربية - خاصة فى فترة بحثنا - إلا ما ذكرته سابقا من أن عمرو بن العاص فى مقابل أخذه لسفح المقطم منهم ليكون مقبرة للمسلمين، اقطعهم ارضا بجوار بركة الحبش. أما عن مقابر اليهود فلا تذكر المصادر شيئا عن مكانها خاصة فى ذلك الوقت المبكر، وإن كان الكندى قد ذكر فى كتابه أن أحمد بن طولون عندما ابتدأ فى بنيان الميدان سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م أمر بحرث قبور اليهود والنصارى، وبنى موضعهما ». فهل معنى ذلك أن النصارى واليهود كانوا يقبرون موتاهم فى مكان واحد؟ كما تذكر المصادر أنه فى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل أهل الذمة بتسوية قبورهم بالأرض. هذا ما تذكره المصادر العربية بالنسبة لقبور النصارى واليهود فى فترة بحثنا .

وبالنسبة لبناء القبور فلا توضح لنا المصادر أشكالها إلا فى وقت متأخر، وإن كان يبدو لنا أنها كانت فى ذلك العصر بسيطة جدا، وأن التغيرات التى طرأت على بعض قبور المزارات كانت فى فترة متأخرة تلى فترة البحث - كما فى ضريح السيدة نفيسة.

ويذكر ابن دقماق أن قبر ابراهيم بن صالح بن على والى مصر (١٦٥-١٦٧ هـ/ ٧٨١ - ٧٨٣م) كان أول قبر بيض بمصر.

أما عن صناعة شواهد القبور، فتقول الدكتورة سيدة كاشف: إن صناعة شواهد القبور كانت من الصناعات الشعبية التى ازدهرت فى مصر منذ فجر الاسلام، وكانت هذه الشواهد فى البداية بسيطة من الحجر والرخام، ثم اكتسبت طابع الاتقان تدريجيا، حين دخلت الزخرفة على الخط الكوفى الذى ظلت تكتب به إلى نهاية العصر الفاطمى .

وكان وجوه القوم وعلماؤه هم فى مصر يدفنون عند وفاتهم فى دورهم، ثم ينقلون بعد فترة من الزمن إلى المقبرة. ومن هؤلاء محمد بن على المادرانى حين توفى عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م.

ويبدو لنا أنه كان من عادة الناس فى هذه الفترة زيارة الأموات من الأقارب، كما فى العصر الحالى. فيذكر المقريزى أن محمداً بن على المادرانى، أبا بكر كان « يركب كل يوم إلى المقابر، بكرة وعشية، فيقف له الموكب حتى يمضى إلى تربة أولاده وأهله فيقرأ عندهم، ويدعو لهم».

كما كان من عادة الناس أيضا زيادة الأضرحة وأصحاب الكرامات كما فى العصر الحالى.

وكان من أهم المزارات التى ذكرتها المصادر:

١- قبر الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى. ويقول المقريزى : إنه عندما توفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م بفسطاط مصر، حمل على الأعناق حتى دفن فى مقبرة بنى زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبدالحكم .

قال القضاعى: وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك.

٢- قبر السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن على بن ابى طالب. يقول المقريزى: إنها توفيت فى سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، ودفنت فى

منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن، ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب. وقد أراد زوجها اسحاق بن الصادق أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة. وقبر السيدة نفيسة احد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر.

٣. **قبر السيدة كلثوم.** وهى كلثوم بنت القاسم بن محمدبن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب، موضعه بمقابر قريش بمصر. وكانت من الزاهدات العابدات.

ومن أهم المزارات التى كانت للأقباط مشهد فى البهنسا فى صعيد مصر، يعتقد النصارى ـ كما يقول ياقوت ـ ان المسيح وامه أقاما به سبع سنين.

وقد أورد المقريزى ان زيارة المقابر كانت لها أيام محددة تتم فيها، ولم تكن مطلقة، فيقول: « إعلم أن زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء، ثم صارت ليلة الجمعة، أما زيارة يوم السبت فقيل إنها قديمة، وقيل متأخرة».

ولا نعلم اذا كان ماذكره عن عصره ينسحب على العصر الذى يخضع لبحثنا أم لا؟

ولم تمدنا المصادر العربية بمعلومات ـ فى فترة بحثنا ـ عما اذا كانت هناك مراسيم تتم للجنازات أم لا؟ غير ان المقريزى أشار فى كتابه إلى جنازتين: إحداهما كانت لعبد العزيز بن مروان عندما كان واليا لمصر، والثانية لخمارويه بن أحمد بن طولون .كما أشار البلوى فى كتابه إلى جنازة أحمد بن طولون. ويظهر فيها بعض من مراسيم الجنازات فى تلك الفترة.

فيقول المقريزى عن جنازة عبد العزيز بن مروان:« ومات هناك (أى فى حلوان)، فحُمل فى البحر يراد به الفسطاط حتى تغيّر، فأُنزل فى بعض خصوص ساحل مريس، فغُسِّل فيه، واخرجت من هناك جنازته، وخرج معه بالمجامر فيها العود، لِما كان قد تغير من ريحه، واوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانىء صاحب حرسه،

وكان صديقا له، وقد توفي قبل عبد العزيز. فمر بجنازته على باب جناب، وقد خرج عيال جناب، ولبسن السواد، ووقفن على الباب صائحات، ثم اتبعنه إلى المقبرة.

ويقول البلوى عن جنازة أحمد بن طولون نقلا عن شيخ من صالحي أهل المعافر:« ومضيت فرايت جمعا عظيما هائلا، وحالا كبيرة تعجز الصفة عن ذكرها، حتي ظننت انه مابقى فى البلد أحد من رجل ولا امراة، وكُل فِرق شتي، كل فرقة على حدتها رجالا ونساء، فتأملت فاذا كل صنف من غلمانه أيضا فرقا، وقواده فرقا، وكتابه فرقا، وسائر أصحابه ومن يلوذ به فرقا فرقا، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقاته فرقا فرقا. وقد تميز أيضا النساء من حاشيته وهن أيضا فرق فرق: حرمه منفرد فى خلق عظيم، لا يخالطهن أحد من حشمهن، وحشمهن ناحية لا يخالطهن غيرهن، ونساء قواده، ونساء غلمانه، ونساء كتابه، ونساء أصحابه، كل صنف منهن على حدة لايخالطهن غيرهن، ونساء القطائع فرق فرق، وكل الجماعة عليهم من الكآبة أمر عظيم، وكل منهم مسلم لأمر الله عز وجل.

ثم أقبل من النساء السودانيات اللائي كان فضله عليهن، وجراياته القمح والدراهم في كل شهر، خلق عظيم لا يحصيه ولا يقوم بمعرفة مبلغه إلا الله جل اسمه، صائحات صارخات، فارتجت الأرض لهن، وعظمت الحال في قلوب من شاهدهن. ثم اقبل بعدهن من صالحي مَن يسكن المعافر ممن فيه الدين والورع والخير نساء ورجال، قد كان له على جماعتهم المعروف الواسع، ولو لم يكن إلا العين الماء التي صارت حياة لهم، وصيانة ومرفقا إلى اليوم وإلى القيامة، وان اراد الله جل اسمه ذلك ووقاها من الغير، فاقبلوا مبتهلين إلى الله جل اسمه يسألونه الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه، بخشوع وتضرع واستكانة وبكاء.

فشاهدت من ذلك ماهالني، وذكر جميع من حضر أنه ماراى مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره ممن عظم قدره. ثم اقبلوا به مفردا على سرير،

مدرّجا في ثوب وشي سعيدي كافوري، وأبو الجيش خلفه وحده راكب، لموضع خلافته والامارة، والعالم من صغير و كبير، وشريف وقاض وعدل، وكل من في البلد يمشون، وبين يديه من غلمانه، وخلفه من كل صنف، ومن قواده وسائر من بقي من أصحابه ما لا يحصيه إلا الله جل وعز، فأتوا به إلى المصلى الذي كان بناه، فتقدم ابنه أبو الجيش فصلى عليه، وصلى الناس بأجمعهم، وعدلوا به إلى قبره وواروه في لحده، وَخلّوه وحيدا فريدا، أقرب الناس منه وأحبهم اليه من حثا عليه التراب. وانصرف عنه كل ذلك الجمع العظيم، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد. فتبارك الله أحسن الخالقين، ومالك يوم الدين، سبحانه لا يموت ولا يزول وكل نفس ذائقة الموت».

ويقول المقريزي عن جنازة خمارويه بن أحمد بن طولون: « وحمل في صندوق إلى مصر، وكان لدخول تابوته يوم عظيم، واستقبله جواريه وجواري غلمانه، ونساء قواده، ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم، وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم، وفيهم من سوّد ثيابه وشققها. وكانت في البلد ضجة عظيمة، وصرخة تُتعتع القلوب، حتى دُفن».

ويظهر من هذه الجنازات :

١- أن المتوفي أحيانا كان يوصي قبل موته بمسار معين لجنازته، كما حدث مع عبد العزيز بن مروان .

٢- أن ملابس الحداد في مصر كان هي لبس السواد.

٣- الصياح على الميت وشق الأثواب. وواضح أنها عادة عرفها الشعب المصري منذ العصور القديمة، كما تقول الدكتورة سيدة كاشف، رغم مخالفتها لتعاليم الدين الاسلامي .وهذا ما دعا بعض الخلفاء والأمراء إلى اصدار الأوامر بمنع النواح، فيذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله يقول:

«أما بعد، فانه ذكر لي أن نساء من أهل السفه .... يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ناشرات روءوسهن، ينحن نياحة أهل الجاهلية،

ولعمرى ما رُخص للنساء فى وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن بهن على جيوبهن. فأنْه عن هذه الناحية نهيا شديدا، وتقدم إلى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحا فى دار ولا طريق، فان الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين فى الدنيا والاخرة فقال: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.»[٣٣]

وعندما تولى يزيد بن عبد الله ولاية مصر من قبل المنتصر عام ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م أمر بمنع النداء على الجنائز، وضرب جماعة بسبب ذلك.

وفى سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، عندما تولى مزاحم بن خاقان ولاية مصر من قبل المعتز، أمر أن لا يشق ثوب ميت، ولا سود وجه، ولا يحلق شعر، ومنع من الخَلُوق [٣٤] الذى يجعل على الثياب مع السوار [٣٥]،وكان قد احدث فى ولاية يزيد بن عبد الله ومنع النساء من الصياح، وعاقب فيه وتشدد. كما منع النساء من الخروج من بيوتهن، والتوجه إلى المقابر، وسجن النوائح.

كما منع عيسى النوشرى فى ولايته على مصر من قبل المكتفى سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م النواح والنداء على الجائز.

٤ ـ ومن مراسيم الجنائز أيضا كانت الصلاة على الميت فى المساجد. وتذكر المصادر العربية أن اول من صلى عليه داخل مسجد عمرو بن العاص هو سعيد بن عثمان أبو الحسن صاحب الشرط [٣٦]، وقد « صلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا».

ويذكر المقريزى عن اليهود أنهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم، وأن من غسل ميتا أعتبر أنه نجس، فلا يصلى لمدة سبعة أيام.

(٣٣) سورة البقرة رقم ١٥٦ و ١٥٧ .
(٣٤) الخلوق: ضرب من الطيب إعظم أجزائه الزعفران.
(٣٥) السوار والأسوار جمع سُوُر وأسورة وأساور: حلية كالطوق تلبسه المراة فى زندها او معصمها.
(٣٦) سعيد بن عثمان، تولى الشرطة فى ولاية احمد بن كَيْغَلَغ عام ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ثم تولاها فى ولاية محمد بن طغج الثانية من قبل الراضى فى رمضان عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، وتوفى وهو على الشرط عام ٣٢٨هـ/ ٩٢٤م.

الباب الرابع
الحياة العقلية فى المجتمع المصرى

الفصل الأول : الحركة الفكرية فى مصر.
الفصل الثانى : الفنون.

الفصل الأول

الحركة الفكرية فى مصر

- مدى تأثر مركز الاسكندرية الثقافى بالفتح العربى
- مراكز الحركة الثقافية فى الفسطاط بعد الفتح العربى :
  - الجوامع والمساجد والزوايا.
  - دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.
  - أماكن عامة.
- مراحل الحركة العلمية فى مصر بعد الفتح العربى :
  - المرحلة الاولى من بداية الفتح العربى حتى بداية حركة الترجمة.
  - المرحلة الثانية مابعد حركة الترجمة.
- تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء .
- نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامى.
  - الكتاب.
  - الجوامع.
  - التعليم الخاص.
- أنواع الدراسات والقوى الاجتماعية التى اسهمت فيها :
  - دراسات المرحلة الأولى :
  - الدراسات الدينية
    - علوم القرآن.
    - علوم الحديث.
    - علوم الفقه وفقهاء المذاهب الأربعة ـ التصوف والمتصوفون.
- الدراسات اللغوية والنحوية.
- التاريخ وفن السير والقصص.

. الدراسات الأدبية :

. الشعر.

. النثر.

دراسات المرحلة الثانية :

. حركة الترجمة.

.الطب.

. علم النجوم ـ علم تعبير الرؤيا ـ علوم السحر.

. علم الصنعة (الكيمياء).

. علم الهندسة.

. الرحلات العلمية والتبادل الثقافي.

الفصل الأول
الحركة الفكرية فى مصر

رأينا في الفصل التمهيدى أنه كان لمصر حركة فكرية ضخمة مركزها الاسكندرية بوصفها عاصمة مصر قبل الفتح العربى، وعندما فتح العرب مصر انتقلت هذه الحركة من الاسكندرية إلى الفسطاط التى اتخذها العرب ـ الحكام الجدد ـ عاصمة لهم .

ويهمنا في هذا الفصل أن نتناول تأثير الفتح العربى على الحركة الفكرية فى مصر، والقوى الاجتماعية التى أسهمت فى الحركة العلمية واشتركت فيها، ومدى تأثر المركز الفكرى للاسكندرية بالفتح العربى، وهل فقدت مركزها كلية أم تدهور هذا المركز وانتهى؟

وفيما يتصل بمدينة الاسكندرية، فان الفتح العربى لم يقض على الحياة العلمية بها، ولا سيما ما يتعلق بالعلوم العقلية، وذلك بالرغم من أن معظم علماء الروم غادروها بعد الفتح .

وهكذا ظلت مدرسة الاسكندرية تؤدى رسالتها العلمية، على الرغم مما أصابها من ضعف لاهتمام الناس بالعلوم الدينية الاسلامية، ونظرة المسلمين فى أول الامر إلى ماكان يدرس فى مدرسة الاسكندرية فى القرنين الأول والثانى من قرون الهجرة عن هذه العلوم، وظل أهل الذمة من النصارى واليهود أو من اليونانيين الذين بقوا بالاسكندرية، ينهلون وحدهم من هذه الدراسات.

ومع تراجع مركز الاسكندرية الثقافى إلى المقام الثانى، وبروز مركز الفسطاط إلى المقام الأول، باعتبارها العاصمة الجديدة لمصر، أخذت تظهر فيها تدريجيا مراكز للحركة الثقافية والعلمية اشعلت مصباح الحضارة الاسلامية، التى حلت محل الحضارة اليونانية المسيحية التى كانت سائدة فى مصر قبل الفتح العربى .

وقد تمثلت هذه المراكز في ثلاثة مراكز:

المركز الأول : الجوامع والمساجد والزوايا.

المركز الثاني : دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.

المركز الثالث : أماكن عامة.

وبالنسبة للمركز الأول المتمثل في الجوامع والمساجد والزوايا، فقد كان يقوم مقام المدرسة، وذلك لأن المدارس لم تكن تعرف زمن الصحابة والتابعين - كما يقول المقريزي - وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة، أي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. لذلك فان الفترة التي يتناولها بحثنا لا يوجد فيها اسم لمدرسة، وانما كان مركز الحركة العلمية في مصر في بداية الفتح العربي جامع عمرو بن العاص، باعتباره أول جامع بني في مصر بعد الفتح العربي.

فقد كان المسجد - كما يقول الدكتور سعيد عاشور - هو المدرسة الوحيدة التي عرفها المسلمون، واستوعبت نشاطهم المتعدد الأوجه، فهو بيت الله الذي تقام فيه الصلاة ويتلى القران الكريم، وهو دار القضاء الذي يجلس فيه القضاة ليحكموا بين الناس بما أنزل الله، وهو مقر الحكومة الذي يخرج منه المبعوثون ويستقبل فيه السفراء، وتعقد فيه الألوية وتنطلق منه الجيوش للغزو، وهو دار العلم الذي يلتقي بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول دينهم وأركانه، ويتدبروا القران وأحكامه، ويحيطوا بسنة نبيهم وأحاديثه. كما كان يوجد في المسجد مختلف الكتب الدينية والعلمية والأدبية فهو مدرسة ومكتبة معا.

أما الزوايا فقد ظهرت في بادئ الأمر - خاصة في فترة دراستنا (من الفتح العربي حتى قبيل العصر الفاطمي) - في المساجد، ثم زاد استخدام الزوايا كنوع من المنشآت الدينية المستقلة في العمارة الاسلامية، سواء كانت زوايا فردية لأصحابها من العلماء، أو من المنقطعين للعبادة، أو زوايا جماعية لتدريس فروع العلوم الدينية المختلفة، أو زوايا خاصة لدراسة القرآن الكريم.

والزاوية في اللغة هي موضع للانزواء، وقد وجدت الزوايا وفق هذا المعنى في المساجد التي انزوى في بعضها الناس لتعلم العلوم الدينية المختلفة، وهم يحيطون بشيخهم يستمعون له في حلقات الدرس والوعظ.

ومن اشهر الزوايا في جامع عمرو بن العاص زاوية الامام الشافعي، ويذكر ابن دقماق أن مجلس الشافعي كان في الجهة الشرقية من الجامع، وكان في محرابه عمودان.

وقد كان الشافعي يجلس في زاويته بعد صلاة الفجر، فيقول ياقوت نقلا عن الربيع بن سليمان: « كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته اذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث، فيسألونه تفسيره ومعانيه، فاذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء اهل العربية والعَروُض[1] والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف رضي الله عنه».

ومعنى هذا أن الشافعي يظل قرابة ست ساعات يوميا يلقي دروسا متصلة، ينتقل فيها من علم إلى علم ومن مادة إلى مادة، ويظل ملازما مكانه وجموع التلاميذ تتوالى عليه، يذهب عنه جمع ليقبل عليه آخر، ويظل هكذا من بعد صلاة الفجر حتى تدنو صلاة الظهر.

المركز الثاني : دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.

وكانت تتخذ للتدريس أو لقيام الندوات العلمية فيها، ومن هذه الدور والمجالس:

دار عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرادِيّ . شهد فتح مصر، واختط بها مع الاشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وقيل إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يقرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره.

---

(١) العَروُض جمع أعَارِيض. ميزان الشعر لانه به يظهر المتزن من المختل.

دار محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن ابى زرعة البرقى، مولى بنى زهرة (ت سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) يقول عنه ابن فرحون: إن بيته كان بيت علم، وانه كان من أصحاب الحديث والفهم، والرواية أغلب عليه. وله تاليف فى مختصر ابن عبد الحكم الصغير، زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار، وكتاب فى التاريخ، وفى الطبقات، وفى رجال الموطأ.

دار مالك الصفرى: وهى خطة عبد الرحمن بن ملجم بقرب المسجد ليعلم الناس القرآن .

مجلس القاضى بكار بن قتيبة: كان للقاضى بكار بن قتيبة مجلس يملى فيه الحديث، وكان أحمد بن طولون - كما تذكر المصادر العربية - شغوفا بمجالسة الفقهاء وأهل العلم، وبلغ ولعله بالحديث وسماعه وروايته أنه كان ينتقل إلى مجلس القاضى بكار بن قتيبة طلبا للمزيد. فيقول أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقيه: ما أُحْصى كم كان أحمد ابن طولون يجىء إلى بكار بن قتيبة وهو يملى الحديث، ومجلسه مملوء بالناس وانا حاضر، فيقول الحاجب للمستملى قبل أن يدخل : يقول لك الأمير لا تقطع ما أنت فيه. ثم يدخل أحمد بن طولون فما يشعر به بكار إلا وهو جالس على جانبه. وكان بكار على مذهب الامام ابى حنيفة، وله كتاب يرد فيه على الشافعى.

مجلس النسائى ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت سنة ٣٠٣ هـ /٩١٥م). ويبدو لنا أن النسائى كان له مجلس، فيقول الذهبى: «وكان النسائى يكون بزقاق القناديل بمصر».

مجلس احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣م كان مجلسه - كما يقول ابن فرحون - محشو ا بعيون الناس، وهو مالكى المذهب، من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه وعددها ٢١ كتابا، وقد سمع منه خلق عظيم.

مجلس الاخشيد: وقد حدث يوما ان تنازع القاضي الشافعي أبوبكر ابن الحداد والقاضي المالكي أبو الذكر محمد والقاضي عبد الله بن الوليد في مجلس الاخشيد، وحدث بينهم لغط كثير، فلما إنصرفوا قال الاخشيد: يجرى هذا في مجلسي! كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم.

مجلس كافور : كان يعقد الندوات في مجلسه كل ليلة، وكانت تقرأ عنده في كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية.

مجلس احد الوعاظ[٢] في زمن كافور: وعنه يقول ابن اياس : « كان بمصر واعظ يعظ الناس، فقال يوما في مجلس وعظه، وكافور حاضر ذلك المجلس : أيها الناس أنظروا إلى هوان الدنيا على الله تعالى، فانه أعطاها لقصومّين ضعيفين وهما: الحسن بن بويه، استولي علي بغداد وهو اشل بيده، واعطي كافورا ملك مصر وهو خصي . فرفع كافور طرفه اليه فظن الناس أنه يوقع به فعلا، فلما فرغ من وعظه، دفع اليه مائة دينار، وأخلع عليه خلعه سنية. فلما كان المجلس الثاني، حضر كافور على عادته، فقال الواعظ: ومن العجائب ان ما أنجب من بني حام غير ثلاثة: لقمان الحكيم، وبلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وكافور الخصي».

مجلس الوزير جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة. وكان يملي الحديث بمصر، ويقصد اليه المحدثون يسمعون روايته، ومنهم المحدث أبو الحسن الدار قطني الذي كتب عنه مجالسه.

مجلس حمزة بن محمد الحافظ في المسجد الجامع.

مجلس علي بن محمد بن احمد بن الحسن (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، وقد اقام بمصر فعرف بالمصري. يقول عنه ابن كثير: إنه كان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء، وكان يتكلم وهو مبرقع لئلا يرى النساء حسن وجهه! وقد حضر مجلسه أبو بكر النقاش متخفيا، فلما سمع كلامه، قام قائما وشهر نفسه، وقال له: القصص بعدك حرام.

مجلس ابي جعفر بن النحاس (ت سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م).

---

(٢) لم يذكر ابن اياس اسمه .

مجلس ابى بكر، محمد بن أحمد بن الحداد (ت عام ٣٤٥هـ /٩٥٦م وقيل عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) يقول عنه ابن زولاق: إنه تولى القضاء بمصر والتدريس، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده فى الفتاوى و الحوادث، وكان يعد الرد على ابن الحداد من ضمن عجائب الدنيا، حدَث عن ابى عبد الرحمن النسائى وغيره، وكان متصرفا في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة، ولم يكن فى زمانه مثله. وهو صاحب كتاب الفروع في المذهب الشافعي، كما صنف كتاب القضاء في أربعين جزءا، وكتاب الفرائض فى نحو مائة جزء. ولد عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م وعندما توفى حضر جنازته الأمير اونوجور بن الأخشيد وكافور.

وكان مجلس ابن الحداد ـ كما يقول الزبيدى ـ يتم ليلة فى كل جمعة، يتكلم فيها عنده فى مسائل الفقه على طرائق النحو، وكان أبو جعفر النحاس يحضر مجلسه.

المركز الثالث: اماكن عامة.

مثل: سوق الوراقين بالفسطاط.

فقد كان النشاط العلمى والأدبى فى العصر الاخشيدى يظهر بصورة واضحة في هذا السوق الذى كان يسعى اليه أهل العلم والأدب، فلم يكن مجرد سوق تنسخ فيه الكتب وتباع، وانما كانت تدور فيه احيانا المناظرات.

وقد لاحظنا من خلال دراستنا للحركة العلمية فى مصر بعد الفتح العربى أنها مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى، وتمتد من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة.

المرحلة الثانية، وهى ما بعد حركة الترجمة.

وبالنسبة للمرحلة الأولى فقد تركزت الحركة العلمية، ليس فقط فى مصر بل فى كافة الأمصار الاسلامية، فى الدراسات الدينية. أما العلوم الدنيوية

والفلسفية فقد كان الاهتمام بها ضعيفا فى صدر الاسلام، وما نما منها كان يعتمد على الدين، ويصطبغ به.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فقد كان لحركة الترجمة الفضل فى إضافة نوع جديد من الدراسات الى الدراسات الدينية، وهى العلوم الفلسفية. والمقصود من العلوم الفلسفية - كما يقول الدكتور محمد كامل حسين - هى جميع العلوم التى كانت تشتمل عليها الفلسفة فى العصور الوسطى، والتى تضمها الموسوعة الفلسفية المعروفة برسائل «إخوان الصفا» من رياضيات وطب وفلك وكيمياء ومنطق.. إلى غير ذلك من العلوم التى كان يحذقها فلاسفة هذه العصور، والتى لا يستحق طالب الفلسفة هذا اللقب إلا اذا ألم بها جميعها.(٢)

ويرجع الفضل فى ازدهار الحركة العلمية فى مصر بمرحلتيها الى تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء. فالأمويون حكام الدولة الأموية فتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء، وبذلوا لهم الأموال. وطبقا لما قاله المسعودى: كان عبد الملك بن مروان «يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح ... وكان عماله على مثل مذهبه». وقد كان شأن أكثر بنى أمية شأن عبد الملك، نستثنى منهم خالد ابن يزيد بن معاوية، الذى كانت له نزعة فلسفية الى جانب نزعته الأدبية. كما نستثنى عمر بن عبد العزيز الذى كانت نزعته دينية، فلم يهتم بالدراسات الأدبية مثل الشعر، فقد شقى به الشعراء، إلا أنه اهتم بالدراسات الدينية. ويذكر ابن عبد الحكم عن سيرته أنه قال: «إن استطعت فكن عالما، فان لم تستطع فكن متعلما، فان لم تستطع فأحبهم، فان لم تستطع فلا تبغضهم».

أما بالنسبة للعلوم الفلسفية فقد جرى الاهتمام بها فى عهد الدولة العباسية، بسبب تشجيع خلفائها - منذ خلافة المنصور الذى كان شغوفا بالعلوم الفلسفية - لحركة الترجمة.

---

(٢) وسنتناول دراسات كل من المرحلتين مع حركة الترجمة بشئ من التفصيل فى الصفحات القادمة

ولم يكن الخلفاء وحدهم من قاموا بتشجيع العلماء خاصة في مصر، وانما هناك الولاة ورجال الدولة. فمثلا أحمد بن طولون، عندما استقل بدولته أراد أن تكون إمارته منافسة للخلافة العباسية في العلوم والفنون وغير ذلك، فشجع الحركة العلمية. ويقول عنه ابن زولاق: إنه كان «يحب أهل العلم».

وقد بلغ من إهتمامه بأهل العلم استضافته لشيخ قبطي من أرض الصعيد بمصر، ذكر له انه له نحو مائة وثلاثين سنة، وهو ممن عني، من لدن حداثته، بالعلم والاشراف على الملل والآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرها، وأنه علامة بالممالك والملوك، وأنه ممن سافر في الأرض وشاهد الأمم، وأنه ذو معرفة بهيئات الأفلاك والنجوم، وكان نصرانيا على مذهب اليعقوبية. فبعث أحمد بن طولون اليه قائدا من قواده فحمله في النيل اليه مكرما، وأسكنه وحمل اليه لذيذ المآكل والمشارب، فأبى أن يأكل إلا بغذاء كان قد حمله معه من كعك وغيره. وتذكر المصادر العربية أن أحمد بن طولون أخلى نفسه له في ليال وأيام كثيرة، يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل عنه. كما كان لهذا القبطي مجالس كثيرة عند أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والصابئة والمجوس وجماعة من المسلمين. وقد أقام هذا الشيخ عند أحمد بن طولون حوالي سنة، فأجازه، وأعطاه، فأبى قبول شئ من ذلك، فرده إلى بلده مكرما، وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك.

كما أورد لنا البلوي عطف أحمد بن طولون على إمام في أحد المساجد عندما شعر بضيق ذات يده، فأثبت اسمه في الدفتر الذي فيه أسماء المستورين و المستورات الذين يجري عليهم في كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة.

هذا في الوقت الذي غضب فيه على خطيب أحد المساجد، ويدعى أبا يعقوب البلخي، عندما دعا للمعتمد وولده ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون، فأشار ابن طولون الى نسيم الخادم ليضربه خمسمائة سوط، إلا أن

الخطيب تذكر سهوه فعاد ودعا له، وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة، ثم نزل، فنظر أحمد بن طولون الى نسيم الخادم أن اجعلها دنانير!

وكان احمد بن طولون يميل الى المذهب الشافعي ويكرم أصحابه.

ويذكر ابن سعيد أن العباس بن أحمد بن طولون كانت له بطانة مقدمة في علم العرب من النحو والشعر وما جرى مجراه، وهم: جعفر بن جدار، وأحمد بن المؤمل المعروف بأبي معشر، ومحمد بن سهل المنتوف.

أما خمارويه فيذكر ابن سعيد انه كان محسنا للاجناد والشعراء وسائر من يرد عليه.

كما استمر امراء الدولة الاخشيدية ايضا في تشجيع الحركة العلمية والعلماء، ليس فقط عن طريق المنح المالية وإنما ايضا عن طريق تقريب العلماء والأدباء ومجالستهم لهم، خاصة وأن أبا بكر محمد بن طغج الاخشيد كان اديبا وشاعرا.

وكان ابن الاخشيد ، وهو ابو بكر احمد بن علي (ت٣٢٦هـ /٩٣٧م)، يصرف اكثر ما يُحمل اليه من ضيعته على العلم وأهله. وكانت له معرفة بالعربية والفقه، وله في الفقه عدة كتب، ومن كتبه: كتاب المعونه في الأصول، لكنه لم يتمه، وكتاب نقل القرآن ، وكتاب الاجماع، وكتاب النقض على الخالدي في الأرجاء، وكتاب اختصار كتاب التفسير للطبري.

كما أن اونوجور بن الاخشيد كان يجالس سيبويه المصري وينادمه. وقيل إن الأمراء الاخشيديين على اختلافهم جالسوا الفقيه أبا بكر بن الحداد، ولم تغضبهم صراحته وثقته بنفسه، مع أنه كان طويل اللسان!

وتذكر المصادر العربية أن كافورا امر بعشرين ألف دينار لتفرق على فقهاء الشافعية، عندما علم أن الخليفة عبد الرحمن الناصر الأندلسي (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) ارسل عشرة آلاف دينار لتفرق على فقهاء المالكية.

ومن الوزراء الوزير جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حِنْزَابَة (٣٠٨ - ٣٩١هـ / ٩٢٠ - ١٠٠٠م). الذى كان وزيرا للدولة الاخشيدية بمصر مدة إمارة كافور، ولما استقل كافور استمر على وزارته، وبعد وفاة كافور استقل بالوزارة ، وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الاخشيد. وقد كان ابن حنزابة عالما، محبا للعلماء، شاعرا، وكان يملي الحديث بمصر وهو وزير، وقد قصده الأفاضل والعلماء من الأقطار الاخرى، ومنهم أبو الحسن علي المعروف بالدارقطني الذى حضر إليه من العراق ليصنف مُسْنَدا، فلم يزل الدارقطني عنده حتى فرغ من تأليفه، وحصل له من جهته مال كثير.[٤]

نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامي:

وسنتناول فى الصفحات القادمة نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامى سواء كان فى الكُتّاب او فى الجامع أو فى المنازل لاولاد الأمراء والملوك والوزراء.

وبالنسبة للكتَّاب الذى يعتبر مرحلة التعليم الاولى فقد وُجد الكتاب لتعليم القرآن أول ما وجد فى المسجد، يدلنا على ذلك ماذكره ابن جبير فى رحلته، وكذلك ابن بطوطة، من وجود حلقات كان الأطفال يلتفون فيها حول معلم القرآن، واذا كانت الفترة التى قيل فيها هذا متاخرة فانما كان ذلك استمراراً لأمر كان سائدا فى البداية.

وبعد ذلك ظهرت كتاتيب ملحقة بالمسجد، واخرى مستقلة عنه تماما، فالامام الشافعى يروى لنا أنه كان يتيما فى حجر امه فدفعته الى الكتاب، فلما ختم القران، دخل المسجد مما يوحى باستقلال هذا عن ذاك.

كما يذكر ابن عبد الحكم أن عبد العزيز بن مروان كان وهو صغير فى الكتاب. ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن المساجد التى كانت فى الخطط تقوم مقام الكتاتيب أو المدارس الأولية الآن فى التدريس للغلمان. حتى اذا

---

(٤) حنْزَابة ـ بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاى وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء ـ وهى أم أبيه الفضل بن جعفر.

تهيأت لهم ثقافتهم الى الاستماع الى فحول العلماء انتقلوا اليهم فى جامع الفسطاط ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء.

ويذكر ابن عبد الحكم في كتابه إسما لكتّاب يعرف «بكتاب اسماعيل». كما يذكر ابن زولاق فى كتابه انه كان بمصر رجل يعرف «بالغزيل الحى»، كان يعلم الصبيان عند الصفا.

وقد بُدئ فى تنظيم تعليم الصبيان فى الكتّاب في عهد عمر بن الخطاب، ثم توسع تعليم الصبيان فيما بعد، فظهرت كلمات عديدة تدل عليه ولا سيما فى عهد العباسيين، فنسمع عن المكاتب - مفردها مكتب - أو مكاتب الصبيان، ومن يقوم به اسمه معلم أو مؤدب.

وفى زمن أحمد بن طولون الزم أولاد الصناع كلهم صلاة الجمعة فى فوارة الجامع، ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم ورّاق (*) وعدة غلمان.

ويذكر الأبشيهى: أن الجاحظ قد ألف كتابا فى نوادر المعلمين. وقد ذكرفى كتابه بعضا من النوادر التى كانت تدور بين المعلمين وتلاميذهم.

اما عن نظام الدراسة فى هذه المرحلة فلا شك ان أساسها كان التعليم الدينى، ولا سيما تحفيظ القرآن والحديث. فيقول ابن خلدون: إن التربية الدينية يجب أن تبدأ من سن مبكرة، ذلك لأنه فى هذه السن يكون الصبى مستعدا لقبول العقائد بمجرد الايمان بها، كذلك الخط والحساب، وربما بعض الشعر والسباحة هى جزء من المقررات.

وكان نظام الدراسة بالكتّاب الاسلامى شبيه بنظام الدراسة بالكتّاب القبطى فى مواده الدراسية وهى: الدين - اللغة - الحساب.

وبالنسبة لنظام الدراسة فى الجامع، فقد كان الجامع يمثل مرحلة متقدمة من التعليم يحصل فيها الطلبة على قسط أوفر من العلوم.

(*) الورّاق: الكاتب.

وقد عُرف أن الدراسة بالمساجد تقسم الى مراحل: مرحلة (ابتدائية) لحفظ القرآن الكريم، ودراسة فوق ما درس فى الكتاتيب، ثم مرحلة (ثانوية) تكون على أيدى مدرسين اكثر علما، ثم مرحلة (عالية) أو (نهائية) تدرس فيها أمهات الكتب على يد طائفة من الجهابذة.

ويذكر الحسينى فى كتابه أن المرحلة الأولية كان يد رس فيها القراءة والكتابة والنحو وسيرة النبى (ص) وأحاديثه و القواعد الأولية فى الحساب وبعض القصائد الدينية، أما الطلبة الكبار (الثانوية) فدرسوا تفسير القرآن والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والأدب. أما الطلبة المتقدمون (النهائية ـ العالية) فاشتغلوا بدراسة الفلك والجغرافيا والفلسفة والهندسة والموسيقى والطب.

وقد كان الصحابة و التابعون من العلماء يجلسون فى جامع عمرو بن العاص، وفي جامع احمد بن طولون، يتصدرون الحلقات العلمية ومجالس العلم.

وكان الاستاذ يجلس في المسجد وحوله الآخذون عنه على شكل حلقة، وتكبر الحلقة وتصغر تبعا لقدر الأستاذ، وقد يكون فى المسجد جملة حلقات تجتمع كل حلقة على شيخ.

وفى عام ٣٢٦هـ /٩٣٧م كان للشافعيين فى جامع عمرو بن العاص خمسٌ عشرة حلقة، وللمالكين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط.

وفى الغالب أن الدراسة فى الجامع كانت مرتبطة بموعد محدد، فيقول المقدسي: «وبين العشاءين، جامعهم مغتص[٦] بحلق الفقهاء، وأئمة القراء، وأهل الأدب والحكمة. وبخلتها مع جماعة من المقادسة، فربما جلسنا نتحدث، فنسمع النداء من الوجهين: دوروا وجوهكم الى المجلس، فإذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد. وعددت فيه مائة وعشرة مجالس».

---

(٦) اغتص المكان بهم ضاق.

والى جانب التعليم فى المساجد الذى اوردناه آنفا، كان الأمراء والوزراء ورجال الدولة يعلمون أولادهم فى المنازل على يد اساتذة متخصصين. وفيما يبدو أن هؤلاء الأولاد كانوا يتلقون تعليمهم فى المنازل وفق برنامج خاص يلتقى فى أسسه العامة بمنهاج التعليم الذى وضع لجميع الصبيان، مع بعض الحذف او الاضافة استجابة لتوجيه الوالد، وتمشيا مع الرغبة فى إعداد هذا الصبى اعدادا خاصا يناسب الأهداف والمسئوليات التى ستواجهه فى المستقبل.

ولدينا صورة عن هذا البرنامج التعليمى فيما وضعه الخليفة الرشيد لمعلم ابنه محمد الأمين، فقد قال له: «إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيَّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه عن الضحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا و أنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن اباهما فعليك بالشدة والغلظة».

وكان الطالب فى هذا التعليم يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا، فينتقل به من مستوى تلميذ الكتاب الى مستوى الطالب فى حلقات المساجد أو المدارس.

والمعلم هنا لا يسمى معلم الصبيان او معلم كتَّاب، وانما يطلق عليه لفظ «مؤدِّب» وقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمى أولاد الملوك، اذ كانوا يتولون الناحيتين معا، وكان المؤدب كثيرا ما يخصص له جناح فى القصر يعيش فيه، ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل.

ولدينا أسماءً لبعض المعلمين الخصوصيين، فيذكر لنا التنوخى أن ابراهيم ابن المدبر قد أرسل الى ابى العباس المُبَرِّد ليرسل له جليسا يجمع مع

مجالسته تعليم ولده، فأرسل اليه على بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير (ت٣١٥هـ / ٩٢٧م). فكان قدومه الى مصر في عام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م، وخرج منها عام ٣٠٠هـ/٩١٢م.

ويذكر الذهبى ان امير مصر صالح بن على قد جعل عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى، الامام أبا أمية المصرى الفقيه (ت١٤٨هـ /٧٦٥م) - مؤدبا لولده الفضل.

ويذكر السيوطى أن محمد أبن عبد الله بن محمد بن سلم، أبا بكر المعروف بالملطى (ت٣٠٢هـ /٩١٥م) كان نحويا يعلم أولاد الملوك النحو.

انواع الدراسات:

ذكرت سابقا أن الحركة العلمية في مصر مرت بمرحلتين بعد الفتح العربي، المرحلة الأولى: وتمتد من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة، وقد عُنيت بالعلوم الاسلامية. والمرحلة الثانية: وهي ما بعد حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الفلسفية.

وسنتناول في الصفحات القادمة أنواع الدراسات في كل من المرحلتين، والقوى الاجتماعية التى أسهمت واشتركت فيها، أو بمعنى أخر مَن كان لهم الفضل فى الاسهام فيها.

وبالنسبة للمرحلة الأولى، والتى عنيت بالدراسات الدينية، فقد قام بهذه الدراسات الدينية فى مصر فى بادئ الأمر الصحابة الذين اشتركوا في فتح مصر أو الذين وفدوا اليها بعد الفتح، فكان العالمون منهم بأمور الدين يقومون بمهمة تعليم الشعب المصرى أصول الدين الاسلامى، وهؤلاء الصحابة العلماء كانوا أساس مدرسة مصر الدينية. وكان ممن حضر فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير عمرو بن العاص قائد جيش الفتح: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، و عبد

الله بن عمر بن الخطاب، وخارجة بن حذافة العدوى، ومسلمة بن مخلد، وأبو رافع مولى رسول الله، وشريك بن سمى الغطيفى المرادى، وعبد الله بن الحارث بن حزم بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى المذحجى وكان آخر صحابى فقد توفى بمصر سنة ست أو سبع أو ثمان وثمانين من الهجرة، وغيرهم كثير.

وقد كان اكثر حملة العلم فى عصر الصحابة من العرب، لأن اكثر الصحابة عرب. فلما قام علماء الصحابة بالتعليم فى الأمصار المفتوحة، اشترك العرب وغيرهم فى تلقى العلم عنهم، حتى اذا كان عصر التابعين وتابعيهم انعكست الآية فأصبح بعض حملة العلم عربا وأكثرهم من الموالى وأبنائهم، ويدلنا على ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال: رجلان من الموالى ورجل من العرب، فأما العربى فجعفر بن ربيعة، وأما الموليان فيزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر، مما دفع العرب إلى إظهار استنكارهم من هذا الوضع، فقال عمر بن عبد العزيز: ما ذنبى إن كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا، وأنتم لا تَسمون!

وهكذا كان علماء الدين فى مصر - كما يقول أحمد أمين - إما من أصل عربى يرجع نسبه الى القبائل العربية الفاتحة أو الوافدة، أو من أصل مصرى أصله قبطى وأسلم هو أو أسلم أجداده.

ولم يكن علماء الدين متخصصين فى علم بذاته، فقل أن نجد فى هذا العصر من نسميه الآن تخصصا، فليس هناك عالم بالتفسير فقط أو بالحديث فقط، لأن هذا الدور إنما يكون بعد تنظيم البحث، وهو دور لم يصلوا اليه فى هذا العصر. كذلك كانت الدروس فيها تفسير، وفيها حديث، وفيها فقه، وفيها لغة، وفيها جدال دينى.

وقد اهتم الخلفاء اهتماما خاصا بالدراسات الدينية، لذلك فقد حرصوا على ارسال علماء الدين الى الأمصار المختلفة ليفقهوا أهلها، وليكونوا

مرجعا لهم في احكامه وكافة أموره. وبالنسبة لمصر، فنرى عمر بن الخطاب يبعث الى أهل مصر حِبّان بن أبي جَبَلَه ليفقههم. ويبعث الخليفة عمر بن عبد العزيز نافعا مولى ابن عمر، فقيه أهل المدينة، إلى مصر ليعلمهم السنن. وبالعكس فقد أمر عمر بن عبد العزيز جُعْثُل بن هاعان بن سعيد الرُّعيني القِتْباني المصري، أحد القراء والفقهاء، بالخروج من مصر الى المغرب ليقرئهم القران، وقد ذهب الى هناك وولي القضاء في عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، وتوفي حوالي ١١٥هـ / ٧٣٣م.

الدراسات الدينية:

قامت هذه الدراسات ـ كما يقول أحمد أمين ـ على تفهم معاني القران ورواية الحديث، وأقوال الأئمة، واستنباط الأحكام، كل على أصول مذهبه، وكانت على نمط الدراسة في العراق موضوعا ومنهجا. وقد انقسمت الى : علوم القران، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، والدراسات اللغوية والنحوية، والتاريخ.

اولا: علوم القران وتشتمل على علم القراءات، وعلم تفسير القران.

وبالنسبة لعلم القراءات فقد كان يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القران. وقد نشأ بسبب خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يُقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف او تحتها. كما أن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافا في النطق بحروف القراءة لأن القرآن يشتمل اصلا على ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية، وان كانت ألفاظ قريش هي الغالبة، تليها هذيل وكنانة وحمير وغيرهم من قبائل الجزيرة. ولذلك اتفق، بعد البحث والاستقصاء، على قراءات معينة، او ما سمي ايضا بالتجويد، أيدت بأحاديث نبوية، وروايات الصحابة والتابعين، وقصد من تنوعها التسهيل. وقد يكون أساس التنوع أيضا، بسبب اختلاف القراء في قراءة القران من مصاحف الصحابة قبل أن يصلهم مصحف عثمان، الذي كان خاليا من النقط

والشكل، حتى إن عثمان اطلق للناس القراءات على أى حرف وأية لهجة.
وقد أصبحت هذه القرءات علما مدونا توضع فيه المصنفات، التى ربما صحبها الرسم لأوضاع الحروف، واعتبرت المعرفة بها فرضا كذلك تناول علماء كثيرون فى جميع أرجاء البلاد الإسلامية هذه القراءات بالشرح، وإبراز قواعدها وأحكامها، اذ كانت كل بلد تأخذ من القراءات ما يلائم طبع أهلها، مثل المذاهب تماما وقد اختلف في عدد القراءات، فبعضهم جعلها سبع قراءات، وبعضهم جعلها خمسا وعشرين قراءة، وإن رجحت سبع قراءات، وأصبح يعرف أصحابها بأصحاب القراءات، وهي: قراءة نافع من المدينة، وابن كثير من مكة، وابن عامر من الشام، وأبى عمر من البصرة، وعاصم وحمزة و الكسائى من الكوفة.

وقد كانت اول شخصية علمت القران بمصر هو عبيد بن محمد، ابو أمية المعافري، وهو أحد الصحابة الذين شاهدوا فتح مصر.

وقد أخذ اهل مصر قراءة القران الكريم عن قراءة نافع. (٧)

ومن قراء مصر:

سَقْلاب بن شُنَيْنَة، ابو سعيد المصرى (ت عام ١٩١هـ /٨٠٦م) قرا القران على نافع. وقرا عليه يونس بن عبد الأعلى، وابو يعقوب الأزرق وغيرهما، وكان يقرئ فى أيام ورش.

عثمان بن سعيد، ابو سعيد المصرى الملقب بَوْرش (ت عام١٩٧هـ/٨١٢م) وهو أحد القراء المشهورين، أصله قبطى. وقد انتهت اليه رياسة الاقراء بالديار المصرية فى زمانه، قرأ القرآن وجوده على نافع، ونافع

(٧) نافع: هو ابو عبد الله المدنى حدّث عن مولاه ابن عمر وعن عائشة وأبى هريرة وطائفة، وعنه الأوزاعى ومالك وعقيل بن خالد والليث وخلق. وقال البخارى وغيره: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. قال عبيد الله بنعمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعا الى أهل مصر يعلمهم السنن. توفى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م.

هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه. والورش يصنع من اللبن. وكان ثقة، حجة في القراءة.

مُعَلَّى بن دحية المصرى، ابو دحية المقرئ. قرأ القرآن وجوَّده على نافع.

داود بن أبي طَيْبة المصرى، ابو سليمان بن هارون بن يزيد، مولى آل عمر بن الخطاب (ت سنة ٢٢٣هـ /٨٣٧م) قرأ على ورش وذكره ابن يونس في تاريخه.

عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقي، أبو الأزهر المصرى (ت سنة ٢٣١هـ /٨٤٥م) قرأ القرآن وجوَّده على ورش. وهو أخو الفقيه موسى بن عبد الرحمن.

يحيى بن سليمان الجُعْفِيّ الكوفي، أبو سعيد المقرئ الحافظ نزيل مصر (ت ٢٣٨هـ /٨٥٢م).

ابو يعقوب الأزرق، يوسف بن عمرو بن يسار المدنى ثم المصرى (ت سنة ٢٤٠هـ /٨٥٤م). كان مقرئ ديار مصر فى زمانه، لزم وَرْشا مدة طويلة، واتقن عنه الأداء، وجلس للاقراء وانفرد عن ورش بتغليظ اللامات، وترقيق الراءات.

محمد بن سعيد، ابو عبد الله الأنماطى المصرى المقرئ. قرأ على أبى يعقوب الأزرق وغيره، وهو من جلَّة المصريين.

احمد بن صالح ابو جعفر المصرى الحافظ المقرئ (١٧٠ ـ ٢٤٨هـ /٧٨٦ ـ ٨٦٢م) أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ورش. وقال صالح بن محمد الحافظ عنه: لم يكن أحد يحسن القراءة غير احمد بن صالح، كان رجلا جامعا يعرف الفقه والحديث والنحو.

سليمان بن داود بن حماد بن سعد، أبو الربيع المصرى المقرئ (١٧٨ ـ ٢٥٣هـ /٧٩٤ ـ ٨٦٧م) كان من جلَّة القراء. قرأ على ورش، وروى عن ابن

وهب، وأشهب، وجماعة، قال ابن يونس: كان فقيها على مذهب مالك، وكان رجلا زاهدا.

اسماعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبد الله،أبو الحسن النحاس مقرئ الديار المصرية. جود القرآن على أبي يعقوب الأزرق صاحب ورش، وتصدر للاقراء مدة، وكان يقرأ بجامع عمرو بن العاص توفي سنة بضع وثمانين ومائتين.

ابو بكر بن عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف التجيبي المقرئ المصري شيخ الاقليم في القراءات في زمانه (ت سنة ٣٠٧هـ /٩١٩م) قرأ القرآن على أبي يعقوب الأزرق، وعَمّر دهرا طويلا، وحدّث عن محمد بن رُمح صاحب الليث بن سعد وغيره. ذكره ابن يونس في تاريخه.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال، أبو جعفر الأزدي المصري (ت سنة ٣١٠هـ /٩٢٢م) أحد ائمة القراء بمصر.

أحمد بن محمد بن عثمان، ابو بكر الرازي نزيل مصر. شيخ القراء، توفي بمصر (سنة ٣١٢هـ /٩٢٤م).

محمد بن محمد بن عبد الله بن النّفّاح بن بدر الباهلي البغدادي المقرئ نزيل مصر (ت سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م) كان ثقة ثبتا، صاحب حديث.

ابراهيم بن حمدان بن عبد الله.اندلسي سكن مصر (ت عام ٣١٨ هـ /٩٣٠م) روى القراءة عرضا وسماعا عن اسماعيل بن عبد الله النحاس.وذكره ابن يونس.

مظفر بن أحمد بن احمد بن ابي غانم المصري النحوي المقرئ (ت سنة ٣٣٣هـ /٩٤٤م) وكان من جلّة المقرئين بمصر. وله مصنف في اختلاف السبعة.

عبد المنعم بن عبد الله بن عليون (ت سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م) وهو مؤلف كتاب «الإرشاد في القراءات».

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن منير، أبو بكر الامام، ويعرف بابن أبي الأصبغ الحَرَّاني (ت سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م)،وهو نزيل مصر، وكان بصيرا بمذهب مالك.

حَمْدان بن عَوْن، أبو جعفر الخولاني المصرى المقرئ (ت سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م)، قرأعلى أحمد بن هلال و على اسماعيل بن عبد الله النحاس.

احمد بن اسامة، أبو جعفر بن الشيخ ابى سلمة التجيبى مولاهم المصرى المقرئ توفى عام ٣٤٢هـ /٩٥٣م وقيل عام ٣٥٦هـ /٩٦٦م.الف كتاب «اختلاف القراءات السبعة».

محمد بن عبد الله المعافرى، أبو بكر المصرى المقرئ. توفى بمصر عام ٣٥٧هـ /٩٦٧ م.

محمد بن عبد الله بن محمد بن أشَتَه اللَوذرىّ، أبو بكر. توفى بمصر عام ٣٦٠هـ /٩٧٠م. وهو أصبهانى سكن مصر، اخذ القراءة عن ابن مجاهد والنقاش وجماعة، له كتاب المصاحف.

عبد العزيز بن على بن محمد بن اسحاق بن الفرج، أبو عدى المصرى الفقيهويعرف بابن الامام (ت عام ٣٨١هـ /٩٩١م) عاش تسعين سنة، وكان مسند القراء فى زمانه بمصر.

علم تفسير القرآن الكريم:

لم يكن العرب فى أول الأمر بحاجة الى تفسير القران، ذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى اساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه، وكانوا على علم بمناسبات نزول أياته ومقاصدها. ثم إنهم فى أول الأمر لم يكونوا يسمحون بتفسير القران، اعتمادا على قول النبى عليه الصلاة والسلام: «من قال فى القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار». غير أن العلماء المسلمين تخلصوا من هذا الحرج فى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، خاصة أنهم بعدوا عن وقت ظهور القرآن مما

جعل مقاصد ألفاظ القرآن مبهمة وغير مفهومة، وخصوصا على الذين أسلموا من الشعوب غير العربية، بحيث كانوا في حاجة ملحة الى تفسير نص القرآن.

وقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم الى اتجاهين:

الاتجاه الأول، ويعرف باسم التفسير بالمأثور، أو التفسير النقلي، ويُعتمد فيه على النقل عن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

والاتجاه الثاني ويعرف باسم التفسير بالرأى، ويعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل. وهذه الطريقة للتفسير تعتمد على اللغة ومعاني الألفاظ، فكان يُبحث عن أحوال الألفاظ ومفردات الآيات وما ورد فيها من معان، وشرح غوامض الاعراب، والتعرض للآية وسبب نزولها وغير ذلك. وكان للمصريين نصيب في تفسير القرآن الكريم، وقد نقل البخاري[٨]والطبري [٩] في تفسيرهما كثيرا من الصحيفة المصرية في التفسير. والصحيفة المصرية تعتبر من أقدم الروايات التي رويت عن ابن عباس [١٠]. ومن أصح الطرق عنه، فهي رواية علي بن أبي طلحة عن مجاهد[١١] احيانا وعن عِكْرِمة [١٢] احيانا أخرى عن ابن عباس.

---

(٨) وهو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الحافظ الامام في علم الحديث، صاحب الجامع للصحيح والتاريخ، رحل في طلب الحديث الى اكثر محدثي الامصار. ولد عام ١٩٤هـ/ ٨٠٩م وتوفي عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

(٩) وهو أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وكان من الائمة المجتهدين. ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٢٨م وتلى ببغداد عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

(١٠)وهو ابو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم. كان الرسول قد دعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وقد اخذ الفقة عن ابن عباس جماعة منهم: عطاء بن رباح ومجاهد وعكرمة وغيرهم. توفي بالطائف عام ٧٨هـ/ ٦٩٧م.

(١١) مجاهد ويكنى ابا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي. وقد قيل عنه إنه كان فقيها عالما ثقة كثير الحديث. توفي عام ١٠٢هـ/ ٧٢١م وقيل عام ١٠٢هـ/٧٢٠م وقيل عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م.

(١٢) وهو ابو عبد الله عِكْرِمة بن عبد الله مولى ابن عباس. وقيل عنه: كان عكرمة اعلم الناس بالتفسير، وكان قول: كان ابن عباس يضع في رجلي الكَبْل ويعلمني القران والسنن. توفي عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م وقيل عام ١٠٦هـ/ ٧٢٤م وقيل عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م وقيل عام ١٠٥هـ/ ٧٢٢م وقيل عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م.

ولهذا عُرفت هذه الصحيفة بصحيفة على بن ابى طلحة، ونقلها عنه معاوية بن صالح قاضي قرطبة. وفي سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م مر معاوية بمصر فى طريقه الى الحج، فروى بمصر هذا التفسير، فنقله عنه عبد الله بن صالح المعروف بكاتب الليث بن سعد واحتفظ بها. وقد عرفت الصحيفة المصرية في سائر الأقطار الاسلامية.

وكان من العلماء المفسرين فى مصر:

عبيد بن سَوِيَة الانصارى مولاهم المصرى (ت سنة ١٣٥ هـ /٧٥٢ م) وهو رجل صالح مفسر قلما روى. أخذ عنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وعمرو بن الحارث وغيرهم.

محمد بن موسى الواسطى، أبو على (ت سنة ٣٢٠ هـ /٩٣٢م وقد قدم الى مصر، وكان من اهل العلم باللغة وتفسير القرآن. وقد مات بمصر.

ابو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى المصرى (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩م) وله كتب كثيرة فى التفسير منها: كتاب «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب «اعراب القرآن»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ».

ثانيا : علوم الحديث:

كانت دراسة الحديث فى العالم الاسلامى كله تقوم فى البداية على روايته عن الصحابة والتابعين، ثم لما كثر الوضع فى الحديث بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص السنن من الأحاديث التى صحت.

وقد كان من المحدثين المصريين:

عبد الله بن عمرو بن العاص وكان أكثر الصحابة فى مصر رواية للحديث النبوى الشريف، فلأهل مصر عنه أكثر من مائة حديث، وكان يعترف له ابو هريرة بالاكثار من العلم، وقد قال عنه: فانه كان يكتب عن

النبى صلى الله عليه وسلم وكنت لا اكتب. وقد كتب الأحاديث التى أخذها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيفته الصادقة. حمل عنه المصريون علما عظيما وتوفى بمصر عام ٦٥هـ /٦٨٤م.

الأعرج عبد الرحمن بن داود المدنى صاحب أبى هريرة. توفى بالاسكندرية عام ١١٧هـ/٧٣٥م، وقد اشـ [illegible] ـسله البخارى، فقال أصح اسانيد أبى هريرة ما كان عن طريق أبى [illegible] عن الأعرج عن أبى هريرة. وقال عنه الذهبى: كان الاعرج اول من برز فى القرآن والسنن.

ابو عُشَّانَة المَعَافِرى (ت عام ١١٨هـ / ٧٣٦ م) روى عن عقبة بن عامر وجماعة.

القاسم بن عبد الله المعافرى المصرى. عن سعيد بن المسيب وعنه يحيى بن أيوب وابن لهيعة، توفى فى حدود العشرين ومائة.

شراحيل بن يزيد المعافرى المصرى. توفى بعد العشرين ومائة من الهجرة، وقد روى عنه عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة وجماعة.

سُلَيم بن جبير ابو يونس مولى ابى هريرة (ت سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م) سكن مصر وروى عن ابن هريرة وعنه حيوة بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم. وثقه النسائى.

سليمان بن حميد المزنى (ت سنة ١٢٥ هـ /٧٤٢ م) روى عن أبيه عن أبى هريرة وعنه الليث بن سعد وضمام بن اسماعيل وجماعة.

عطاء بن دينار الهُذَلى مولاهم المصرى، يكنى أبا طلحة (ت سنة ١٢٦ هـ /٧٤٣ م) روى عنه حيوة بن شريح، ويحيى بن أيوب، وابن لهيعة وآخرون.

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى (ت سنة ١٢٧ هـ/٧٤٤ م)، أمير الديار المصرية لهشام بن عبد الملك. له نسخة عن الزهرى نحو مائتى حديث، وعن يحيى بن أيوب، والليث بن سعد والليث فمولاه، وبسببه نال الليث دنيا عريضة. قال ابن يونس: كان ثبتا فى الحديث.

حفص بن الوليد بن سيف، ابو بكر الحضرمي (ت سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ م) امير الديار المصرية من جهة هشام بن عبد الملك. روى عن الزهري. وعنه الليث وابن لهيعة.

ابو قبيل المعافري المصري، حييّ بن هانئ بن ناصر (ت سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ م) قدم من اليمن فسكن مصر، وروى عن عقبة بن عامر وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعنه يحيي بن ايوب والليث وآخرون، وثّقه احمد بن حنبل.

قيس بن الحجاج بن خليّ الكَلاعي ثم السلَفي المصري وقيل دمشقي (ت سنة ١٢٩هـ /٧٤٦ م) روى عنه الليث وابن لهيعة وغيرهما. وكان رجلا صالحا صدوقا ما جرّحه احد.

الحسين بن شُفَي بن مانع الاصبحي المصري (ت سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦ م) عنه نافع بن يزيد وحيوة بن شريح وآخرون.

كعب بن عَلْقمه التَنُوخي المصري (ت سنة ١٣٠ هـ /٧٤٧ م) روى عن أبي تميم الجيشاني وطائفة، وعنه حيوة بن شريح والليث وابن لهيعة وغيرهم. وكان أحد الثقات العلماء.

الحارث بن يعقوب الانصاري المصري مولى قيس بن عبادة (ت سنة ١٣٠ هـ /٧٤٧ م) روى عنه يزيد بن أبي حبيب و الليث بن سعد وآخرون.

عبيد الله بن المغيرة المصري (ت سنة ١٣١ هـ /٧٤٨ م) روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء، وعبيد الله بن عدى وغيرهم، وعنه عمرو بن الحارث وابن اسحاق وابن لهيعة. قال ابن حاتم: صدوق.

سعيد بن ابي هلال الليثي مولاهم المصري ابو العلاء (ت عام ٢٣١ هـ / ٧٥٠م او عام ١٣٥ هـ /٧٥٢م أو عام ١٤٩ هـ /٧٦٦ م)، روى عن زيد بن اسلم ونافع والزهري وغيرهم. وعنه الليث بن سعد وآخرون.

جعفر بن ربيعة بن شُرَحْبيل بن حَسَنة الكندى، ابو شرحبيل المصرى (ت عام ١٢٣ هـ / ٧٥٠ م أو عام ١٢٤ هـ /٧٥١ م أو عام ١٢٦ هـ /٧٥٣ م) عنه الليث وابن لهيعة واخرون. وثقه النسائى وغيره.

زُهرة بن معبد بن عبد الله، أبو عقيل المدنى نزيل الأسكندرية (ت عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م أوقيل عام ١٣٧ هـ /٧٥٤ م). روى عنه الليث وابن لهيعة وغيرهما . ووثقه النسائى.

حُميد بن هانئ، ابو هانئ الخولانى (ت سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩ م) مصرى صدوق. روى عن على بن رباح وعنه حيوة بن شريح والليث وابن لهيعة وابن وهب. قال أبو حاتم: صالح الحديث.

السكن بن ابى كريمة بن زيد ابو عثمان التجيبى المصرى (ت سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩ م) روى عنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وغيرهم.

حُيى بن عبد الله المعافرى، أبو عبد الله المصرى صالح الحديث (ت ١٤٣ هـ /٧٦٠ م) عنه الليث وابن لهيعة وابن وهب. قال النسائى: ليس بقوى.

قُرَّة بن عبد الرحمن بن حَيْوئَيل بن ناشرة المعافرى المصرى (ت سنة ١٤٧ هـ /٧٦٤ م) عن يزيد بن أبى حبيب وعنه الأوزاعى والليث بن سعد وابن وهب وأخرون. ضعفه ابن معين. قال أبو حاتم: ليس بالقوى.

عمار بن سعد المرادى وقيل التُجَيْبى المصرى (ت سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥ م) عن ابى صالح الغفارى عن على وعنه حيوة بن شريح ويحيى بن ايوب وابن لهيعة. وكان من العلماء بمصر فى زمانه.

عبد الجليل بن حُميد ابو مالك اليحصبى المصرى (ت سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م) عن الزُهرى وآخرين، وعنه نافع بن يزيد وابن وهب قال النسائى: ليس به بأس.

عبد الواحد بن ابى موسى، أبو معن الاسكندرانى (ت سنة ١٥٠هـ/٧٦٧ م) عن زهرة بن معبد، وعنه ضمام بن اسماعيل وابن المبارك وجماعة.

سالم بن غيلان التُّجَيْبى المصرى (ت سنة ١٥١ هـ /٧٦٨ م) عن يزيد ابن أبى حبيب وغيره، وعنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم. قال النسائى: ليس به بأس.

محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (ت سنة ١٥٥ هـ/٧٧١م) ولى الديار المصرية لأبى جعفر المنصور، وحدَث عن أبيه.

قُبَاث بن رُزَيْن بن حميد، أبوهشام المصرى (ت سنة ١٥٦ هـ /٧٧٢ م) عن عكرمة وعلى بن رباح، وعنه ابن المبارك وابن وهب وعبد الله بن صالح. قال أبو حاتم: لا بأس به. وكان إمام جامع مصر.

عياش بن عقبة بن كُلَيب الحضرمى، أبو عقبة المصرى (ت سنة ١٦٠ هـ /٧٧٦م). قرابة ابن لهيعة. روى عن جبر بن نعيم، ويحيى بن ميمون وغيرهما، وروى عنه بكر بن مضر، و ابن وهب وغيرهما. وقد ولى إمرة الاسكندرية. قال النسائى: ليس به بأس. وقال المقرى: كان شيخ صدُق.

سعيد بن أبى أيوب المصرى (ت سنة ١٦١ هـ /٧٧٧ م) روى عن أبى زهرة بن معبد وجماعه.

موسى بن على بن رَبَاح اللخمى المصرى (ت سنة ١٦٣ هـ /٧٧٩ م) روى عن أبيه وطائفة. ولى مصر للمنصور ستة أعوام.

نافع بن يزيد المصرى (ت سنة ١٦٨ هـ /٧٨٤ م) عن جعفر بن ربيعة وطبقته، وكان أحد الثقات.

بكر بن مُضر بن محمد بن سَلْمان، أبو محمد المصرى (ت عام ١٧٤ هـ /٧٩٠ م) حدث عن أبى قبيل المعافرى وجعفر بن ربيعة وآخرون، وعنه ابنه اسحاق وابن وهب وآخرون. وكان ثقة حجة.

عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى، أبو عبد الرحمن المصرى (ولد عام ٩٧ هـ /٧١٥ م وقيل عام ٩٦ هـ /٧١٤ م وتوفى عام ١٧٤هـ/٧٩٠م وقيل عام ١٧٠ هـ /٧٨٦م وقيل عام ١٦٤ هـ /٧٨٠ م). كان من الكتّابين للحديث والجمّاعين للعلم والرحالين فيه. قيل إنه كان يكنى أبو خريطة، وذلك لأنه كانت له خريطة معلقة في عنقه، فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، فاذا رأى شيخا سأله: من لقيت وعمن كتبت؟

وتعتبر صحيفة ابن لهيعة فى الحديث من أقدم الصحائف، وهى ضمن مجموعة أوراق البردى بمدينة هيدلبرج. وقد تولى قضاء مصر (وانظر فى ذلك الموضوع الخاص بالقضاة). وقد دفن بالقرافة وقبره معروف فى مصر يقصد للزيارة.

وقال عنه أحمد بن حنبل: لم يكن بمصر مثل ابن لهيعة فى كثرة حديثه وضبطه واتقانه.

المفضل بن فضالة، ابو معاوية القتبانى المصرى الامام الحجة قاضى مصر (ت سنة ١٨١ هـ /٧٩٧ م) حدث عن يزيد بن أبى حبيب وغيره وعنه ابو صالح كاتب الليث وآخرون. قال عنه يحيى بن معين: ثقة.

ضمام بن اسماعيل المصرى (٩٧ ـ ١٨٥هـ / ٧١٥ ـ ٨٠١ م) توفى بالأسكندرية وقد روى عن أبى قبيل المعافرى وطبقته. وهو من مشاهير المحدِّثين.

عبد الله بن وهب (ت عام ١٩٧ هـ /٨١٢ م) وهو من أوائل مدونى الحديث فى العالم الاسلامى، وكتابه «الجامع فى الحديث» هو أقدم كتاب مصرى وصلنا فى الحديث، وقد عثر على جزء مخطوط من هذا الكتاب فى مدينة ادفو، ويعد هذا المخطوط من أقدم المخطوطات العربية فى جميع

مكتبات ومتاحف العالم، اذ يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثالث للهجرة، رواه عن الليث، وابن لهيعة، وعن مالك بن أنس وغيرهم. وعبد الله بن وهب صاحب هذا الكتاب مصرى قرشى بالولاء، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ/٧٤٢ م وفيها تلقى علومه الدينية ثم رحل الى الحجاز فى طلب العلم سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م، وفى المدينة المنورة اتصل بالامام مالك بن أنس، وأخذ عنه العلم وروى الحديث، وكان الامام مالك يعترف بفضل ابن وهب ويقدره حق التقدير، فكان اذا غاب عنه ابن وهب يكتب اليه إلى«عبد الله بن وهب المفتى» ولم يكن يفعل هذا مع أحد غير ابن وهب، بل كثيرا ما كان مالك يفتى بآراء سمعها من ابن وهب، فاذا رأينا قول مالك «حدثنى من أرضى» فهو يقصد ابن وهب. ويقال إن ابن وهب أخذ عن أربعمائة شيخ، وأكثر من رواية الحديث، ولم يجد العلماء في الأحاديث التى رواها حديثا منكرا. وقد طلب منه الخليفة العباسى أن يكون قاضى مصر فاعتذر واختبأ فى منزله، ورفض أن يقابل احدا إلاخاصة تلاميذه، وظل ملازما داره خوفا من أن يحُمس للقضاء، الى أن توفى سنة ١٩٧ هـ /٨١٢ م. وترجع شهرة عبد الله بن وهب من ناحية أخرى الى انه أحد رواة «الموطا» وقد صنف «الموطأ الكبير» «والموطأ الصغير».

اسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى نزيل مصر (١٣٢ ـ ٢١٢ هـ /٧٤٩ ـ ٨٢٧ م)، ويقال له «أسد السنة» صنف التصانيف، ورحل فى طلب الحديث. وثقه ابن يونس، وقال البخارى: هو مشهور الحديث.

بلال بن يحيى بن هارون الاسوانى(ت سنة ٢١٧ هـ /٨٣٢ م) حدث عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وحدث عنه يحيى بن بكير، وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر.

معاوية بن هبة الله الاسواني، ابن أبي يحيي، مولى بني أمية، يكنى بأبي سفيان (ت سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣ م)، روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة. ذكره ابن يونس في تاريخه.

عبد الله بن صالح بن محمد بن مُسلم الامام المحدث ابو صالح الجهني مولاهم المصرى، كاتب الليث بن سعد. ولد عام ١٣٧ هـ /٧٥٤ م وسمع من موسى بن على، ومعاوية بن صالح، وعبد العزيز بن الماجشون وسعيد بن عبد العزيز الدمشقى، والليث بن سعد، ونافع بن يزيد وطبقتهم. حدث عنه البخاري وابو حاتم وابن معين وسمويه ومحمد بن اسماعيل الترمذى وغيرهم. مات يوم عاشوراء سنة ٢٢٣ هـ /٨٣٧ م. قال عنه النسائي:ليس بثقه. وقال ابن عدى: هو عندى مستقيم الحديث لا يتعمد الكذب.

سعيد بن الحكم بن ابى مريم، أبو عبد الله مولاهم المصرى (ت عام ٢٢٤ هـ /٨٣٨ م) وهو احد أركان الحديث، وقد ذكره ابن النديم في كتابه وله من الكتب: «كتاب النسب»، وكتاب «المآثر»، وكتاب «نوافل العرب».

نعيم بن حماد، أبو عبد الله الخزاعى المروزى نزيل مصر (ت سنة ٢٢٨هـ /٨٤٢ م وقيل سنة ٢٢٩ هـ /٨٤٣ م). قال عنه احمد بن حنبل: ثقه. وقال النسائي: ضعيف. وقد حمل من مصر مع الفقيه ابى يعقوب البويطى الى بغداد فى محنة القران مقيدين، فحبسا بسامراء.

محمد بن رُمْح التُجيبي ابو عبد الله المصرى (ت سنة ٢٤٢ هـ/٨٥٦م) سمع الليث وابن لهيعة. قال النسائي: ما أخطأ فى حديث واحد. وقال ابن يونس: ثقه ثَبْتٌ.

وليد بن بلال بن يحيى الاسواني، يكنى ابا الحسن (ت سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧ م) سمع الحديث. ذكره ابن يونس. وكان أبوه بلال يحدّث عن مالك بن انس، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة.

ابو بكر، محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي (ت سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣ م) أخذ الحديث عن أسد السنة، ثم أخذ عنه أبو داود والنسائي، وله تصانيف في الحديث.

ومن المحدثين الذين توفوا في عصر الولاة ولم تذكر تاريخ وفاتهم بالتحديد:

محمد بن عبد الرحمن ابو عيسى المؤذن. وهو شيخ مصري روى عن أبي مرزوق التجيبي والضحاك بن شرحبيل وعنه سعيد بن أبي أيوب والليث بن سعد وابن لهيعة.

شرحبيل بن عمرو بن شريك المعافري المصري. روى عن علي بن رباح وغيره وعنه حيوة بن شريح، والليث بن سعد وابن لهيعة وجماعة. وثقه ابن حبان.

عيسى بن موسى بن حميد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي المصري. عن صفوان بن سليم ومالك بن انس. وعنه يحيى بن أيوب وابن لهيعة.

سنان بن سعد الكندي المصري. ويقال سعد بن سنان ويرى الذهبي أن الأول أصح. وقد روى عن أبيه وأنس بن مالك، وعنه يزيد بن أبي حبيب وحيوة بن شريح والليث وآخرون. وثقه ابن معين وغيره.

يزيد بن عمرو المعافري المصري، روى عنه عمرو بن الحارث والليث ابن سعد وابن لهيعة، وهو ثقة مقل.

معاوية بن سعيد التجيبي مولاهم المصري عن أبي قبيل المعافري ويزيد بن أبي حبيب وعنه يحيى بن أيوب وآخرون.

النعمان بن عمرو اللخمي المصري. عن علي بن رباح وحسين بن شفي، وعنه سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة.

حنين بن ابى حكيم المصرى مولى سهل بن عبد العزيز بن مروان، عن على بن رباح وعطاء، وعنه ابن لهيعة والليث. له حديث واحد فى السنن.

سَيّار بن عبد الرحمن الصدفى المصرى. روى عنه نافع بن يزيد، وسعيد بن ابى أيوب والليث، وابن لهيعة وجماعة.

عمرو بن جابر، أبو زرعة الحضرمى المصرى. عن جابر بن عبد الله وسهل بن سعد وغيرهم، وعنه ابن لهيعة وضمام بن اسماعيل وبكر بن مضر. قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال ابن لهيعة: كان شيخا أحمق، كان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول: هذا علىٌ.

مالك بن الخير الزبادى المصرى، روى عن مالك بن سعد والحارث بن يزيد، وعنه ابن وهب وآخرون.

معروف بن سويد، أبو سلَمة الجُذامى المصرى. عن على بن رباح وأبى قبيل المعافرى، وعنه ابن لهيعة وابن وهب وآخرون، وثقه ابن حبان.

المفضل بن لاحق أبو بشر المصرى، وثقه ابن معين.

ومن المحدثين الذين توفوا فى الدولة الطولونية:

قبيطة الحافظ أبو على الحسن بن سليمان البصرى نزيل مصر. (ت عام ٢٦١ هـ /٨٧٤ م) بمصر. حدث عنه أبو بكر بن خزيمة وجماعة. وصفه ابن يونس بالحفظ.

محمد بن على البغدادى، أبو بكر الامام الحافظ نزيل مصر (ت عام ٢٦٤ هـ /٨٧٧م) بمصر. حدث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وآخرين، وعنه أبو جعفر الطحاوى وطائفة. قال عنه أبو سعيد بن يونس: كان يحفظ الحديث ويفهم.

ومن المحدثين الذين توفوا بعد الدولة الطولونية:

محمد بن عبد الوارث بن حريز بن عيسى الأسوانى يكنى أبا عبد الله (ت عام ٢٩٧ هـ /٩٠٩ م) سمع منه ابن يونس وذكره فى تاريخه.

علي بن سعيد بن بشير بن مهران، ابو الحسن الرازي. نزيل مصر ومحدثها. توفي عام ٢٩٧ هـ /٩٠٩ م.

النسائي، ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني (٢٢٥ هـ - ٣٠٣ هـ /٨٣٩ - ٩١٥ م) استوطن مصر فأقام بزقاق القناديل. كان إمام أهل عصره في الحديث. وله كتاب «السنن» وكان يسميه الصحيح، وكتاب «الخصائص» في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت، وعن سبب تأليفه هذا الكتاب قال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير، فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب [١٣] .

قاسم بن عبد الله بن مهدي بن يونس البَلْيَنائي (ت سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦م) ذكره ابن يونس وقال : يروي عن أبي مُصْعَب أحمد بن أبي بكر ، قال : وقدم علينا الفسطاط فسمعت منه ، ولم يحصل لي عنه غير حديث واحد. ذكره ابن عدي قال : وكان بعض شيوخ أهل مصر يضعفه . قال : وهو عندي لا بأس به.

محمدبن إبراهيم بن خالد الأسواني ، ابو بكر (ت عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧م) ، حدث عن يونس بن عبد الأعلى وغيره .

الارغياني ، ابو عبد الله محمد بن المسيب بن اسحاق (ت سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م) وله ٩٢ سنة. كان يقول : كنت أمشي في مصر وفي كمي مائة جزء في كل جزء ألف حديث .

الحسن بن يوسف بن يعقوب ، ابو علي الفحام الأسواني (ت سنة ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م) ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال : سمع من يونس بن عبد الأعلى وغيره ، وكان ثقة .

احمد بن عبد الوارث الاسواني، ابو بكر (ت سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠م) . ذكره ابن يونس وقال : كان ثقة . حدث عن عيسى بن حماد زغبة وغيره .

---

(١٣) ونسبته إلى نَسَا ـ بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة ـ وهي مدينة بخرسان.

فقير بن موسى بن فقير بن عيسى بن عبد الله ، أبو الحسن الأسواني (ت سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م) ذكره ابن يونس وقال : رأيته وقد قدم علينا الفسطاط وقد حدث بمصر عن محمد بن سليمان بن أبي فاطمة وآخرون .

محمد بن جميع الأسواني ، حدث بأسوان عن أبي عمران محمد بن موسى ، وروى عنه العقيلي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م.

ومن المحدثين الذين توفوا في الدولة الأخشيدية :

عياش بن عباس ، أبوعبد الرحيم القتباني الحميري المصري (ت ٣٣٠ هـ/ ٩٤١م) روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، والهيثم بن شفي وغيرهما . وعنه حيوة بن شريح ، والليث، وابن لهيعة، والمفضل بن فضالة . وثقه ابن معين وغيره .

هارون بن يوسف بن هارون بن ناصح الأسواني (ت سنة ٣٣١ هـ/ ٩٤٢م) وقد ذكره ابن يونس في تاريخ مصر .

أبو بكر، أحمد بن عمر الطحان (ت سنة ٣٣٣ هـ/ ٩٤٤م) .

علي بن محمد بن أحمد بن الحسن أقام بمصر فعرف بالمصري (ت سنة ٣٣٨ هـ/ ٩٤٩م) جمع حديث الليث وابن لهيعة ، وله كتب كثيرة في الزهد. قال عنه الخطيب : كان ثقة أمينا عارفا .

ابن أبي الأصبغ ، محمد بن أحمد بن أبي الأصبغ عبد العزيز بن منير، يكنى أبا بكر (ت عام ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م) سكن مصر ، وأم بالجامع . وكان فقيها ، مشهورا ، ثقة، راوية للحديث ، وحدث بمصر وأملى .

سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن ، أبو علي البغدادي نزيل مصر (٢٩٤ ـ ٣٥٣ هـ/ ٩٠٦ ـ ٩٦٤م) ، وله كتاب الصحيح المنتقى .

حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم الكناني المصرى (٢٧٥ ـ ٣٥٧ هـ/ ٨٨٨ ـ ٩٦٧م) ، وهو من حفاظ الحديث . سمع النسائي وغيره . وكان من الزهاد .

محمد بن احمد بن عبد الله ، ابو طاهر الذهلي البغدادى المالكى (ت سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م) تولى قضاء مصر . وقال عنه ابن زولاق : كان أبو الطاهر كثير الحديث والأخبار ، وقد نزل مصر فحدث بها ، واكثر وكتب عنه عامة أهلها ، وكان يذهب إلي قول مالك بن أنس . وله كتاب في الفقه أجاب فيه عن مسائل مختصر المزني على قول مالك بن أنس واختصر تفسير البلخي . ومما استحسن من كلامه أنه تلقي الخليفة المعز لدين الله بالاسكندرية ، فلما جلس ابو طاهر عنده سأله الخليفة عن اشياء منها : أنه قال له : كم رايت من خليفة ؟ فقال : واحدا . فقال : ومن هو ؟ فقال : انت ، والباقي ملوك. ثم قال له : حججت ؟ قال : نعم . قال : وزرت؟ قال : نعم. قال : سلمت على الشيخين؟ قال : شغلني عنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما شغلني أمير المؤمنين عن ولى عهده . فأرضى الخليفة ، وتخلص من ولى عهده وكان لم يسلم عليه بحضرة الخليفة، فازداد الخليفة به عجبا وخلع عليه ، وأبقاه على ولايته وأجازه بعشرة آلاف درهم . ومولده سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م.

النقاش، ابو بكر محمد بن علي بن حسن المصرى نزيل تنيس (٢٨٢ ـ ٣٦٩ هـ /٨٩٥ ـ ٩٧٩ م) كان من علماء الحديث، وقد ارتحل اليه الدارقطني الى تنيس وكان منزويا بها، فلهذا لم ينتشر حديثه.

الحسن بن رشيق (٢٨٣ ـ ٣٧٠ هـ /٨٩٦ ـ ٩٨٠ م) حدث عن أبى عبد الرحمن النسائي وآخرون، روى عنه الدارقطني وابو محمد بن النحاس وآخرون، قال أبو القاسم بن الطحان في تاريخه: روى عن خلق لا استطيع ذكرهم، فما رأيت عالما اكثر حديثا منه.

ابو العباس، احمد بن عيسى بن الجراح بن النحاس المصرى (ت سنة ٣٧٦هـ /٩٨٦ م) عن ٨٥ سنة وكانت كتبه ذهبت فحدّث من حفظه وأملى سنين طويلة.

ابن مسرور الحافظ ابو الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد مسرور البلخى (ت سنة ٣٧٨ هـ /٩٨٨ م) استوطن مصر.

احمد بن ابى الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس النّصيبى المصرى (ت سنة ٣٨٦ هـ /٩٩٦ م).

أبو الفضل، جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حِنْزَابة (٣٠٨ ـ ٣٩١هـ /٩٢٠ ـ ١٠٠٠ م). وكان محدثا يُملى الحديث بمصر، وقد سبق ذكره.

عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز، أبو محمد الأزدى الحافظ المصرى (٣٣٢ ـ ٤٠٩ هـ /٩٤٣ ـ ١٠١٨ م). كان حافظ مصر فى عصره. ومن كتبه: كتاب «مشتبه النسبة»، وكتاب « المؤتلف والمختلف» وهو أول كتاب ألفه وقد قرأه على الدارقطنى. ويقال إنه بدأ السمع من العلماء وعنده عشر سنوات. وقيل إنه لما خرج الدارقطنى من مصر جاءه المودعون وتحزنوا على مفارقته وبكوا، فقال: لقد تركت عندكم خلفا ـ يعنى عبد الغنى.

ثالثا: علوم الفقه وفقهاء المذاهب الأربعة:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى، وهى متلقاه من الكتاب والسنة، فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة الشرعية قيل لها فقه.

وقد جد الفقه فى مصر منذ دخلها المسلمون، وعرف بين العرب فى مصر عدد من المجتهدين الذين أفتوا الناس بما فى القرآن والحديث الشريف أو بما رأوه.

وقد كان من الفقهاء فى مصر:

عقبة بن عامر الجهني (ت عام ٥٨ هـ / ٦٧٧ م)، كان فقيها علامة من فقهاء الصحابة، قارئا لكتاب الله، بصيرا بالفرائض. ولى إمرة مصر لمعاوية.

عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى (ت عام ٨٣ هـ /٧٠٢ م). الذى عرف فى العالم الاسلامي بزهده وعلمه حتى قيل إن رجلا من أهل مصر قابل ابن عباس وسأله عن مسألة فقال له ابن عباس: تسألنى وفيكم ابن حجيرة؟ وقد تولى قضاء مصر (٦٩ - ٨٣ هـ / ٦٨٨ - ٧٠٢ م).

أبو الخير، مَرْثَد بن عبد الله اليزنى الحميرى المصرى (ت عام ٩٠ هـ /٧٠٨ م) كان مفتي أهل مصر فى زمانه، وكان والى مصر فى ذلك الوقت عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا.

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٦١ وقيل ٦٣ - ١٠١ هـ /٦٨٠ أو ٦٨٢ - ٧١٩ م) نشأ بمصر فى ولاية أبيه عليها. حدث عن عبد الله بن جعفر، وأنس بن مالك، وأبى بكر بن عبد الرحمن وغيرهم، وحدث عنه ابناه عبد الله وعبد العزيز والزهرى وغيرهم. كان إماما، فقيها، مجتهدا، عارفا بالسنن ثبتا حجة حافظا.

يزيد بن أبى حبيب، أبو رجاء الأزدى مولاهم المصرى (٥٣ - ١٢٨هـ/ ٦٧٢ - ٧٤٥ م). كان مفتى أهل مصر، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام. كان حجة، حافظا للحديث، وقيل إنه أحد ثلاثة جعل لهم الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الفتيا فى مصر. وكان الليث بن سعد يقول عنه «هو عالمنا وسيدنا».

بكر بن سَوادة الجُذَامى المصرى (ت سنة ١٢٨ هـ /٧٤٥ م) مفتى مصر، وقد روى عن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد ، وعنه الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة. وثقه النسائى.

حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان التجيبي (ت سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) كان فقيها، وهو أمير مصر لهشام بن عبد الملك ثم لمروان ابن محمد.

عمر بن السائب، أبو عمر المصري الفقيه (ت سنة ١٣٤هـ /٧٥١ م)روى عن القاسم بن القزمان وغيره وهو مقل. روى عنه الليث وابن لهيعة، وبكر بن مضر.

خَيْر بن نُعَيْم الحضرمي قاضي مصر (ت سنة ١٣٧ هـ /٧٥٤ م) عنه عمرو بن الحارث والليث وضمام بن اسماعيل وابن لهيعة. قال يزيد بن أبي حبيب: ما أدركت في قضاة مصر أفقه منه.

خالد بن يزيد، ابو عبد الرحيم الاسكندراني المصري الفقيه (ت سنة ١٣٩ هـ /٧٥٦ م). عنه الليث والمفضل بن فضاله وآخرون. وثقه النسائي. وقال يحيى بن أيوب: كان أفقه جندنا.

عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري، ابو امية المصري (ت سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م) الفقيه المقرئ أحد الأئمة، مولى قيس بن سعد بن عبادة. حدث عن ابن يونس مولى أبي هريرة، ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم. وعنه مالك والليث وبكر بن مضر وابن وهب وأخرون.روى سعيد بن أبي مريم عن خاله قال: كان عمرو بن الحارث المصري يخرج فيجد الناس صفوفا يسألونه عن القرآن والحديث والفقه والشعر والعربية والحساب. قال أبو حاتم: كان عمرو بن الحارث أحفظ الناس في زمانه، لم يكن له نظير في الحفظ. قال ابن وهب: اقتدينا بمصر به وبالليث. قال أحمد بن صالح: لم يكن بعد عمرو بن الحارث مثل الليث بمصر. ومولده في سنة ٩٢ هـ /٧١٠ م، وقيل ٩٤ هـ / ٧١٢ م.

موسى بن ايوب بن عامر الغافقي المصري الفقيه (ت سنة١٥٣هـ/٧٧٠ م). روى عنه الليث وابن المبارك وابن وهب وأخرون. وثقه ابن معين. وهو مقل.

حَيَوة بن شُرَيح بن صفوان التجيبي، ابو زرعة المصرى الفقيه (ت سنة ١٥٨ هـ /٧٧٤ م وقيل عام ١٥٩ هـ /٧٧٥ م) روى عن عقبة بن مسلم ويزيد بن أبي حبيب، وحدث عنه الليث وابن المبارك وابن وهب واخرون. وثقه أحمد بن حنبل وغيره. قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاء في السنة ستين دينارا، فلا يطلع الى منزله حتى يتصدق بها، ثم يجئ الى منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له فأخذ عطاءه فتصدق به كله وجاء الى تحت فراشه فلم يجد شيئا، فشكا الى حيوة فقال:انا أعطيت ربي بيقين وأنت أعطيته تجربة.

يحيى بن أيوب، ابو العباس الغافقى المصرى (ت عام ١٦٨ هـ /٧٨٤ م وقيل عام ١٦٣ هـ /٧٧٩ م) فقيه أهل مصر ومفتيهم، حدث عن يزيد بن أبي حبيب وعنه ابن وهب وآخرون.

الليث بن سعد بن عبد الرحمن، ابو الحارث الفهمي المصرى. ولد بقرية قلقشندة عام ٩٤ هـ /٧١٢م وتوفى عام ١٧٥هـ /٧٩١م. كان أكبر عالم فقيه شاهدته مصر فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، اشتغل بالفتوى في زمانه بمصر. أخذ العلم عن فقهاء مصر ومحدثيها أمثال: يزيد ابن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة، وخير بن نعيم وغيرهم. ورحل الى الحجاز والمقدس وبغداد فى طلب العلم ورواية الحديث. وقد نبغ الليث فى الناحية الفقهية، وعُرف بها حتى إن الامام الشافعي كان يقول: «الليث بن سعد افقه من مالك بن أنس، إلا أن اصحابه لم يقوموا به.» وقال عنه يحيى بن بكير: ما رايت افقه من الليث بن سعد، كان ثقة في الحديث، نحوى اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الأحاديث الكثيرة، إلا ان أصحابه ضيعوه، لم يكتبوا عنه شيئا.

قال الذهبي في كتابه «العبر»: كان أمراء مصر لا يقضوا أمرا دونه، وإذا خالفه أحد فى شئ، كاتب فيه الخليفة، فيعزله. وقد اراد الخليفة المنصور ان يوليه مصر إلا انه رفض.

وتُعد آراء الليث بن سعد فى الفقه مذهبا من المذاهب الفقهية عند أهل السنة، ولكن المصريين لم يحافظوا على مذهبه وارائه، واهتموا بمذهب مالك، فانتشر بينهم فقه مالك، وفقد فقه الليث.

ومن كتبه كتاب التاريخ، وكتاب مسائل الفقه.(١٤)

الهذيل بن مسلم التميمى (ت عام ١٨٩هـ / ٨٠٤م)كان فقيها سكن مصر.

شعيب بن الليث بن سعد المصرى الفقيه (ت سنة ١٩٩ هـ /٨١٤م). قال ابن يونس عنه: كان فقيها مفتيا.

يحيى بن حسان التنيسى، أبو زكريا (ت سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣ م) كان اماما حجة من جلة المصريين.

اسحاق بن بكر بن مضر الفقيه (ت سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣ م) وهو من طلبة الليث بن سعد، وكان يجلس فى حلقة الليث فيفتى ويحدث.

عيسى بن حماد زُغْبَة التجيبى مولاهم المصرى راوى الليث بن سعد (ت سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م).

عبد الملك بن شُعَيبْ بن الليث بن سعد المصرى (ت سنة ٢٤٨ هـ /٨٦٢ م). سمع أباه، وابن وهب. وكان أحد الفقهاء.

احمد بن موسى بن عيسى بن صدقه الصدفى مولاهم (ت عام ٣٠٦هـ /٩١٨م) من أهل مصر، وهو فقيه مشهور بها.

على بن عبد الله بن ابى مطر المعافرى الاسكندرى، الفقيه، العالم قاضى الاسكندرية (ت سنة ٣٣٠ هـ /٩٤١ م) روى عن محمد بن عبد الله بن ميمون صاحب الوليد بن مسلم.

---

(١٤) قلقشندة ـ وهى بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ـ وهى قرية من الوجه البحرى من القاهرة.

مؤمل بن يحيى بن مهدى بن ابى الحسن الأسوانى الفقيه (٢٧٠ - ٣٥٩ هـ /٨٨٣ - ٩٦٩ م).

المذاهب الفقهية فى مصر:

لم يظهر الفقه كعلم فى أول الأمر، لوجود الصحابة والتابعين، ولكن لما تعددت مشاكل الاسلام، تطلب الأمر ضبط الشرع، فظهرت عدة طرق فقهية، وهى ليست فرقا، وانما دراسات دينية، لذلك أطلق عليها مذاهب، وهى تسير فى دائرة الاسلام، بحيث يمكن لاتباع إحداها أن ينتقلوا إلى أخرى.

وسنتناول فى الصفحات القادمة المذاهب الفقهية فى مصر مرتبة تبعا لانتشارها فى مصر، مع ذكر اصحاب كل مذهب.

١- مذهب مالك:

وهو نسبة إلى مالك بن انس بن ابى عامر بن عمرو بن الحارث ، ابو عبد الله المدنى الفقيه . ولد عام ٩٥ هـ/ ٧١٢م وقيل عام ٩٦هـ/ ٧١٤ م وقيل عام ٩٢هـ/ ٧١٠م وقيل عام ٩٣هـ/ ٧١١م، وتوفى عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.

حدث عن نافع والزهرى وآخرون ، وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون منهم: ابن المبارك، وابن وهب، وابن القاسم. قال الشافعى : اذا ذكر العلماء فمالك النجم. وقال ايضا : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. كما قال : ما فى الأرض كتاب فى العلم اكثر صوابا من موطأ مالك. وقال آخر : إمام أهل الحديث مالك. وكان له من الكتب : كتاب الموطأ، وكتاب رسالته إلى الرشيد رواها ابو بكر بن عبد العزيز من ولد عمر بن الخطاب.

وقد كان المذهب المالكى أكثر مذاهب أهل السنة والجماعة انتشارا فى مصر ، وكان اكثر علماء مصر من فقهاء المالكية .

ويرجع السبب فى انتشار مذهب مالك فى مصر ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ إلى ان مالكا كان فقيه المدينة المنورة، والمصريون كانوا

يفضلون علماء أهل المدينة أكثر من تفضيلهم علماء الأمصار الاسلامية الأخرى .

وقد كان أساس دراسة فقه مالك بن أنس هو رواية «الموطأ» وشرحه، واستخراج آراء مالك منه. وقد كان للموطأ أربع عشرة رواية، منها خمس روايات للمصريين ، والسادسة وهي الرواية المنتشرة الآن هي رواية يحيى بن يحيى الأندلسي [١٥] أخذ الشطر الأكبر منها عن مالك نفسه ، ولكن الرواية كلها تكاد تكون عن رواية عبد الله بن وهب المصري ، وهذا يدل على شدة إقبال علماء مصر على فقه مالك الذي حواه الموطأ.

وأول من قدم بعلم مالك إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى، وكان فقيها، روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد ، وتوفي بالإسكندرية عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م. وفي رواية أخرى أن عثمان بن الحكم الجذامي هو أول من أدخل علم مالك بمصر، وتوفي عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م.

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن كلا القولين صحيح، وذلك لأنه في ترجمة عثمان الجذامي من «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني ما نصه : «وقال ابن وهب : أول من قدم مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد» . فيظهر أنهما بعد أن تفقها عن الامام مالك عادا معا إلى مصر ونشرا مذهبه .

ومن أصحاب مالك في مصر :

هارون بن عبدالله بن الزهري المالكي (ت عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٩م) تولى قضاء مصر. وقيل: إنه أعلم من صنّف الكتب في مختلف قول مالك. وقال الخطيب: إنه سمع من مالك.

---

(١٥) وهو يحي بن كثير الليثي، أبو محمد. رحل إلى المشرق وسمع من مالك بن أنس الموطأ كما رحل إلى مصر وسمع من أكابر أصحاب مالك فيها، وعندما عاد إلى الأندلس انتهت إليه الرياسة بها، وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد، وتفقه به جماعة لا يحصون عددا، وروى عنه خلق كثير. وأشهر روايات الموطأ وأحسنها روايته. توفي عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م وقيل ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م.

طليب بن كامل اللخمي . وكان من كبار أصحاب مالك، وأصله اندلسي سكن الإسكندرية ، وروى عنه ابن القاسم وابن وهب، وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته الى مالك. وقد مات طليب فى حياة مالك بالاسكندرية سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م .

عبد الرحمن بن القاسم ، أبو عبد الله العتقى مولاهم المصرى (ت عام ١٩١هـ/ ٨٠٦م) فقيه الديار المصرية، سمع مالك بن أنس وتفقه به وصحبه عشرين سنة. وهو صاحب «المدوّنة» فى مذهبهم وهى من أجل كتبهم، وعنه اخذها سَحْنُون. ويذكر انه انفق اموالا عظيمة فى طلب العلم (١٦) .

عبدالله بن وهب بن مسلم ، أبو محمد (١٩٧هـ/٨١٢م) . كان أحد أئمة عصره وصحب الامام مالك عشرين سنة . (انظر عن ترجمته فى الطبقات الخاصة بالمحدثين) .

اشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى (١٤٠ ـ ٢٠٤ هـ/ ٧٥٧ ـ ٨١٩م) وقد تولى رياسة المالكية فى مصر بعد ابن القاسم ، وكان من اكثر الناس علما. تلقى عن مالك. والليث بن سعد، والفضيل بن عياض وغيرهم. ويقول ابن وهب عنه : «كان أشهب فقيها فى علوم شتى، ما سئل عن شيء إلا أجاب» ، ووصفه الامام الشافعى بقوله :«ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه» .

اسحق بن الفرات (ت عام ٢٠٤هـ/٨١٩م) صاحب مالك، روى عن الليث بن سعد وغيره، وقال عنه الشافعى : ما رايت بمصر أعلم باختلاف الناس من اسحق بن الفرات.

---

(١٦) العتقى:بضم العين وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف، هذه النسبة إلى العتقاء ـ كما يقول ابن خلكان ـ وهم ليسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائلشتى، وسموا بذلك لانهم كانوا يقطعون على من اراد النبى صلى الله عليه وسلم، فبعث إليهم، فاتى بهم أسرى فأعتقهم، وقيل لهم: العتقاء. كما عرفوا باهل الظاهر فى مصر وذلك لانهم عندما تم فتح الإسكندرية ورجعوا إلى الفسطاط لم يجدوا موضعا يختطون فيه عند أهل الراية، فشكوا ذلك إلى عمرو، فقال لهم معاوية بن حديج وكان يتولى أمر الخطط: ارى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذونه منزلا وتسمونه الظاهر، ففعلوا ذلك، فقيل لهم اهل الظاهر. وعن خطتهم انظر، الموضوع الخاص بالقبائل العربية.

عبد الله بن عبد الحكم (ت عام ٢١٤هـ/٨٢٩م) . كان من جلة أصحاب مالك، وقد أفضت إليه رئاسة المالكية بعد أشهب، وله مصنفات في الفقه وغيره.

أَصْبَغ بن الفرج ، أبو عبد الله المصري (ت سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) مفتي أهل مصر . قال ابن معين: كان من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك، يعرفها مسألة مسألة، متى قالها مالك ومن خالفه فيها، وله تصانيف، وعندما كتب المعتصم ليحمل إليه أصبغ في المحنة هرب واختفى بحلوان .

عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي (ت عام ٢٢٦هـ / ٨٤٠م) روى عن مالك. وسمع من كبار أصحابه كابن وهب، وابن القاسم وأشهب .

يحيى بن عبد الله بن بكير، أبو زكريا المصري (ت سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥م) صاحب مالك والليث. وروى أنه سمع الموطأ من مالك سبعة عشر مرة، روى عنه البخاري وأبو زرعة وخلق كثير.

يوسف بن عدي الكوفي نزيل مصر (ت سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦م) حدث عن مالك ، وكان محدثا تاجرا.

عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم (ت سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) . وهو أكبر بني عبد الله بن عبد الحكم وهم : عبد الحكم هذا ، وعبد الرحمن ، وسعد، ومحمد، ولم يكن فيهم أفقه من عبد الحكم كما يقول ابن فرحون . وله سماع كثير من أبيه وابن وهب وغيرهما من رواة مالك ، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب . وقيل إن موته إنما كان بسبب المحنة في القران ، وإنه دخن عليه بالكبريت ولم يرجع، فضرب نحو ثلاثين سوطا في غلالة.

الحارث بن مسكين ، أبو عمرو المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان (١٥٤ ـ ٢٥٠ هـ/ ٧٧٠ ـ ٨٦٤م) . كان فقيها على مذهب الامام مالك، وكان ثقة في الحديث، وله تصانيف، حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القران، وظل محبوسا

ببغداد إلى أن ولي المتوكل فاطلقه. وقد تولى القضاء بمصر (أنظر في ذلك الموضوع الخاص بالقضاة) .

ابو طاهر ، احمد بن عمرو بن عبد الله بن السرح الأموى مولاهم المصرى (ت سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤م) مصنف شرح الموطأ . وكان من كبار العلماء .

ومن فقهاء المالكية الذين توفوا في العصر الطولوني :

عبد الغنى ابو محمد بن عبد العزيز بن سلام المعروف بالعسال (ت سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) . كان حافظا ، فقيها، مفتيا من فقهاء المالكية . روى عن ابن وهب وابن عيينية .

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ابو عبد الله المصرى (١٨٢ ـ ٢٦٨هـ/ ٧٩٨ ـ ٨٨١م). أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك، أخذ مذهب مالك من ابن وهب وأشهب ، وتفقه بأبيه وبالشافعي، وانتهت إليه الرياسة بمصر . قال عنه ابن يونس: كان المفتى بمصر في أيامه . وقال عنه النسائي: ثقة. وله كتب كثيرة منها : الرد على الشافعي، وكتاب أحكام القران ، وكتاب الرد على فقهاء العراق.

ابن الموّاز ، ابو عبد الله ، محمد بن ابراهيم الإسكندرانى (ت عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م) . انتهت إليه الرياسة في مذهب مالك. أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم.

محمد بن أصبغ بن الفرج (ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨م) كان فقيها مفتيا بمصر.

ومن فقهاء المالكية الذين توفوا قبل العصر الاخشيدي:

محمد بن احمد بن ابى يوسف، ابو بكر بن الخلال (ت سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) وهو من فقهاء مصر، درس بجامعها وأخذ عنه الناس ،

والف أربعين جزءا من منتقى قول مالك، وروى عن محمد بن أصبغ، عن أبيه عن ابن القاسم : كتاب السر لمالك .

ومن فقهاء المالكية فى العصر الاخشيدى :

هارون بن محمد بن هارون الأسوانى (ت سنة ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) . ذكره ابن يونس وقال : كان أحد اصحابنا الذين كتبوا معنا الحديث، وكان فقيها على مذهب مالك.

احمد بن محمد بن هارون الاسوانى ، ابو جعفر الفقيه المالكى (ت عام ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م وقيل عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م) .

محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد ، أبو اسحق ويعرف بالقرطبي (ت عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م) من أعيان العلماءالمالكية. وقد انتهت إليه رياسة المالكية بمصر . ومن كتبه : كتاب الزاهى الشعبانى المشهور فى الفقه، وكتاب فى أحكام القرآن ، وكتاب في مناقب مالك ، وكتاب الرواة عن مالك ، وكتاب مواعظ ذو النون الاخميمى .

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقى الجوهرى ، أبو القاسم (ت عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) من شيوخ الفسطاط ، وكبار فقهاء المالكية ، كثير الحديث. الف كتاب « مسند الموطأ» ، وكتاب « مسند ما ليس فى الموطأ».

---

(١٧) وهو مسلم بن خالد بن سعد المعروف بالزنجى. كان فقيها عابدا يصوم الدهر. توفى بمكة عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م فى خلافة هارون.

٢ ـ المذهب الشافعي :

والمذهب الشافعي نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبد الله . ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م وتوفى سنة ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م بمصر . وحفظ الموطأ وعرضه على مالك ، وأذن له مسلم بن خالد [١٧] بالفتوى وهو ابن عشرين سنة او دونها .

جاء محمد بن إدريس الشافعي إلى مصر سنة ١٩٩ هـ/ ٨١٤ م ونزل ضيفا على عبد الله بن عبد الحكم رئيس المالكية الذى اكرم الشافعي، ووهبه اموالا من عنده ، كما جمع له بعض المال من وجوه المصريين ليستعين به في حياته. وبدأ الشافعي يلقى بتعاليمه وفقهه في المسجد الجامع بالفسطاط. واقبل عليه بعض علماء المصريين يأخذون عنه، وكان اكثرهم اقبالا عليه وأخذا منه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذى كان ابوه رئيسا للمذهب المالكي في مصر، وكان أبوه يشجعه على الأخذ عن الشافعي، وكان علماء المالكية يلومونه على ذلك، فكان يجيبهم: اننا يجب أن نعرف مختلف الآراء! فكان هذا القول حافزا على الاستماع لفقه الشافعي، حتى كثر تلاميذ الشافعي .

ويقال إن الشافعي عندما دخل مصر صنف بها نحو مائتي جزء في العلم . ولما أشرف على الموت، أوصى أن لا يغسله إلا أمير البلد. فلما مات ، احضر الأمير إبراهيم بن محمد السرى فقيل له: « إن الامام أوصى أن لا يغسله إلا أنت ». قال : «هل توفي الامام وعليه دين» ؟ قالوا : «نعم » . قال : «احسبوا ما عليه من الدين». فحسبوا، فاذا هو سبعون الف درهم. فقضاها عنه الأمير إبراهيم، وقال : «هذا غسلي اياه، وانما عنى عن الدين الذى عليه لأقضيه عنه».

وله من الكتب : كتاب المبسوط في الفقه، رواه عنه الربيع بن سليمان، ويحتوى هذا الكتاب على كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج، كتاب الاعتكاف.

ومن كتبه التي صنفها في مصر: كتاب الأم، وكتاب الأمالي الكبرى، وكتاب الاملاء الصغير ، ومختصر البويطي، ومختصر المزني والرسالة والسنن .

ومن فقهاء الشافعية في مصر :

يوسف بن يحيي البُوَيْطي، ابو يعقوب (ت عام ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) كان خليفة الشافعي في حلقته بعده. وقال عنه الشافعي: «ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيي، وليس أحد من أصحابي أعلم منه » . وقد ألف البويطي كتبا كثيرة في فقه الشافعي منها: المختصر الكبير ، والمختصر الصغير ، وكتاب الفرائض . وقد توفي البويطي معذبا في سجن بغداد بسبب محنة خلق القران ، فانه لم يُقر بخلقه (١٨) .

عبد العزيز بن عمران بن ايوب الخزاعي المصري ، أبو علي (ت عام ٢٣٤ هـ/ ٨٤٨م) كان من أكابر العلماء المالكية. فلما قدم الشافعي مصر ، لزمه ، وتفقه على مذهبه.

حرملة بن يحيي التُّجيبي ، ابو حفص المصري الحافظ (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ/ ٧٨٢ ـ ٨٥٧م) صاحب الامام الشافعي ، تفقه به . روى عن ابن وهب مائة ألف حديث . وصنف «المختصر»، و «المبسوط» .

محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس (ت عام ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢م) . وهو من فقهاء الشافعية، وله مناظرات مع المُزني . وهو ابن عم الشافعي وقد تزوج بزينب إبنة الشافعي .

احمد بن يحيي الوزير بن سليمان ابو عبد الله المصري الحافظ النحوي (ت عام ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤م) أحد الائمة وقد صحب الشافعي وتفقه به.

---

(١٨) البويطي نسبة إلى بُوَيْط وهي قرية من اعمال الصعيد الادنى من ديار مصر.

فقهاء الشافعية الذين توفوا في العصر الطولوني :

الربيع بن سليمان بن داود بن الاعرج ، ابو محمد ، الأزدي بالولاء، المصرى الجيزى ، توفى عام (٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م) بالجيزة، وهو صاحب الشافعي، ولكنه كان قليل الرواية عنه ، وإنما روى عن عبد الله بن الحكم كثيرا . وكان ثقة ، روى عنه النسائى .

إسماعيل بن يحيى المُزَني ، أبو إبراهيم المصرى (١٧٥ ـ ٢٦٤هـ/٧٩١ـ ٨٧٧م) وهو إمام الشافعيين، وأعرفهم بطرق الشافعى وفتاويه، صنف كتبا كثيرة فى مذهب الامام الشافعي منها : «الجامع الكبير» ، «والجامع الصغير» ،و «مختصر المختصر» وغير ذلك . قال فيه الشافعى : لو ناظر الشيطان لغلبه[١٩].

يونس بن عبد الأعلى ، ابو موسى الصدفى المصرى، المقرىء ، الفقيه (ت سنة ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧م) ولد سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م. قرأ القران على ورش، وحدث عن ابن وهب والشافعي وتفقه عليه وانتهت إليه رياسة العلم وعلو الاسناد فى الكتاب والسنة . وكان أحد الشهود بمصر . أقام شاهدا ستين عاما. وقال النسائى : ثقة . وكان يروى للشافعي قوله :

ما حك جلدك مثل ظفرك	فتول انت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة	فاقصد لمعترف بقدرك

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل ، المرادي بالولاء ، أبو محمدالمصرى (ت سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م) صاحب الامام الشافعى ، وراوى اكثر كتبه . وكان مؤذنا بجامع الفسطاط . وكان يدرس فيه، ثم استدعاه أحمدبن طولون إلى التدريس فى مسجده لما بناه ، وكان أول من أملى الحديث بجامع ابن طولون .

(١٩) والمزني ـ بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون ـ هذه النسبة إلى مزينة بنت كلب، وهي قبيلة كبيرة مشهورة.

قَحْزَم بن عبد الله ، ابو حنيفة الاسوانى (ت عام ٢٧١ هـ/ ٨٨٤م) وهو من اصل قبطى ـ وكان من جلة أصحاب الشافعى، وكان مقيما بأسوان، يفتى بها ويدرس.

ومن الفقهاء الشافعية الذين توفوا قبل العصر الاخشيدى :

محمد بن عثمان بن إبراهيم الدمشقى ،ابو زرعة (ت عام ٣٠٢ هـ/ ٩١٤م) ، ولى قضاء مصر عن احمد بن طولون عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م وكان أول قاض يتولى القضاء فى مصر على مذهب الامام الشافعى .

عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينى ، أبو القاسم (ت عام ٣١٥ هـ/ ٩٢٧م) . سكن مصر ، وأخذ عن يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المرادى ، وكانت له حلقة للفتوى بمصر .

محمد بن على المصرى ـ أبو بكر المعروف بالعسكرى (ت عام ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م) ـ والعسكرى نسبة إلى العسكر ـ فكان مفتى أهل العسكر ، روى عن يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان .

ومن فقهاء الشافعية الذين توفوا فى العصر الاخشيدى :

الحسين بن أبى زرعة الدمشقى ، ابو عبد الله (ت عام ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) وهو ابن القاضى الشافعى محمد بن عثمان ، ابو زرعة ـ وقد تولى قضاء مصر والشام .

محمد بن بشر بن عبدالله الزبيرى ، أبو بكر (ت عام ٣٢٢ هـ/ ٩٤٣م) .

محمد بن احمد بن الربيع الاسوانى ، أبو رجاء (ت عام ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م).

عبد الرحمن بن سلمويه الرازى (ت عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) ـ وكان قد قدم إلى مصر وتفقه بها وأفتى ودرس فى جامعها العتيق .

إبراهيم بن احمد بن اسحاق المروزى ، ابو اسحاق الفقيه الشافعى (ت عام ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م) بمصر ، وكان إمام عصره فى الفتوى والتدريس وانتهت إليه الرياسة بالعراق ، وقد انتقل إلى مصر فى أواخر عمره ، وكان يجلس فى مجلس الشافعى .

محمد بن إبراهيم بن الحسين، أبو الفرج البغدادى المعروف بابن سكره (ت عام ٣٤٢ هـ/ ٩٥٣م) سكن مصر ، وحدث بها .

محمد بن أحمد بن محمد ، أبو بكر بن الحداد (٢٦٤ ـ ٣٤٤ أو ٣٤٥ هـ/ ٨٧٧ ـ ٩٥٥ أو ٩٥٦ م) أحد ائمة الشافعية ، تولى القضاء والتدريس بمصر ، ومن كتبه : كتاب « الفروع» فى المذهب، وكتاب الباهر فى الفقه، فى مائه جزء، وكتاب جامع الفقه، وكتاب ادب القضاء فى اربعين جزءا (٢٠).

عبد الله بن محمد بن الحسين، أبو بكر الخصيبى الأصبهانى(ت عام ٣٤٨هـ/٩٥٩م)، له كتاب فى الفقه يسمى «المجالسة» وكان قد تولى قضاء مصر عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م

٣ـ مذهب ابى حنيفة :

نسبة الى ابى حنيفة، النعمان بن ثابت(٨٠ـ١٥٠هـ/٦٩٩ ـ٧٦٧م)، وكانت له مؤلفات كثيرة منها :كتاب الفقه الأكبر ـ كتاب الردعلى القدرية ـ كتاب العالم والمتعلم.

ولم ينتشر مذهب ابى حنيفة فى مصر كما انتشر مذهب مالك، فتقول الدكتورة سيدة كاشف: أما المذهب الحنفى فيظهر أن احدا من أهل مصر لم يذهب اليه اذ ذاك إلا من كان من قضاتها الذين ولتهم الخلافة، وخاصة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد الذى ولى قضاء بغداد بعد (سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد أصحاب أبى حنيفة، ولم يقلد

---

(٢٠) والحداد نسبة الى احد اجداده الذى كان يعمل الحديد ويبيعه. ،انظر عنه فى الموضوع الخاص بالقضاة.

الخليفة القضاء ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضي ابو يوسف، وطبيعي ألا يولي ابو يوسف أحدا إلا من كان من أصحابه أي ممن يذهب مذهب أبي حنيفة

وتقول الدكتورة سيدة كاشف أيضا : إنه اذاكان ولي القضاء بمصر في العصر العباسي قضاة على مذهب ابي حنيفة، إلا أن عامة أهلها لم يتبعوا ذلك المذهب، وانما كان مذهب مالك هو المنتشر بها.

فقهاء الحنفية:

اسماعيل بن اليسع الكندي، الذي ولي القضاء عام (١٦٤هـ/٧٨٠م) من قبل المهدي وكان مكروها من المصريين بسبب مذهبه، ولم يكن أهل مصر يعرفون هذا المذهب، حتى إن فقيه مصر الليث بن سعد اضطر إلى أن يكتب إلى الخليفة العباسي، يطلب عزل هذا القاضي فاضطر الخليفة إلى عزل هذا القاضي الحنفي المذهب

بكار بن قتيبة(١٨٢ ـ ٢٧٠هـ / ٧٩٨ ـ ٨٨٣م). تولى القضاء بمصر عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م من قبل المتوكل، كان يحدث في المسجد الجامع بالفسطاط في فقه ابي حنيفة.

احمد بن أبي عمران، ابو جعفر الفقيه قاضي الديار المصرية (ت عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) من أكابر الحنفية، وهو شيخ الطحاوي

احمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي الفقيه الحنفي (ت عام ٣٢١هـ /٩٣٣م) وهو ابن أخت المزني، وكان شافعي المذهب، وذكر ابن خلكان ان سبب انتقاله الى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن المذهب الشافعي، أن خاله المزني قال له يوما : « والله لا جاء منك شيء» فغضب وتركه، وتحول الى المذهب الحنفي حتى برع فيه، وانتهت اليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. صنف كتبا كثيرة منها :«أحكام القرآن» ، و«اختلاف العلماء» ، و« معاني الآثار» و« الشروط الكبير» و« كتاب الفرائض» وغير ذلك.

وهكذا أصبح بمصر في تلك العهد مذهبان يتعادلان هما : المالكي والشافعي، ومذهب أقل شأنا تؤيده الخلافة وهو المذهب الحنفي، أما المذهب الحنبلي[21] أو المذاهب الأخرى السنية، فلم يكن لها ذكر بمصر اذ ذاك وكذلك المذاهب التي لا تعد من مذهب أهل السنة مثل : الشيعة والخوارج، فلم يكن لها أثر إلا في ظروف سياسية معينة، ولكنها لم تعمر طويلا اذ لم يقبل المصريون على مثل تلك المذاهب .

وانقسم المصريون بين فقه الشافعي وفقه مالك انقساما أدى الى أن قاضي مصر عيسى بن المنكدر الذي تولى القضاء (٢١٢ ـ٢١٤ هـ / ٨٢٧ ـ ٨٢٩م) كان يصيح بالشافعي ويقول له :«ياكذا، دخلت هذه البلدة وأمرنا واحد، ورأيناواحد، ففرقت بيننا، والقيت الشر، فرّق الله بين روحك وجسدك» وقد قال القاضي هذا للشافعي للخلاف الشديد الذي كان بين أراء الشافعي وأراء مالك، وتعصب المالكية لأرائهم، وتعصب الشافعية لتعاليمهم، فقد كثرت المناظرات بين علماء المذهبين، وكثيرا ما كادت تؤدي هذه المناظرات الى فتن بين المسلمين والى قتال أحيانا ! فقد حدث في عام ٣٢٦هـ /٩٣٧م أن عاد أصحاب مالك والشافعي الى القتال في المسجد الجامع العتيق، فلما زاد قتالهم أرسل الاخشيد، ونزع حصرهم ومساندهم، وأغلق الجامع، وكان يفتح في أوقات الصلوات، ثم سئل الاخشيدفيهم فردهم . ويبدو ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ أن الأمراء الاخشيديين وأتباعهم كانوا يكرهون الشافعية.

---

(٢١) المذهب الحنبلي نسبة الى أحمد بن حنبل، أبو عبد الله (١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٥٥م). كان إمام المحدثين، قال عنه الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وخلق عظيم. وله من الكتب : كتاب السند ويحتوي على نيف وأربعين الف حديث، وكتاب العلل، وكتاب التفسير، وكتاب وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب الفرائض، وكتاب طاعة الرسول وغير ذلك.

التصوف والمتصوفون :(٢٢)

ظهر التصوف في مصر منذ القرن الأول للهجرة. والتصوف ـ كما يقول ابن خلدون ـ هو «العكوف على العبادة، والانقطاع الى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة».

وترجع نشاة التصوف في الاسلام إلى حركة الزهد العظيمة التي ظهرت تحت تأثير المسيحية في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري ـ كما هو واضح من كتب تراجم الصوفية التي تفيض بأخبارهم وأقوالهم .والزهد كما قيل أول مراحل التصوف.

على أننا يجب أن نفرق بين الزهاد الذين ظهروا في القرنين الأول والثاني للهجرة، وبين المتصوفين الذين ظهروا بعد ذي النون المصري (ت عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) رائد الصوفية في مصر، فقد كان له فضل كبير في وضع كثير من التعاليم الصوفية التي نعرفها الآن، والتي تختلف عن صوفية مصر من قبل.

---

(٢٢) وعن معنى كلمة المتصوفون يقول المقريزي:
«واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال: وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي وللجماعة الصوفية، ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوفا وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه، انه كاللقب. فاما قول من قال إنه من الصوف، وتصوف اذا لبس الصوف، كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف. ومن قال إنهم ينسبون الى صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لاتجئ على نحو الصوفي، ومن قال إنه من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة. وقول من قال إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول من حيث المحاضرة مع الله تعالي، فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة من الصف. ثم ان هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله أعلم».
ويقول ابن خلدون: «والأظهر إن قيل بالاشتقاق انه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف».

ومن الزهاد والمتصوفين في مصر :

سليمان بن أبي زينب، أبو الربيع السبأى مولاهم المصرى الزاهد(ت عام ١٣٤هـ /٧٥١م).

المحب بن حنلم، أبو خيرة الرعينى مولاهم المصرى (ت عام ١٣٥ هـ/ ٧٥٢م) قال عنه ابن لهيعة : كان أبو خيرة يقرا القرآن فى كل يوم وليلة مرتين.

عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى، أبو الحارث الزاهد، أحد الأولياء، كان ثقة، وتوفى ببرقة عام ١٣٦هـ / ٧٥٣م.

عبد الرحمن بن ميمون الزاهد، من موالى أهل المدينة وسكن مصر (ت عام ١٤٣هـ / ٧٦٠م).

العلاء بن كثير القرشى، مولاهم الاسكندرانى المصرى الزاهد (ت عام ١٤٤هـ/٧٦١م).

سهيل بن حسان، أبو السمحاء الكلابى المصرى الزاهد (ت عام ١٤٧هـ/٧٦٤م).

عميرة بن أبي ناجية، أبو يحيى الرعينى مولاهم المصرى الزاهد (ت عام ١٥٣هـ /٧٧٠م) .

النضر بن عبد الجبار، أبو الأسود المرادى المصرى الزاهد (ت عام ٢١٩هـ /٨٣٤م).

ذو النون المصرى، أبو الفيض، ثَوْبَان بن إبراهيم الاخميمى (ت عام٢٤٥هـ/٨٥٩م).

بُنان بن محمد بن حمدان الحمال، أبو الحسن الزاهد (ت عام ٣١٦هـ/٩٢٨م).

محمد بن أحمد بن القاسم، أبو على الروذبارى البغدادى الزاهد. توفى بمصر عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م.

على بن محمد بن سهل ، أبو الحسن الدينورى الزاهد (ت عام ٣٣١هـ/٩٤٢م).

ابو الخير الأقطع (ت عام٣٤٣هـ/ ٩٥٤م).

الحسن بن احمد، ابو على الكاتب المصرى (ت عام٣٤٣هـ/٩٥٤م).

على بن جعفر البغدادى المتصوف.

محمد بن أحمد بن سهل، ابو بكر الرملى النابلسى وكان يكره الفاطميين حتى يروى انه قال :لو كان معى عشرة أسهم، رميت الروم بسهم، ورميت بنى عبيد بتسعة! فلما سمع بذلك المعز صاحب مصر فى ذلك الوقت قتله، وكان ذلك فى عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

رابعا : الدراسات اللغوية والنحوية :

وقد ازدهرت الدراسات النحوية واللغوية والعربية لما لها من صلة وثيقة بعلوم القرآن والحديث، فهي مفتاح لفهم القرآن والسنة، وأداة لفهم الاحكام.

ومن نحاة مصر:

عبد الرحيم بن علي ـ وقيل ابن فخر ـ بن هبة الله النحوى الأديب (ت عام٧٩هـ/٦٩٨م) بإسنا . كان نحويا شاعرا، نظم كتابافي النحو سماه «المفيد».

عبد الرحمن بن داود المدني الملقب بالأعرج صاحب أبي هريرة، قيل إنه أول من وضع العربية بالمدينة. وقد جاء الى مصر، وتوفي بالاسكندرية عام ١١٧هـ/٧٣٥م.

سرج الغول، وهو رجل من أهل مصر، عالم باللغة، يعرف بلقبه، قال عنه الربيع بن سليمان :كان لا يقول أحد شيئا من الشعر إلا عرضه عليه. وكان الشافعي يقول : ياربيع ادع لي سرجا ، فيأتي به، فيذكره ويناظره. وعندما يقوم سرج الغول يقول الشافعي : ياربيع نحتاج ان نستأنف طلب العلم.

عبد الملك بن هشام، أبو محمد المعافرى(ت عام ٢١٨هـ/٨٣٣م) كان إماما في اللغة والنحومتقدما فى علم النسب، وهو صاحب السيرة النبوية.

ابو الحسن الأعز عدّه الزبيدى من الطبقة الأولى من النحويين واللغويين المصريين، أخذ عن على بن حمزة الكسائى(٢٣)، ولقيه قوم من أهل الأندلس وحملوا عنه وذلك فى عام ٢٢٧هـ/٨٤١ م.

---

(٢٣) وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، أحد الائمة فى القراءة والنحوواللغة، وهو من أهل الكوفة، واستوطن بغداد، وروى الحديث وصنف الكتب. وتوفي عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وقيل عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وقيل عام ١٨٩هـ/ ٨٠٤م وقيل عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م.

الوليد بن محمد التميمي الشهير بولاّد . توفي بمصر عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م، اصله من البصرة ونشأ بمصر، ثم رحل الى العراق في طلب العلم وعاد الى مصر، ومعه كتب أهل العراق في النحو واللغة، ويقال إنه هوالذى أدخل اليها كتب النحو واللغة، وكان تلميذا للخليل بن أحمد (٢٤)

القاسم بن عيسى، أبو الفضل النحوى (ت عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣ م) قال عنه ابن يونس : إنه كان عالما بالنحو واللغة.

محمود بن حسان، ابو عبد الله النحوى (ت عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م) قال عنه ابن يونس في تاريخ مصر : كان نحويا مجوّدا، روى عن أبى زرعة المؤذن وعبد الملك بن هشام مغازى ابن اسحاق.

عبد الله بن فزارة، النحوى، ابو زهرة(ت عام ٢٨٢هـ /٨٩٥م).

داودبن محمد بن صالح النحوى المروزى، أبو الفوارس (ت عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م)، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال :قدم مصر ومات بها. وذكره الزبيدى في الطبقة الرابعة من النحويين الكوفيين .

احمد بن جعفر الدِّينَورى، أبو على (ت عام ٢٨٩هـ/ ٩٠١م) وهو أحد النحاة المبرزين والمصنفين في نحاة مصر، وقد الف بمصر كتابا في النحو سماه «المهذب»، وله كتاب اصلاح المنطق»، وكتاب«مختصر في ضمائر القرآن» وغير ذلك.

عبد الله بن عبد العزيز، أبو موسى الضرير النحوى البغدادى. كان يؤدب ولد المهتدى، وسكن مصر، وحدّث بها عن أحمد بن جعفر الدينورى، وله كتاب في الفرق، وآخر في الكتابة والكتاب.

---

(٢٤) وهو أبو عبد الرحمن، الخليل بن احمد يقول عنه ابن النديم: «وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس». وكان من الزهاد في الدنيا، المقطعين الى العلم، ومن كتبه: كتاب «العين» توفي بالبصرة عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.

محمد بن الوليد بن محمد بن ولاد التميمي (ت عام٢٩٨هـ/٩١٠م)وكان قد رحل الى العراق وأقام بها ثمانية أعوام، وأخذ عن المُبَرِّد[٢٥] وثعلب[٢٦] وعاد الى مصر يعلم الناس علوم العربية، ووضع كتابا في النحو سماه«المنمق».

محمد بن زيد بن يضختويه بن الهيثم البردعي من أذربيجان، نزل مصر واستوطنها، كان كثير العلم، متفننا في الأدب واللغة والشعر. سمع منه أبو القاسم الطَّبَرَاني [٢٧] بمصر وذلك في شهر رمضان عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.

أحمد بن اسحاق، أبو طاهر (ت عام ٣٠١ هـ /٩١٣م).

يموت بن المُزَرَّع، أبو بكر (ت عام ٣٠٣ هـ /٩١٥م وقيل عام ٣٠٤هـ/٩١٦ م) عدَّة الزبيدي من الطبقة الثانية من النحويين واللغويين المصريين، وكان قد قدم الى مصر مرارا وآخر قدومه اليها في عام ٣٠٣ هـ وخرج منها في عام ٣٠٤هـ .

على بن الحسن الهُنائي الدَّوْسي، أبو الحسن المعروف بِكُرَاع النمل، لقب بذلك لقصره، وكان أحد الأئمة في اللغة والنحو، وكان معدودا في أهل

---

(٢٥) وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير،كان إمام العربية ببغداد. ومن كتبه: كتاب «الروضة» وكتاب «المقصور والممدود» وكتاب«المذكر والمؤنث» وغيرذلك.
والمبرد لقبه به المازني ومعناه المثْبِتُ للحق. ولد عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م وتوفي عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م.

(٢٦) وهو أحمد بن يحيى، أبو العباس ثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة والفقه والديانة. ومن كتبه: كتاب «اختلاف النحويين» وكتاب «معاني القرآن» وكتاب «المَصُون» في النحو وغير ذلك. ولد عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م وتوفي عام ٢٩١هـ/ ٩٠٣م.

(٢٧) وهو سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطَّبَرَاني، كان حافظ عصره، رحل في طلب الحديث من الشام الى العراق والحجاز واليمن ومصر، وأقام في الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة. ومن أشهر كتبه المعاجم الثلاثة «الكبير» و «الأوسط» و «الصغير».
والطبراني ـ بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون ـ نسبة الى طبرية. ولد عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م وتوفي ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م.

مصر لاقامته بها، أخذ عن البصريين والكوفيين معا، وصنف مصنفات على وزن واحد في التسمية منها: المُجَرد، المنظم، المُنَجِّد، المُنَضَّد وكان حيا في عام ٣٠٩ هـ /٩٢١ م في خلافة المقتدر

محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم، أبو بكر النحوى المعروف بالملطى (ت عام ٣٣٠هـ /٩٤١ م) كان نحويا يعلم أولاد الملوك النحو، كما أنه أم بالجامع العتيق بمصر

احمد بن محمد بن الوليد بن محمد بن ولاَّد التميمى، أبو العباس (ت عام ٣٣٢هـ /٩٤٣م) كان بصيرا بالنحو، أستاذا فيه، رحل الى العراق كما رحل إليها والده وجده، وأخذ عن الزجَّاج (٢٨) الذى كان يثنى عليه عند كل من قدم اليه من مصر، ويقول لهم: «لى عندكم تلميذ من حاله وشأنه فيقال له: أبو جعفر بن النحاس فيقول: لا، هو أبو العباس بن ولاد» ومِنْ كتبه التى ألفها فى مصر كتاب «المقصور والممدود»

عبد الله بن محمد بن الوليد، أبو القاسم بن ولأد وهو أخ لأبى العباس أحمد بن ولاد»، الا أنه كان دون أخيه فى العلم

على بن الحسن بن محمد بن يحيى يعرف بعَلاَّن المصرى (ت عام ٣٣٧هـ /٩٤٨م)

احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس، يعرف بابن النُّحاس، أبو جعفر النحوى المصرى (ت عام ٣٣٨هـ /٩٤٩م) رحل إلى بغداد وأخذ عن الأخفش الأصغر [٢٩]، والمبرد والزجاج، وعاد الى مصر وسمع بها من

---

(٢٨) وهو أبو اسحاق، ابراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوى، ومن كتبه: كتاب الاشتقاق، وكتاب «القوافى» وكتاب «مختصر فى النحو»، وكتاب «شرح أبيات سيبويه» وغير ذلك. توفى ببغداد عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م وقيل عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م وقيل عام٣١٦هـ/ ٩٢٨م.

(٢٩) وهو أبو الحسن، على بن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الأصغر النحوى. ومن كتبه: كتاب «الأنوار» وكتاب «التثنيه والجمع»، وكان قد دخل مصر عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وخرج منها عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. وتوفى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م وقيل عام٣١٦هـ/ ٩٢٨م. والأخْفَش ـ بفتح الهمزة و سكون الخاء المعجمة وفتح الفاء و بعدها شين معجمة ـ وهو الصغير العين مع سوء بصرها.

النسائى والف كتبا كثيرة منها: «إعراب القرآن»و«معانى القران»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «شرح أبيات سيبويه»، وكتاب فى اختلاف البصريين والكوفيين فى النحو سماه «المقنع»، وكتاب لقبه «بالكافى» فى علم العربية

محمد بن أحمد بن على بن ابراهيم بن يزيد بن حاتم (ت عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م)، كان عالما لغويا نحويا ثقة

محمد بن موسى بن ابى محمد بن مؤمن الكندى النحوى، ابو بكر (ت عام ٣٥١هـ/٩٦٢م) كتب الحديث والنحو. وكان رجلا فاضلا صالحا

العباس بن احمد بن مطروح بن سراح بن محمد بن عبد الله الأزدى النحوى، أبو عيسى (ت عام٣٥٣هـ/٩٦٤م) وهو من اهل مصر

ابراهيم بن عبد الله بن محمد النُجَيْرمى، ابو اسحاق النحوى اللغوى، وكان شاعرا أيضا وذلك فى زمن كافور الاخشيدى(٣٥٥ـ٣٥٧هـ/ ٩٦٥ـ٩٦٧م).

محمد بن اسحاق بن اسباط الكندى، ابو النَضْر المصرى النحوى، اخذ عن الزجاج، وله كتاب فى النحو سماه «العيون والنُكت» وكان شيخ أهل الأدب، ومن كتبه ايضا :كتاب «المغنى فى النحو»وكتاب «الموقظ»، وكتاب «التلقين»

محمد بن على بن محمد، ابو بكر الادفوى المقرئ، النحوى المفسر .(توفى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م) أخذ النحو عن ابى جعفر النحاس. انفرد بالامامة فى قراءة نافع ورواية ورش. وكان يبيع الخشب بمصر. وصنف كتبا كثيرة منها : كتاب فى التفسير يدعى «الاستغناء فى علوم القران»

خامسا : التاريخ .

وكان بجانب الحركة الدينية حركة تعني بتدوين لأحداث التاريخ، وتسلك في منهجها مسلك المحدثين، فقد كان علم التاريخ عند المسلمين يهدف في البداية الي دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والجماعة الاسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد. وهكذا نرى أن طبيعة علم التاريخ لم تكن تختلف أولا عن طبيعة علم الحديث، اللهم إلا في هدف كل منهما، ونوع الروايات التي يعني بها، فالمحدثون يعنون بالروايات التي تقرر مبادىء فقهية أو خلقية، بينما يعني المؤرخون بالروايات التي تتجه الي سرد الحوادث.وحسبنا دليلا علي اشتراك العلمين في المصادر والمنهج ان كل جيل كان يأخذ الروايات عن الجيل الذي سبقه، وأن المتن في كل رواية كان مسبوقا بالسند أو الاسناد، ولذلك نرى من تخصص في التاريخ أيضا ممن كانت دراستهم أساسها الحديث والفقه

ونلاحظ أن رواة التاريخ ـ كما يقول الدكتور عبد المجيد عابدين ـ كانوا علي مر الزمن اقل تشددا من رواة الحديث في نقد أسانيدهم وأخبارهم، فتقبلوا أخبارا لا تخلو من خيال وأساطير في وصف عجائب مصر وأخبار أهلها في عصور ما قبل الفتح، ولذلك يجد الناظر في المصادر العربية لتاريخ مصر، والتي تناولت ما قبل الفتح وما بعده، صنفين من الأخبار قد يمتزجان، ولكن يختلف أحدهما عن الآخر في الطبيعة والمنهج، الأول : يدخل في باب العجائب والاساطير، ومعظمه حكايات عن أحوال مصر وأخبار ملوكها وأهلها في أزمنة ما قبل الفتح.

والثاني : أحداث ووقائع ومشاهدات، وأكثرها يتناول تاريخ مصر منذ دخول العرب الفاتحين

وبالمقارنة يتبين أن الصنف الأخير الذي يمثل جانبا واقعيا تجريبيا في الفكر العربي الاسلامي، إنما يعبر في الحقيقة عن مقدرة أصيلة مبتكرة لهذا

الفكر، ومقدرة على الملاحظة والوصف والجمع والافادة مما تعلمه العلماء من التجربة أو اخذوه من الرواية والتقليد، وبفضل هذه المقدرة تبوأ التاريخ وسائر العلوم التى تعتمد عليه مكانا مرموقا فى مؤلفاتهم، وأظهروا فى ميادينها تفوقا ظاهرا وأعمالا رائعة.

ومن مؤرخي مصر :

يحيى النقيوسى، او يوحنا النقيوسى الذى كان أسقفا مصريا لابرشية نقيوس(٣٠) فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى. ومن أهم مآثره : المؤلف الذى وضعه فى تاريخ مصر باللغة القبطية، ويعد من افضل كتب التواريخ، نظرا لاحتوائه آلاف الحوادث التى جرت ايام الفتح العربى، ومنها ما وقع فى ايامه وشاهده بعينه، وقد ترجم هذا الكتاب من القبطية الى اليونانية فالحبشية، ولكن لم تبق من تراجمه سوى النسخة الحبشية التى نقلها الى العربية الشماس غبريال المصرى الراهب.

هانىء بن المنذر الكلاعى المصرى (ت عام ١٤٧هـ/٧٦٤م). يقول عنه الذهبى : إنه كان إخباريا، علامة بالأنساب وأيام العرب.

سعيد بن عفير، ابو عثمان المصرى المؤرخ (ت عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م). كان فقيها، نسابة، إخباريا، شاعرا، صحيح النقل. قال عنه ابن يونس :كان من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ابو القاسم المصرى، ولد بفسطاط مصر حوالى عام ١٨٧هـ/٨٠٢م وتوفى عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م. وضع

(٣٠) ذكر محمد رمزى فى قاموسه أن الافرنج قالوا: إن نقيوس هى البلدة التى تعرف اليوم باسم ابشادى إحدى قرى مركز تلا بمدينة المنوفية اعتمادا على أن اسمها ورد فى كشف الاسقفيات هكذا بشاتى = نقيوس وأن الاسمين لمدينة واحدة كانت قاعدة قسم بروزوبيس. غير أن محمد رمزى يرى بعد البحث أن مدينة نقيوس هى مدينة اخرى غير ابشادى، وانها قد زالت ومحلها اليوم الكوم الاثرى الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الأهالى باسم كوم مانوس او نقيانوس المحرفين عن نقيوس التى اختفى اسمها من القديم.

كتابا باسم «فتوح مصر» يعد من اقدم الكتب التاريخية التي وصلتنا عن مصر الاسلامية

عمارة بن وثيمة بن موسى الفارسي، ابو رفاعة ولد بمصر وتوفي بها عام ٢٨٩هـ/٩٠١م صاحب التاريخ على السنين، ولا نعرف عن مصنفه هذا الا ما ذكره المؤرخون من أنه كان مرتبا على السنين، وقد حدّث عن ابى صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة بن موسى بن الفرات المتوفى عام ٢٣٧هـ/٨٥١م

الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحية، ابو على الدمشقي، من ابناء المحدثين، كان إخباريا، له في ذلك مصنفات. توفي بمصر عام ٣٢٧هـ/٩٣٨م

سعيد بن البطريق (ت عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م) وهو البطريرك الرومى الملكانى افتيشيوس، نصب بطريركا على الاسكندرية عام ٣٢١هـ/٩٣٣م وقد عنى بالتاريخ، وكتب فيه مؤلفا مشهورا هو «نظم الجوهر» او «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» تحدث فيه عن التاريخ منذ الخليقة الى العصر الذى عاش فيه

احمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية. توفي حوالى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، ومن كتبه التى وصلت الينا: كتاب المكافأة، وكتاب سيرة أحمد بن طولون، وكتاب سيرة أبى الجيش خمارويه

على بن الحسين بن على المسعودى المؤرخ. نشأ فى بغداد وتوفي فى الفسطاط عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م وقد استن فى تاليف التاريخ سنة جديدة ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ فصار لا يرتب الحوادث حسب السنين الهجرية، بل جمعها تحت رؤوس موضوعات من الشعوب والملوك والأسرات، وقد تبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين ولا سيما ابن خلدون. ومن كتبه :كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وكتاب «التنبيه والاشراف».

أبو سعيد، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المؤرخ المصري (٢٨١ ـ ٣٤٧هـ/٨٩٤ ـ ٩٥٨م) وهو الذي يعرف اسمه اختصارا بابن يونس صاحب تاريخ مصر، وقد جمع لمصر تاريخين أحدهما، وهو الأكبر، يختص بالمصريين، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر.

محمد يوسف بن يعقوب، أبو عمر الكندي (٢٨٣ـ ٣٥٠هـ/٨٩٦ ـ ٩٦١م)ومن أعظم مؤلفاته «كتاب الولاة» و«كتاب القضاة». ولعل الكندي أول من أرخ لمصر حسب الولاة، فوضع هذا الفن للمؤرخين بعده. وللكندي كتب أخرى منها :«كتاب الخطط»و«كتاب أخبار مسجد أهل الراية الأعظم»، و«كتاب الموالي» إلاأنها فقدت.

عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب. وهو صاحب كتاب «فضائل مصر»، ومن الأخطاء الشائعة أن هذا الكتاب ينسب الى والده الكندي، غير أنه كتب في مقدمته أن الذى أمره بتأليفه هو كافور الاخشيدي،وأشار الى والده الكندي بين العلماء الذين جمع من كتبهم ما أمره به كافور، ثم ذكره ثانية بين علماء مصر.

الحسن بن ابراهيم بن الحسين المصرى المؤرخ المعروف بابن زولاق ـ ولد بفسطاط مصر عام ٣٠٦هـ/٩١٨م وتوفى عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م،عني بتاريخ مصر، ووضع نيلا لكتاب أمراء مصر وقضاتها للكندي، كما ألف كتبا في«فضائل مصر»وفي«خطط مصر» وفي تاريخ مصر على السنين. وكان ابن زولاق مصدرا هاما من المصادر التى اعتمد عليها المؤرخون من بعده، لذلك أطلقوا عليه لقب «مؤرخ مصر» مما يدل على قيمة كتبه وأخباره السابقة المتعلقة بمصر.

ومن المؤرخين الذين زاروا مصر :

محمد بن جرير بن يزيد،أبو جعفر الطبرى المحدث الفقيه المقرئ، المؤرخ(٢٢٤ ـ ٨٣٨/٣١٠ ـ ٩٢٢م). جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات كلها، بصيرا بالمعاني، فقيها في الأحكام، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها،

وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفا بأيام الناس وأخبارهم. وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وله ايضا كتاب في تفسير القران لم يصنف احد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار، إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة. وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا في أيام احمد بن طولون وهم :

محمد بن اسحاق بن خزيمة[٣١] ومحمد بن نصر المروزي[٣٢] ومحمد بن هارون الروياني[٣٣] ومحمد بن جرير الطبري، ولم يبقى عندهم ما يقوتهم، فاجتمعوا في بيت، واقترعوا على أن من خرجت عليه القرعة يسأل ! فخرجت على ابن خزيمة، فقال لهم : أمهلوني حتى أصلي، فدق الباب، فاذا بغلام من عند أحمد بن طولون يعطي لكل واحد منهم خمسين دينارا بالاسم، ثم حدثهم فقال : إن الأمير كان نائما بالأمس، فرأى في النوم أن المحامد جياع، فانفذ اليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم اذا نفدت فعرفوني.

ويعتبر كتابه «أخبارالرسل والملوك» أول كتب التاريخ الشاملة في اللغة العربية، وقد بدأه بالخليقة، ووقف فيه عند سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م. والمعروف أنه رتبه على السنين الهجرية، واتبع فيه طريقة الاسناد الى رواة الحوادث بالتسلسل. ويظهر في تاريخ الطبري الصلة الوثيقة بين علمي الحديث والتاريخ. والمعروف أن الطبري محدث قبل أن يكون مؤرخا، وان تاريخه مكمل في كثير من النواحي لكتابه الكبير في تفسير القرآن الكريم.

وقد ارتبط بعلم التاريخ نوعان من العلوم : النوع الأول، وهو فن السير، والنوع الثاني وهو فن القصص.

---

(٣١)وهو محمد اسحاق بن خزيمة بن المغيرة الشافعي. كتب الكثير وصنف وجمع، وكتابه الصحيح من انفع الكتب واجلها، توفي عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م.

(٣٢) وهو محمد بن نصر، ابو عبد الله المروزي. رحل الى الآفاق، وسمع من المشايخ الكثير النافع، وصنف الكتب المفيدة منها كتابا عظيما في الصلاة، توفي عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م.

(٣٣) وهو محمد بن هارون الروياني، ابو بكر صاحب المسند المشهور، ذكر أن له تصانيف في الفقه. توفي عام ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.

وبالنسبة للنوع الأول، وهو فن السير، فيقوم على رواية حوادث حصلت لصاحب السيرة لابراز شخصيته، أو ناحية من نواحي شخصيته، فسيرة الشخص هنا ليست ترجمة تامة لحياته منذ ولادته الى وفاته، بل هي رواية شيء من أفعاله اوأقواله أوعن علاقته بمعاصريه دون ترتيب زمني، ولكنها كافية لأن تعطينا صورة صادقة عن هذا الشخص. ولذلك ففن السير يعتبر فرعا من علم التاريخ.

ولقد استأثرت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه باهتمام المؤرخين منذ صدر الاسلام، فكانت الكتب التاريخية الأولى تبحث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته، وتجمع أخبار هجرة المسلمين الى الحبشة والى المدينة، وأخبارغزوات النبي صلى الله عليه وسلم والذين اشتركوا فيها.

ومن مؤلفي السيرة النبوية:

محمد بن اسحق (ت عام ١٥١هـ/٧٦٨م) صاحب المغازي والسير، وقد وفد على مصر، وروى فيها سيرته.

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م وقيل عام ٢١٣هـ/٨٢٨م). نزيل مصر، مهذب السيرة النبوية، فقد سمعها من زياد البكائي[٣٤] صاحب ابن اسحق، ونقحها، وحذف من اشعارها جملة. وقد وثقه ابن يونس. ومن كتبه : السيرة ـ شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب ـ أنساب حمير وملوكها.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد الزهري المصري، ابو عبد الله، ابن البرقي (ت عام ٢٤٩هـ/٨٦٣م). كان يحدث بالمغازي، قال عنه النسائي : لا بأس به . وقال ابن يونس :ثقه.

---

(٣٤) ـ وهو زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي ويكنى أبا محمد. سمع المغازي من محمد بن اسحاق، وقدم بغداد فحدثهم بها وبالفرائض وغير ذلك، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م.

ولم يقتصر التأليف فى السير على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمغازى، وانما تعددتها الى سير الملوك والوزراء.

ومن المؤرخين الذين ألفوا فى سير الملوك والوزراء والأمراء :

عبد الله بن عبد الحكم (ت عام ٢١٤هـ/٨٢٩م) فقد كتب«سيرة عمر ابن عبد العزيز» ثم رواها عنه ابنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ابو عبد الله (المتوفى عام ٢٦٨هـ/٨٨١م).

احمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية (توفى حوالى عام ٣٤٠هـ/٩٥١م) فقد كتب «سيرة أحمد بن طولون»، و«سيرة أبى الجيش خمارويه»و«سيرة هارون بن ابى الجيش»و«أخبار ابراهيم بن المهدى» .

الحسن بن ابراهيم بن الحسين المصرى المعروف بابن زولاق (٣٠٦ ـ ٣٨٧هـ/٩١٨ ـ ٩٩٧م) فقد كتب «سيرة محمد بن طغج الاخشيدى»، وكتاب «سيرة كافور» وكتاب«سيرة الماذرائيين»وكتاب «سيرة جوهر»، وكتاب «سيرة المعز»، وكتاب «سيرة العزيز»، وكتاب «سيرةسيبويه المصرى».

ومن مؤلفى السير الاقباط ساويرس بن المقفع الذى كان اسقفا للأشمونين التى تقع بين المنيا واسيوط فى الوجة القبلى، وكان من العلماء العاملين، قضى حياته فى التأليف والترجمة.

وبالنسبة لتاريخ وفاته تقول الدكتورة سيدة كاشف :«نحن لا نعرف وفاة ساويرس، ولكن يتضح لنا مما كتبه فى سير الآباء البطاركة انه عاش حتى زمن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، اى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وفى أواخر القرن العاشر الميلادى.»

واشهر الكتب التى تركها كتاب «تاريخ البطاركة» أو «سير الآباء البطاركة»، وكان قد جمعه باللغة القبطية من السجلات التى بدير أبى مقار ببرية شيهات«وبدير نهيا بالجيزة، وبدير وادى هبيب (وادى النطرون)، وغيرها من الأديرة.

ويتضح مما كتبه ساويرس ان اللغة العربية كانت هي اللغة السائدة في ديار مصر في عصره، وأن غالبية المسيحيين في مصر أصبحوا يجهلون اللغة القبطية، فيذكر ساويرس أنه لاقى مشقة كبيرة في ترجمة الوثائق القبطية واليونانية الى العربية، وأنه استعان ببعض المسيحيين ممن كان لهم دراية باللسان القبطي أو اليوناني. وقد أتم كتاب ساويرس من أتى بعده من الكتاب والاساقفة، ولكن الكتاب ينسب الى ساويرس، ولعل ذلك ـ كما ترى الدكتورة سيدة كاشف ـ يرجع الى ان ساويرس كان أول من تكبد جمع السير والوقوف عليها وترجمتها. ويعتبر كتاب ساويرس من نوع كتب التراجم المعروفة في التاريخ الاسلامي، ولكنه خاص بتراجم البطاركة في مصر من أيام ظهور المسيحية فيها زمن الامبراطور الروماني أغسطس قيصر الى بداية حكم الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م.

وبالنسبة للنوع الثاني من العلوم المرتبطة بالتاريخ فهو فن القصص :

وقد استحدث القصص في صدر الاسلام، وصورة هذا القصص أن يجلس القاص في مسجد، وحوله الناس، فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصاعن الأمم الأخرى وأساطير ونحو ذلك، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب.

قال الليث بن سعد : هما قصصان : قصص العامة وقصص الخاصة، فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم، فذلك مكروه لمن فعله ولمن سمعه، وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية حين ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل، وحمده ومجّده، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه ولجنوده، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة.

ولقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملا رسميا، يعهد به الى رجال رسميين، يعطون عليه أجرا.

وكان بمصر من القصاص:

سليم بن عتر التجيبي وكان أول من قص بمصر عام (٣٩هـ/٦٥٩م)، وعندما ولاه معاوية القضاء عام (٤٠هـ/٦٦٠م)جمع بين القضاء والقص

عبد الرحمن بن حجيرة الذى جمع مع القضاء القصص(٦٩ ـ ٨٣هـ/٦٨٨ ـ ٧٠٢م)، وكان رزقه من القصص مائتى دينار.

عقبة بن مسلم التُّجَيبْي، ابو محمد المصرى (ت عام ١٢٠هـ/٧٣٧م) إمام جامع عمرو،وكان يتولى القصص.

توبة بن نمر بن حرمل الحضرمى. تولى القصص بالجامع بعد عقبة وذلك فى عام (١١٨هـ/٧٣٦م) وهكذا جمع له القضاء والقصص، لانه تولى القضاء عام ١١٥هـ/٧٣٣م.

خير بن نُعَيْم بن مرة الحضرمى المصرى. جمع له القضاء والقصص(١٢٠ ـ ١٢٨هـ/٧٣٧ ـ ٧٤٥م).

الجُلاَح ابو كثير الاموى المصرى (ت عام ١٢٠هـ/٧٣٧م) وهو مولى عبد العزيز بن مروان، وقد جعله عمر بن عبد العزيز على القصص بالاسكندرية.

دَرَّاج بن سمعان، ابو السمح المصرى القاص(ت عام ١٢٦هـ/٧٤٣م) وهو مولى عبد الله بن عمرو بن العاص.

عبد الرحمن بن سالم بن ابى سالم الجيشانى (ت عام ١٤٣هـ/٧٦٠م) ولى قضاء مصر والقصص، ثم عزل وولى ديوان الجند.

ابو رجب العلا بن عاصم الخولانى، تولى القصص فى عام ١٨٢هـ/٧٩٨م.

حسن بن ربيع بن سليمان تولى القصص فى جامع عمرو عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م فى زمن المتوكل من قبل عنبسة بن اسحاق والى مصر.

حمزة بن ابراهيم بن ايوب الهاشمى. تولى القصص من قبل الخليفة العباسى المكتفى (٢٨٩ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠١ـ ٩٠٧م)وذلك فى عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م.

ابو الحسن، على بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادى ثم المصرى (ت عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م).كان له مجلس وعظ وله مصنفات كثيرة فى الحديث والوعظ والزهد.

٢ ـ الدراسات الأدبية :

والمقصود بها الشعر والنثر.

اولا : الشعر :

وبالنسبة لظهور الشعر العربى فى مصر يقول الدكتور محمد كامل حسين : من البديهى أن لا ننتظر ظهور الشعر العربى فى مصر بمجرد دخول العرب فيها، فاللغة العربية لم تكن لغة المصريين قبل الفتح، والذين اسلموا من المصريين وعرفوا اللغة العربية كان من الصعب عليهم أن يُعبِّروا بهذه اللغة عن مشاعرهم وأهوائهم فى قالب شعرى عربى، هذا الى جانب ان اتجاه المسلمين فى مصر الى الدراسات الدينية الاسلامية قد صرفهم عن الشعر.

وقد مر الشعر فى مصر بمرحلتين :

المرحلة الأولى : فترة العصر الأموى، وينتهى بالقرن الثانى للهجرة.

المرحلة الثانية : فترة العصر العباسى، ويضم القرنين الثانى والثالث للهجرة.

وبالنسبة للمرحلة الأولى وهى فترة العصر الأموى فيقول الدكتور محمد كامل حسين : إننا لا نجد فى مصر شعرا له قيمته إلا بعض المقطوعات التى

تسجل الحوادث التي كانت جارية في البلاد مثل : تنازل عبد الرحمن بن قيسبة عن داره لتكون مسجد الفسطاط أو هجاء رؤساء القبائل العربية، أو مدح وال لموقف فعله، أو هجاء وال، أو رثاء وغير ذلك. على أننا ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ لا نجد شاعراً في مصر يقف في صف واحد مع فحول الشعر العربي بالعراق.

وهكذا انحصر شعر هذه المرحلة على وصف الحوادث الجارية في قالب شعري، سواء كانت حوادث سياسية أواقتصادية، فهو شعر تقريري لا غناء فيه من الناحية الفنية، عدا الشعر الذي أنشده الشعراء الوافدون.

وبالنسبة للمرحلة الثانية وهي فترة العصر العباسي، فقد أدى تطور الحياة الأدبية المصرية، لظهور عدد كبير من الموالي ومن العرب الذين حاولوا محاكاة الشعر العربي، الي جانب قيام الثورات ـ فقد أدى ذلك الى ايقاظ روح الشعر في مصر، فظهر الشعر ذو القيمة الفنية.

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أنه منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ظهر الشعر المصري[٣٥] الذي تظهر فيه بعض نواحي الشخصية المصرية، فلم يعد شعراء مصر ينشدون في الحوادث التي وقعت بمصر، أو يفخرون برجال قبائلهم او هجاء أعدائهم، انما تنوعت اغراض الشعر وتعددت مقاصده، وأسهم شعراء مصر في كل الأغراض التي عرفها الشعر المصري.

ومن شعراء مصر في عصرالولاة :

الشاعر ابن ميّادة المُريّ وكذلك الشاعر ابو عثمان السكري الذي ورد لنا من شعره :

---

(٣٥) لاتجد شخصية مصر في الشعر في الأوزان، ولا في القوافي، ولا في الاسلوب، لان الشعراء جميعا خضعوا لتقاليد الشعر العربي وخصائصه، بل نجدها في الأخيلة الشعرية وفي المعاني، فالشعر المصري صور الحياة المصرية أصدق تمثيل بحث انك اذا قرأت هذا الشعر المصري لا تستطيع أن تنسبه الى قطر عربي آخر غير مصر.

ياقَيْسَ عَيْلاَنَ إنّى نَاصِحٌ لَكُمُ	أدّوا الخَرَاجَ وخَافُوا القَتْلَ والحَرِبَا
إنّى أحَذِّرُكُمْ يَحْيَى وَصَوْلَتَه	فمَا رأيْتُ لَهُ تقياً اذا غَضِبَا (٣٦)

والشاعر أبو نجاد الحارثى ، والشاعر احمد الحمراوى.

الشاعر ابو تمام حبيب بن أوس الطائى . (توفى بالموصل عام ٢٢٨هـ/٨٤٢م وقيل عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م وقيل عام ٢٣١هـ/٨٤٥م وقيل عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م). وفد على مصر وهو حدث السن، وأقام بالفسطاط يسقى العلماء والمتعلمين الماء فى حلقات الدرس بجامع عمرو، ويقال إن اول شعر أنشده كان فى مصر، لذلك عَدّه مؤرخو مصر مصرى النشأة والتعليم والشعر، ومع ذلك فحياة ابى تمام فى مصر غامضة كل الغموض، فنحن لا نعلم شيئا عن أساتذته المصريين الذين أخذ عنهم، ولكننا نستطيع أن نقول إنه كان فى مصر فى الوقت الذى نبغ فيه عدد من الشعراء، أمثال : سعيد بن عفير، والمعلى الطائى، ويحيى الخولانى، ويوسف السراج وغيرهم. ومن كتبه : «فصول الشعراء» جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والاسلامية، وكتاب «الاختيارات من شعر الشعراء» وغير ذلك.

وخرج أبو تمام من مصر، ولكنه كان يحن اليها من حين لآخر، فكان يذكرها فى شعره، فهو يقول مرة :

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا	بالرقمتين، وبالفسطاط إخوانى
وما اظن النوى ترضى بما صنعت	حتى تشافه بى اقصى خراسان
خلفت بالأفق الغربى لى سكنا	قد كان عيشى به حلوا بحلوان

الشاعر زرعة بن سعد الله بن ابى زَمْزَمة.

الشاعر زياد بن قائد اللَخْمى .

---

(٣٦) والمناسبة التى قيل فيها هذا الشعر هى امتناع أهل الحوف عن اداء الخراج فى ولاية الحسين بن جميل من قبل الرشيد (١٩٠ - ١٩٢هـ/ ٨٠٥ -٨٠٧م) فأرسل الرشيد جيشا لمحاربتهم بقيادة يحيى بن معاذ.

الشاعر الشمر بن نمير، أبو عبد الله. رحل من قرطبة الى المشرق، واستوطن مصر، روى عنه عبد الله بن وهب (المتوفى عام ١٩٧هـ/٨١٢م) وغيره، وتوفى بها.

سرج الغول، وهو رجل من أهل مصر عالم باللغة والشعر .

الشاعر سعيد بن عفير. رثى والى مصر عمير بن الوليد (٢١٤هـ/٨٢٩م) بقوله :

سَاقَتْ عُمَيْرَ إلى مصر مَنِيَّتُهُ ... بِإمْرةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بِمَسْعُودِ
حَتى أتَتْهُ المَنَايَا وَهو مُلْتَحِفٌ ... ثَوبَينِ مِنْ حَبَرَاتِ البأسِ والجُودِ

الشاعر سليمان بن أبان بن أبى حدير الانصارى ، كان من شعره فى رثاء عبد العزيز بن مروان وابنه الأصبغ :

فَمَنْ ذَا الذى يَبْنِى المَكارِمِ والعُلَى ... ومنْ ذا الّذى يهْدى لهُ بَعْدكَ السَّفْرُ
فَكُنْتَ حَلِيفَ العُرْفِ والخَيرِ والنَّدَى ... فَمِتْنَ جَمِيعاً حِينَ غَيَّبكَ القَبْرُ

الشاعر عبد الرحمن بن الحكم، والشاعر عيسى بن شافع ، والشاعرالغطريف الحميرى، والشاعر محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، ذو الشامة الذى رثى عبد العزيز وابنه الأصبغ ايضا.

الشاعر محمد بن القاسم، ابو الحسن المعروف بمانى الموسوس. من أهل مصر، ورحل الى بغداد أيام المتوكل (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ـ ٨٦١م)، وصفه ابن زولاق بانه كان من أظرف الناس وألطفهم. ويقول عنه الأصفهانى : شاعر لين الشعر رقيقه، لم يقل شيئا إلا فى الغزل. ومن شعره :

وقَفْتُ أناجى القَلْبَ والدَّمْعُ حَائرٌ ... بِمُقلة مَوْقُوف على الضُّرِ والجَهْدِ
ولم يُعْدِنى هذا الأميرُ بِعَدْله ... على ظالمٍ قد لَجَّ فى الهَجرِ والصَّدُّ

وقال أيضا :

فَتنفَّستُ ثم قُلتُ لِطيْفى ... ويْك إن زُرْتَ طيْفها إلماما
حَيِّها بالسَّلام سِراً وإلاَّ ... منعوها لشِقْوتى أنْ تَناما

ومن الشعراء كذلك في عصر الولاة : الشاعر مرسل بن حمير الذى رثى والى مصر حفص بن الوليد. والشاعر مسرور الخولانى الذى رثى كذلك حفص بن الوليد وأصحابه بقوله .

فَلا خَيْرَ في الدُّنيا ولا العَيْش بَعدهُمْ

فكَيف وقد أضحوا بسفح المقطم

الشاعر مُعَلَّى الطائي.

الشاعر معلى بن المعلى الطائي. كان في مدة هارون الرشيد، ممن عاصر أبا نواس من شعراء المائة الثانية.

شاعر يحيى بن الفضل وقد ورد لنا من شعره:

بِئْسَ والله مـــا صَنَعْتَ إليْنَا   حينَ وَلَّيْتَنَا أسيــراً سُحنَــايا
خَــارجيــاً يَدينُ بالسَّيْفِ فينَا   ويرى قتْلَنا جَميعـاً صَوابَا(٣٧)

ومن الشعراء الوافدين في عصر الولاة :

الشاعر ايمن بن خُرَيم الأسَدى، دخل مصر ايام عبد العزيز بن مروان(٦٥ـ٨٦هـ/ ٦٨٤. ٧٠٥م).

الشاعر جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، أبو عمرو(صاحب بثينة). قدم مصر على عبد العزيز بن مروان مادحا، فأذن له وسمع مدائحه، وأحسن جائزته. وعندما سأله عن بثينة وسمع حكايته وعده بابتناء منزل له ولها، وأمر له بالمنزل وما يصلحه، فما أقام إلا قليلا حتى مات بمصر في عام ٨٢هـ/ ٧٠١م ومن شعره :

لقد خِفتُ أن يغتالني الموتُ عَنْوةً   وفي النفس حاجاتٌ اليك كما هيا
وإني لَتثْنيني الحفيظةُ كلّما   لَقيتُك يوما ان ابثك ما بيا
الم تعلمي يا عذبة الريق انني   اظل إذا لم أسق ريقك صاديا

---

(٣٧) وقد قيل هذا الشعر بمناسبة تولية عنبسة بن اسحاق ولاية مصر من قبل المنتصر (٢٣٨ ـ ٢٤٢هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٥٦م) وكان مشهورا بمذهب الخوارج.

الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات. وفد على عبد العزيز بن مروان فى مصر، وله شعر فى مدحه، ومن شعره الذى ورد الينا :

رُقَىّ بعَيشكم لا تهجرينا ... ومَنّينا المُنَى ثم امطُلينا
عِدينا فى غدٍ ما شِئتِ إنّا ... نُحبُّ وإن مَطلْتِ الواعدينا

الشاعر كُثَيرٌ بن عبد الرحمن، أبو صخر المعروف بكثير عزة. من فحول شعراء الاسلام، من الطبقة الأولى، وفد على عبد العزيز بن مروان، وكان يأتى الى مصر فى زيارات متكررة لرؤية عزة. توفى عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م.
ومن شعره :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غريمَه ... وعزةُ ممطولٌ مُعنّى غريمُها

وقال :
لِعَزّةَ نارٌ ما تَبُوخ كأنها ... اذا ما رمقْنَاها من البعدِ كوكبُ
وقال أيضا :

يُكلّفها الخِنزيرُ شَتْمى وما بها ... هوانى ولكن للمليك استذلّت

الشاعر نُصَيْب بن رباح، أبو محجن ملى عبد العزيز بن مروان (ت عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م) من الطبقة السادسة من شعراء الاسلام، كان بمصر أيام عبد العزيز بن مروان، وعندما توفى عبد العزيز رثاه بقوله

أصبحتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ ... مصيبة ليس لى بها قبلُ
تالله أنسىَ مصيبتى أبداً ... ما اسمعتْنى حنينَها الإبلُ

الشاعر عمرو بن عبيد المعروف بالحزين الكنانى. وفد على مصر فى ولاية عبد الله بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م).

الشاعر ربيعة بن ثابت الرَّقِّى (ت عام ١٩٨هـ/ ٨١٣ م) وله قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم والى مصر عندما جاء اليه فى اثناء ولايته(١٤٤ـ ١٥٢هـ/ ٧٦١ـ ٧٦٩م)، يقول فيها :

لشــتَّــانَ مــابين اليَــزيديْن فى النَّدى　　يزيد سُليم والأغــــرُّ ابن حـــــاتم

ومن شعره الذي ورد الينا :

اعــتــاد قلبَك من حَـبـيـبك عـيـدُهُ　　شَــــوْقٌ عـــراك فـــانت عنه تذُودُهُ
والشَّــوقُ قــد غلب الفُــؤادَ فــقــادهُ　　والشــوقُ يغْلب ذا الهـوى فـيـقــودُهُ

الشاعر محمد بن عبد الله بن مسلم، ابن المولى كان مداحا ليزيد بن حاتم، وقد قدم مصر وأنشده بها قصيدة مدح يقول فيها :

يــاواحـــــــدَ الـعــــــــربِ الـذي　　أضـــــــحى وليس له نـظيــــــرُ
لـوكــــــان مـــــــثلَك آخَـــــــرٌ　　مـــا كـــان فى الدنيـــا فــقــيــرُ

الشاعر الحسن بن هانىء، أبو على المعروف بأبى نواس (ت عام ١٩٥هـ/ ٨١٠ م وقيل عام ١٩٦هـ/ ٨١١م وقيل عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م) ببغداد، وقد قدم أبو نواس مصر على الخصيب صاحب ديوان خراج مصر عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥م، وقد اتصل هذا الشاعر بالمصريين اكثر من اتصال الشعراء الوافدين، فالمؤرخون يجمعون على أن المصريين عندما علموا بوجوده فى مصر تسابقوا لمصاحبته، وتدوين شعره، لذلك فقد تأثر المصريون به وقد أقام ابو نواس فى مصر قرابة عام ومن شعره الذى ورد الينا :

ألا كـل حــيٍّ هــالـكٌ وابــنُ هــالـك　　وذو نَسبٍ فى الهـــالكين عـــريقِ
اذا أمْــتَــحَن الدنيــا لبــيبٌ تكشَّــفتْ　　له عن عَــــدوٍ فى ثيــــاب صــــديقِ

ومن شعره أيضا :

يارب ان عظمت ذنوبى كــــثـــــرة	فلقــد علمت بأن عــفــوك اعظم
ان كــان لايدعــوك إلا مـــحـــسن	فـمن الذى يرجـو ويدعـو المجـرم
ادعـوك رب كـمـا امـرت تضـرعـا	فـــاذا رددت يدى فـــمن ذا يـرحم
مـــالى إليك وســيلة إلا الرجـــا	وجـــمـيل عـفـوك ثم انى مـسلم

وقال أيضا يخاطب الخليفة محمد الأمين :

بك اســـتــجــيــر من الردى	مــتـعــوذا من سطو بـاسك
وحـــيـــاة راسك لاأعـــود	لمثلهــا، وحـــيـــاة راسك
مـن ذا يــكـون ابــا نـواســك	إن قــــتـلت ابـا نـواسك

الشاعر دِعْبل بن على الخزاعى، ابو عبد الله (ت عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)

دخل مصر في ولاية المطلب بن عبد الله الخزاعى، ولم توضح لنا المصادر هل كان دخوله مصر فى ولاية المطلب بن عبد الله الأولى (عام ١٩٨هـ / ٨١٣م) وكانت لمدة سبعة اشهر ونصف، او فى ولايته الثانية (عام ١٩٩-٢٠٠هـ/ ٨١٤ - ٨١٥م). على أية حال فقد ولاه المطلب بن عبد الله على اسوان، غير أن دعبل هجاه بعد ذلك، لأنه - كما يقول الأصفهانى - لم يرض ما كان منه إليه فأنفذ اليه المطلب كتاب العزل مع مولى له وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه، وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المنبر، واصعد مكانه

فلما أن علا المنبر، وتَنَحْنَح ليخطب، ناوله الكتاب، فقال له دعبل : دعنى اخطب، فاذا نزلت قرأته قال : لا، قد أمرنى أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه، وأنزله عن المنبر معزولا

الشعر فى الدولة الطولونية :

وقد استمر تيار الشعر يقوى فى مصر - كما يقول الدكتور محمد كامل حسين - حتى كان النصف الثانى من القرن الثالث، أى فى عصر الطولونيين

والأخشيديين، فنرى عددا كبيرا من الشعراء المصريين ويزعم أحد المؤرخين أنه رأى كتابا قَدْرُ اثنتي عشرة كراسة، مضمونة فهرست شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون، فإذا كانت أسماء الشعراء في اثنتي عشرة كراسة، فكم يكون شعرهم، وبالرغم مما فى هذا القول من مبالغة، فلا نغالى اذا قلنا إن عددا كبيرا من الشعراء تجمعوا فى بلاط الطولونيين الذين كانوا اهل بذخ وكرم، وأرادوا أن يجعلوا من مدينتهم التى بنوها(القطائع) مركزا ادبيا شبيها ببغداد، فكثر حولهم الشعراء المتكسبون الذين سجلوا فى اشعارهم مآثر الطولونيين وما شيدوه من مبانى وغير ذلك.

وقد تطورت فنون الشعر وأغراضه فى الدولة الطولونية، اذ ظهر فن جديد فى مصر لم يسبق اليه أحد وهو فن رثاء الدول، وذلك بعد سقوط الدولة الطولونية وهدم الميدان. فقام جماعة من الشعراء المصريين يبكون الدولة الطولونية ويتحدثون عن أيامها السعيدة والمبانى التى انشأتها، وكيف أصبحت بعد هدمها.

ومن الشعراء فى الدولة الطولونية :

الشاعر احمد بن ابى يعقوب ، والشاعراحمد بن اسحق الذى قال يبكي الدولة الطولونية والميدان :

وإذا مـا أردتَ أعـجُـوبة الدَّهْرِ ... تراها فـانظُرْ إلى الميْـدَانِ
تَنْظُرُ البَثَّ والهُـمُـومَ وأنْوَا ... عـاً تَوَالَتْ بِهِ مِن الأشْـجَـانِ
يَعْلَمُ العَـالِمُ المُـبَـصِّـرُ أنَّ الدَّهْرَ ... لـبـمَـا تَرَاهُ ذُو ألْوَانِ
أيْنَ مَـا فِـيـهِ مِنْ نَعِـيمٍ ومِنْ عَـيْـ ... شٍ رَخيٍّ ونَضْـرَةٍ وحِـسَـانِ

والشاعر احمد بن محمد الحبيشى ، والشاعر اسماعيل بن ابى هاشم ، والشاعر جعفر ابن جدار (او ابن حذار كما يذكره ياقوت) الذى كان وزيرا للعباس بن احمد بن طولون عندما ثار على ابيه، وعندما قبض على العباس، انتقم أحمد بن طولون من ابن جدار، فضرب ثلاثمائة سوط،

وقطع يديه ورجليه من خلاف، ويقال إنه لم تمض أيام حتى مات، وكانت له قصيدة يعرض فيها العباس منها :

اذا هَمَمْتَ فلا ترجِع وقُمْ وثِب ... فأنت ارفع من يسمو الى الرُتَبِ

الشاعر الحسين بن عبد السلام، ابو عبد الله المصرى المعروف بالجمل الأكبر (ت عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م وقيل عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، من شعراء الفسطاط فى الدولة الطولونية.

يذكر ابن اياس أنه في أيام أحمد بن طولون تطايرت النجوم، فأحضر أرباب الفلك وسألهم فلم يجيبوا، فدخل عليه «الجمل» وأنشده هذه الأبيات:

قالوا تساقطت النجومُ ... لحادثٍ فيها عسير
فأجبت عند مقالِهم ... بجواب ممتحنٍ خبير
هذى النجومُ الساقطاتُ ... رجومُ أعداءِ الأمير

فتفاءل أحمد بن طولون بذلك، واخلع عليه خلعة سنية.

كما مدح أحمد بن المدبر صاحب خراج مصر، وكانت من عادته أن الشاعر اذا مدحه إن ارتضى شعره وَصَلَه، وإن لم يرتضه أمر من يحمله الى المسجد حتى يصلى عددا معلوما يفرضه عليه، فرفع له هذه الأبيات المشهورة :

قَصَدْنا فى أبى حَسَنٍ مديحا ... كما بالمدح تُنْتَجعُ[38] الوُلاةُ
فقالوا يقبل المِدحاتِ لكن ... جوائزُه عليهن الصلاةُ
فقلت لهم وما تغنى صَلاتى ... عيالى إنما الشأن الزكاةُ
فيأمر لى بكسر الصّاد منها ... فتصبحُ لى الصِّلاَ ةُ هى الصِّلاتُ

فاستطرف مقصده، وأمر له باحسان واشتهرت الحكاية.

الشاعر سعيد القاص ومن شعره فى رثاء الدولة الطولونية والميدان :

وكأنَّ الميدانَ ثكلَى اصيبتْ ... بحبيبٍ صبَاحَ ليلة عُرْس

---

(٣٨) انْتجعَ فلانا: اتاه طالبا معروفه.

العباس بن احمد بن طولون. يقول عنه ابن سعيد : إنه كان له شعر يدخل به في شعراء الملوك والأمراء.

عبد الله بن محمد، أبو العباس الناشيء (ت عام٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) أقام ببغداد مدة، ثم رحل عنها ودخل مصر، وأقام بها حتى مات، وكان شاعرا ماهرا، وله شعر جيد.

القاسم بن يحيي بن معاوية المريمي المصري. من شعراء مصر المشهورين الذين دونت أشعارهم، وكان مختصا بخدمة أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون.

الشاعر قعدان بن عمرو. من شعراء أحمد بن طولون، وله قصائد يمدحه فيها.

الشاعر محمد بن داوعود. من الشعراء الذين كانوا ينقمون على أحمد بن طولون ويسبونه، ومن قصيدته التي قالها بعد وفاة أحمد بن طولون :

وَلَمْ تَبكِهِ الأرضُون لكنْ تَبسَّمتْ سُرُورا ولولا مَوتِهِ لم تَبْسَّمِ
يُبَشِّرُهُ إبْليسُ عنْد قُدُومه عليه بأَحْمَى بُقْعةٍ فى جهنَّمَ
لَقَدْ طُهِرَتْ الأرْضُ مِن سُوءِ فِعْلِهِ ومِنْ وَجْهَةُ ذَاكَ الكَرِيهَ المُوَرّمِ

الشاعر محمد بن طشويه ومن شعره فى رثاء الدولة الطولونية والميدان :

مَن لم يرَ الهَدْمَ للميدان لم يَرَهُ تبارك اللهُ ما اعلاهُ وأقْدَرَهُ
لَوْ أنَّ عَيْنَ الذى أنْشَاهُ تُبْصِرُهُ والحادثاتُ تعُاديهِ لأكْبرهُ

ويقول فى نفس القصيدة أيضا :

دُكّتْ مَناظِرُهُ واجْتُثَّ جَوْسَقُهُ كأنما الخسفُ فاجاهُ فَدمَّرهُ
أو هَبَّ إعْصَارُ نَارٍ فى جَوانِبِهِ فَعَادَ مَعْروفُهُ للعَيْنِ مُنْكَرَهُ

ثم يقول :

أَيْنَ ابنُ طُولُونَ بانيـــه وســــاكِنُهُ   أمـــاتهُ المَلِكُ الأَعْلَى فَــاقْـــبَــرَهُ

الشاعر منصف بن خليفة الهذلى، من شعراء أحمد بن طولون، وكانت له قصائد يمدحه فيها، منها :

يَاغُـــرَّةَ الدُّنيـــا الذى افْــعَـــالُه   غُـــرَرٌ بهـــا كُلُّ الوَرَى تَتَــعلَّقُ
أَنْتَ الأَمــيــرُ علَى الشـام وثغْـرِها   والرَّقَـــتَيْنِ ومــا حـــواهُ المَشْــرِقُ
وَإِليكَ مِـصْـــرُ وبَرْقَـــةُ وحِـجــازُها   كُلٌّ إِليـكَ فُـؤَادُهُ مُـــتَـــشَـوِّقُ

ومن الشعراء الذين توفوا قبل العصر الاخشيدى :

منصور بن اسماعيل، أبو الحسن الفقيه (٣٠٤هـ/ ٩١٦م وقيل عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) بمصر، كان من علماء الفسطاط، دخل بغداد ومدح بها الخليفة المعتز، كان فقيها ولزمه التعريف بالفقيه، وله مقطعات كثيرة فى الزهد والحِكَم والامثال، منها قوله:

قـــالوا العَـــمَى منظَرٌ قـــبيحٌ   قلتُ لفَـــقْــدِى لكم يهـــونُ
تالله مـــــا فى الانام خَـــيْـــرٌ   تأسَى على فَـــقْــده العيـــونُ

الشعر فى الدولة الاخشيدية :

وفى العصر الاخشيدى ظهر نوع جديد من فنون الشعر، وهو فن شعر الديارات، فقد كان الشعراء يخرجون الى هذه الأديرة الكثيرة المنتشرة فى مصر، حيث أقيمت هذه الأديرة فى أماكن هادئة عرفت بجمال طبيعتها، فيصفونها ويصفون بعض مظاهر الطبيعة حولها، كما يصفون لهوهم فيها(٣٩).

---

(٣٩) ومن الديارات التى كانت تقصد للشرب والتنزه فيها: دير القصير (بالقرب من حلوان)، ودير مرحنا (على شاطئ بركة الحبش)، ودير نهيا (بالجيزة)، وديرطمويه (فى الغرب بازاء حلوان).

ومن شعراء الدولة الاخشيدية :

احمد بن ابي عاصم، ابو هريرة المصري من شعراء الاخشيد. من أصحاب النوادر والمجون والادمان على شرب الخمر، وله شعر في وصف مجالس الشرب

أحمد بن صدقة الكاتب.

احمد بن محمد بن اسماعيل بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا، ابو القاسم (ت عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وقيل عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م). كان شاعرا ماهرا، وله شعر جيد في الزهد والغزل. ومن شعره الذى ورد الينا :

عَيَّرتْني بالنومِ جَوْرا وظُلْما	قلتُ: زدت الفؤاد همّاً وغمّاً
اسمعي حُجّتي وإن كنت ادرى	انّ عذرى يكون عندكِ جُرْما
لم أنَمْ لذّةً ولانمتُ إلا	طمعا في خيالكم ان يُلمّا

ومن شعره أيضا :

ما اخترتُ تبديلَ المودة ساعة	بعد الذى هجر الحميّ وجفانى
انا ذاك لا عهدى يُغَيّرُ بالنّوىَ	ابدا ولا وجهى يميلُ لثانى
واذا وَثِقْتُ بوِدّ من احببتُه	فبعادُهُ ودنُوهُ سيّانِ

ابو القاسم سعيد المعروف بقاضى البقر كان من شعراء أبي الجيش بن طولون، وكان يبيت عند الاخشيد يحادثه ويسامره.

صالح بن رشدين.

القاسم بن أحمد الرسي، أبو محمد ابن الشاعر ابن طباطبا. كان حسن الشعر، وقد أدرك الدولة الفاطمية.

محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان، ابو رجاء الاسواني (ت عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) يقول عند الادفوى : إنه كان أديبا فصيح اللسان، وله نظم، ومن نظمه قصيدة ذكرفيها أخبار العالم، وذكر فيها قصص الانبياء نبيا نبيا.

محمد بن عاصم، يذكر ابن اياس انه في زمن كافور وقعت زلزلة عظيمة بمصر، فخاف الناس من ذلك وهربوا الى الصحارى، وظنوا أنها القيامة، فدخل محمد بن عاصم الشاعر على كافور وأنشده قصيدة عظيمة من جملتها هذا البيت :

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله طربا

فتفاءل كافور بذلك، واجاز محمد بن عاصم بألف دينار.

ومن الشعراء الوافدين في الدولة الاخشيدية :

محمود بن محمد بن الحسين، أبو الفتح المعروف بكشاجم (ت عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م) أقام بمصر، ثم رحل عنها، فكان يتشوق اليها، ثم عاد اليها فقال :

قد كان شوقي الى مصر يؤرقني فالآن عُدتُ وعادت مصرُ لي دارا

ومن كتبه : كتاب أدب النديم، كتاب الرسائل، كتاب ديوان شعره.

احمد بن الحسين، أبو الطيب المعروف بالمتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ/ ٩١٥- ٩٦٥م). كان المتنبي قد وفد على مصر عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م مادحا أميرها كافور الاخشيدي، وأقام بمصر مدة أربع سنوات، اتصل فيها بعدد كبير من شعراء مصر وأدبائها.

ومن أشهر الأدباء الذين اتصل بهم ونقدوه سيبويه، فقد نقد سيبويه بيتا له من الشعر قال فيه :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته به

فقال : الصداقة ضد العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من مداراته بد

لكان احسن واجود

ثانيا : النثر :

والمقصود بالنثر ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ الكتابة الفنية التي يتعمد فيها الكاتب الأناقة في التعبير، ومحاولة السمو بالأسلوب الى مستوى رفيع هو مستوى كتابة الطبقة التي نالت حظا كبيرا من الثقافات المختلفة، وظهر أثر خيالهم وعاطفتهم في كتاباتهم، فاذا بنا نرى في هذه الكتابة صورا فنية لا تختلف عن الصور التي في الشعر في شيء.

وقد مر النثر في مصر (خاصة في فترة دراستنا من الفتح حتى بداية العصر الفاطمي) بمرحلتين:

المرحلة الأولى : وتمتد من الفتح حتى قيام الدولة الطولونية ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. **والمرحلة الثانية** : وتبدأ مع قيام الدولة الطولونية على يد مؤسسها أحمد ابن طولون.

وبالنسبة للمرحلة الاولى فلم يكن لهم عناية بديوان الانشاء، ويرجع السبب في ذلك الى أن الولاة لم يكن لهم سلطة تامة في شئون البلاد إلا بعد مراجعة مركز الخلافة، هذا بالاضافة الى أن اللغة العربية كانت في محيط ضيق لايتحدث بها إلا قبائل العرب وبعض الموالي، وأن اللغة الرسمية في مصر كانت اليونانية حتى أمر عبد الملك بن مروان بتعريبها عام ٨٧هـ/ ٧٠٥م. لذلك فلا يوجد لتاريخ النثر الفني ما يكفي للحديث عنه في عصر الولاة.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية للنثر في مصر والتي تبدأ مع قيام الدولة الطولونية ، فقد ترتب ديوان الانشاء بها، مع اهتمام أحمد بن طولون به، بحيث نافس به ديوان الانشاء في بغداد.

وكان من شدة رغبة أحمد بن طولون أن تصدر الرسائل على درجة كبيرة من الاتقان، أنه أنشأ ديوان «التصفح» لمراجعة ما يكتبه كتاب الانشاء.

واول من تولى ديوان الانشاء الذى رتبه أحمد بن طولون هو :

محمد بن احمد بن َموْدود، أبو جعفر المعروف بابن عبد كان. كان كاتبا لأحمد بن طولون ثم لخمارويه من بعده، وهو أول الكتاب المشهورين بمصر، وقد اشتهر بالبلاغة وحسن الكتابة.

وقدتولى ديوان الانشاء بعد ابن عبد كان :

اسحق بن ُنصير، ابو يعقوب الكاتب البغدادى(ت عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م). وكان قد وفد على مصر، فاتصل بابن عبد كان رئيس ء ديوان إنشاء مصر، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان : فبماذا تتصرف؟ فقال اسحق : فى المكاتبات والأجوبة والترسل. وكان بين يدى ابن عبد كان كتب قد وردت فقال لاسحق : خذ هذه وأجب عليها. فاخذها ومضى الى ناحية من الدار فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام ابن عبد كان إلى الحجرة التى له، فاجتاز بأبى اسحق والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل يروح اسحق بن نصير حتى انتبه، فقال له :عمن أخذت الكتبة؟ وعينه فى الديوان، واجرى عليه اربعين دينارا فى كل شهر، فلم يزل يعمل معه حتى توفى ابن عبد كان، فآل أمر ديوان الانشاء الى على بن أحمد الماذرائى فقال لاسحق : الزم منزلك، فانصرف. فوردت كتب، فأجاب عنها الماذرائى، ودخل بها على أبى الجيش خمارويه، فعرض الأجوبة عليه، فقال له خمارويه: ما هذه الألفاظ التي كانت تخرج منى وعنى! فمضى الماذرائى وعاد اليه مرة أخرى، فلم يقبل خمارويه الأجوبة، فاضطر الماذرائى الى استدعاء اسحق بن نصير، وطلب منه أن يجيب عن الرسائل ففعل، ودخل بها الماذرائى على خمارويه، فقرأ الأجوبة التى كتبها اسحق فقال: نعم، هذا الذى أعرف، ايش الخبر؟ فقال له : كاتب كان مع ابن عبد كان فاعتزل. وأحضرته الساعة، فقال : هاته! فاحضره، فجعل له خمارويه مرتبا شهريا قدره أربعمائة دينار، وأمره ان يلازمه. فمكث اسحق بن نصير فى عمله، ورفع رزقه الى الف دينار فى الشهر.

ومن كُتاب العصر الطولوني ايضا :

محبوب بن رجاء، ابو الضحاك. وقد استكتبه احمد بن طولون عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م. وقال عنه ابن عبد كان : «لم يكن بالكامل، إلا انه كان حاضر الذهن، حلو الالفاظ».

وقد حبسه احمد بن طولون وصادر أمواله، حتى مرض مرضه الذى توفى فيه، فأخرجه من السجن، ورد اليه جميع ما كان أخذ منه.

أحمد بن محمد الواسطى الكاتب. دخل مصر مع أحمد بن طولون، وكان كاتبه وموضع سره.

حسن بن مهاجر. اصله من الرقة، وقد استكتبه احمد بن طولون، وأمرله بمائة ألف دينار، وقد وصفه ابن عبد كان بقوله : «وأما ابن مهاجر، فوقور النفس، مستصغر لنصيحة من ينصحه، بعيد الغور، لا يؤثر على توفير مال صاحبه».

جعفر بن جدار. كان من الكتاب، وقد سبق ذكره فى الشعراء.

احمد بن أبى يعقوب يو سف بن ابراهيم الكاتب المعروف بابن الداية توفى حوالى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، كان من جلة الكتاب بمصر، وممن له دراية بعلوم كثيرة فى الأدب والطب والنجامة والحساب وغير ذلك.

جعفر بن عبد الغفار المصرى ويذكر البلوى أنه لم يكن كفئا فى عمله إلا أن أحمد بن طولون كان يحتمله لانه مصرى.

يعقوب بن اسحق، ابو يوسف. دخل مصر مع أحمد بن طولون، الا أن ابن طولون سجنه بعد ذلك .

احمد بن ايمن. وقد ذكر البلوى أن أحمد بن طولون قد سجنه لعدم أمانته، وظل فى سجنه حتى مات أحمد بن طولون.

النثر فى العصر الاخشيدى :

وعن النثر فى العصر الاخشيدى تقول الدكتورة سيدة كاشف :« كان حظ النثرالفنى أعظم من حظ الشعر فى العصر الاخشيدى، وكان فى هذا النثر المسحة العراقية، والميل الى السجع، والمزاوجة مع إطناب فى اللفظ، وتكرار المعنى، واقبال على الجمل القصيرة ».

ومن كتاب العصر الاخشيدى :

ابراهيم بن عبد الله النجيرمى، أبو اسحاق، وكان زعيم الكتاب فى هذا العصر، يقول عنه ابن سعيد : «كان عالما بوجوه الكتابة».

على بن محمد بن كلا الذى كان كاتبا للاخشيد و رسوله الى العراق وثقته، وقد قبض عليه الاخشيد فى آخر عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م وصادر أمواله هو وأهله.[٩]

ومن أدباء العصر الاخشيدى :

سيبويه المصرى، محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندى المصرى، أبو بكر، ولد عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م وتوفى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م. يقول عنه ياقوت : كان عارفا بالنحو والمعانى والقراءة والاعراب والاحكام وعلوم الحديث والرواية، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والاشعار والفقه على مذهب الشافعى، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعى، وسمع من أبى عبد الرحمن النسائى، وأبى جعفر الطحاوى، وكان يتكلم فى الزهد وأحوال الصالحين، اجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء، وبلغ ذلك مبلغا جالس به الملوك، وكان يظهر الكلام فى الأسواق فى الاعتزال، ومرض بمرض السوداء حتى توفى.

وهذا بالنسبة لأنواع الدراسات فى المرحلة الأولى من تاريخ الحركة الثقافية فى مصر، وهى الفترة الممتدة من بداية الفتح العربى حتى بداية حركة الترجمة، وكانت الدراسة فيها ـ كما ذكرنا ـ مقتصرة على نوعين

من الدراسات :

النوع الأول : الدراسات الدينية.

النوع الثانى : الدراسات الأدبية.

وسنتناول فى الصفحات القادمة حركة الترجمة وأثرها فى إضافة نوع جديد من الدراسات ـ وهى العلوم الفلسفية ـ الى الدراسات السابقة، مما دفعنا الى اعتبارها بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة الثقافية فى مصر.

حركة الترجمة :

وقد بدأت المحاولات الأولى للترجمة خلال العصر الاموى، إلا انها كانت فى الغالب جهودا فردية، وعلى نطاق ضيق، واقتصرت على العلوم العملية كالطب والفلك، والعلوم العقلية (كالمنطق والفلسفة والهندسة).

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ويسمى حكيم ال مروان، أول من عني بنقل علوم الطب والكيمياء الى العربية. فقد أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر، ولهم إلمام بالعربية، وطلب منهم نقل كتب الصنعة (الكيمياء) من اليونانية والقبطية الى العربية،فكان هذا أول نقل الى العربية في الاسلام. كما طلب منهم أن يترجموا له كتب جالينوس فى الطب، فوضع بذلك أساس التعاليم الطبية.

أما عمر بن عبد العزيز فقد اهتم بالدراسات اليونانية اثناء وجوده فى مصر أثناء خلافة سليمان بن عبد الملك، وفي مصر تعرف بابن أبجر مدرس الفلسفة اليونانية فى الاسكندرية، وكان موجودا في الاسكندرية منذ زمن الفتح.

وقد شجع عمر بن عبد العزيز تعريب كتب الطب، فأمر بنشر كتاب الطب الشرعى الذى نقله الى العربية طبيب البصرة ماسرجويه [٤٠] في عهد الخليفة مروان بن الحكم وقد وجده في خزائن الكتب بالشام.

---

(٤٠) ذكره ابن أبي اصيبعة باسم (ماسرجيس) وقال : كان ناقلا من السريانى الى العربى، ومشهورا بالطب، وله من الكتب : كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ـ كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها.

وما لبثت حركة الترجمة أن اتسعت في العصر العباسي الأول في خلافة المنصور(١٣٦ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ـ ٧٧٤م) الذي كان شغوفا بالطب والهندسة ويعتقد بالنجوم.وقد راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث اليه كتاب اقليدس (٤١)، وبعض كتب الطبيعيات، وجمع حوله العلماء، وشجعهم على ترجمة العلوم من اللغات الأخرى. فهو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، ككتاب كليلة ودمنة واقليدس.

وقد زادت العناية بترجمة الكتب في عهد هارون الرشيد(١٧٠ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ـ ٨٠٨م) بعد أن وقع في حوزته بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه من كتب اليونان. كما نشطت حركة الترجمة في عهده بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين، وإدرار الأرزاق عليهم.

وفي عهد المأمون (١٩٨ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) قويت حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة من اليونانية والفارسية الى العربية. ولكي يتم هذا النقل على أكمل وجه انشأ في بغداد ما عرف بدار الحكمة أو دار العلم في عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، جمع فيها عددا كبيرا من النساخ والمترجمين، الذين اتقنوا عدة لغات، وألحق بها مكتبة. ومن أغرب ما وصل الينا عن هذا الخليفة أنه ترك الجهاد، وتداخل مع ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا لقاء أن يرسلوا اليه بالمخطوطات، مما يدل على اهتمامه بنشر الثقافة. كما أخذ يضمن شروط الصلح مع ملوك الروم إرسال كتب الحكمة، فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث أن ينزل للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية، وكان من بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بتعريبه وسماه المجسطي (٤٢) .

كما روى ابن النديم أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، فكتب اليه يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم.

---

(٤١) وهو اقليدس بن نوقطرس بن برنيقس. كان من ابرز المهندسين، وهو اقدم من ارشميدس وغيره من الفلاسفة الرياضيين.

(٤٢) المجسطي : ومعناه الترتيب الكبير في علم الفلك وكان المرجع المهم في الفلك عند المسلمين وعند الاوروبيين في القرون الوسطى.

فأجاب الى ذلك بعد امتناع. فأرسل المأمون لذلك جماعة، منهم : الحجاج بن مطر(٤٣) و ابن البطريق (٤٤) وسلماصاحب بيت الحكمة وغيرهم. فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه اليه، أمرهم بنقله، فنقل.

وكان قسطا بن لوقا(٤٥) يشرف على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية، كما كان يحيى بن هارون يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة.

ولم تقتصر العناية بالترجمة على المأمون، بل عني جماعة من ذوي اليسار في عهده بنقل كثير من الكتب الى العربية، عرف منهم : محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم(٤٦)، فقد أنفذوا حنين بن اسحق(٤٧) وغيره الى بلد الروم ، فجاءوهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب، ويذكر ابن النديم أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة، منهم حنين بن اسحق، وحبيش بن الحسن(٤٨) وثابت بن قرة(٤٩) وغيرهم ـ في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة.

---

(٤٣) الحجاج بن مطر واسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصي. يقول عنه ابن أبي أصيبعة : كان متوسط النقل، وهو الى الجودة أميل.

(٤٤) وهو يحيى بن البطريق وكان لا يعرف العربية حق معرفتها، ولا اليونانية، وانما كان يعرف لغة الروم، وكتابتها، وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة.

(٤٥) قسطا بن لوقا البعلبكي، كان في أيام المقتدر بالله، ويقول عنه ابن النديم : كان بارعا في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى. وكان جيد النقل، فصيحا باللسان اليوناني والسرياني والعربي. توفي بأرمينية، وله كتب كثيرة.

(٤٦) بنو شاكر. كان لهم الكثير من الكتب.

(٤٧) حنين بن اسحق، أبو زيد(ت عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) كان ماهرا في صناعة الطب، فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية، وله كتب كثيرة.

(٤٨) حبيش بن الحسن الأعسم. كان نصرانيا، وهو ابن أخت حنين بن اسحق وأحد تلامذته، ومنه تعلم صنعة الطب. وكان حنين يقدمه ويعظمه ويرضى نقله.

(٤٩) ثابت بن قرة بن مروان، أبو الحسن ولد عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وتوفي عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م.

وقد كان من اثر حركة النقل والترجمة، أن ظهر الى جانب العلماء المتخصصين فى العلوم الاسلامية والأدبية علماء اخرون متخصصون فى العلوم العقلية عن طريق اشتغالهم بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية.

ومن هؤلاء : ابن الداية الذى يقول عنه ياقوت : إنه كان أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب والمنجمين، مجسطى أوقليدسى، حسن المجالسة، حسن الشعر، وهو يشير فى كتابه الى انتفاعه بالثقافة اليونانية، وافادته منها، ويبين أنه مغرم بافلاطون بصفة خاصة ويقتبس من حكمه.

وسنعرض فيما يلى العلوم الفلسفية التى جرى الاهتمام بها فى مصر، واهم علمائها واسهاماتهم فيها.

أولا : الطب :

كان الطب من العلوم الفلسفية التى إشتغل بها رجال مدرسة الاسكندرية، الا أن الذين عرفوا بمهارتهم فى هذا الفن قبيل الفتح هم جماعة السريان الذين نشطوا فى الاسكندرية وفى الأديرة الخاصة بهم، وكان لهم نشاط علمى ملحوظ، فقد كتب اهرن القس كتاب «الكناش» فى الطب، الذى ترجم الى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز. وهذا الكتاب من أقوى الكتب الطبية التى اعتمد عليها المسلمون فى دراساتهم الطبية.

وقد استمرت دراسة الطب فى مصر بعد الفتح العربى، خاصة عند اليهود والنصارى، وذلك بتشجيع الخلفاء لهم، حتى إننا نلاحظ انه فى الوقت الذى كانت تصدر فيه أوامر الخلفاء بعدم استخدام أهل الذمة فى الأعمال التى تخص الدولة، كان يستثنى منها ممارسة الطب، فيذكر أبو المحاسن أن الخليفة المقتدر وخاصة فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م أثناء ولاية عيسى النوشرى على مصر - امر الا يستخدم أحد من اليهود والنصارى الا فى الطب والجهبذة.

ومن الأطباء فى مصر :

الطبيب يحيى النحوى (يوحنا) : كان أسقفا في بعض كنائس مصر، وقد شاهد فتح مصر وأكرمه عمروبن العاص. يقول عنه ابن أبى اصيبعة فى كتابه : إنه كان طبيباحكيما، وله مصنفات كثيرة في الطب وغيره. وقد عرف بيحيى النحوى لأنه بدأ بدراسة علم النحو فنسب اليه واشتهر به، كما درس علم اللغة والمنطق.

الطبيب السرياني أريباسيوس :شاهد فتح العرب لمصر، وترك عدة أبحاث طبية، وعرفه الباحثون المسلمون باسم «صاحب الكنانيش»، وترجم له الى اللغة العربية سبع مقالات عن علل النساء.

الطبيب عبد الملك بن ابجر الكناني : كان طبيبا عالما ماهرا، وكان فى أول أمره مقيما في الاسكندرية لأنه كان المتولى فى التدريس بها، وقد أسلم ابن ابجر على يد عمر بن عبد العزيز عندما كان اميرا، فلما افضت اليه الخلافة، نقل تدريس الطب الى انطاكية وحران وتفرق فى البلاد. وكان عمربن عبد العزيز يعتمد على ابن أبجر فى صناعة الطب.

الطبيب بليطيان : كان طبيبا مشهورا بديار مصر، نصرانيا، وفى خلافة المنصور(١٣٦ ـ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م) صيربطريركا على الاسكندرية. وفي أيام الخليفة الرشيد(١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م) اعتلت جاريته بعلة عظيمة، فعالجها الأطباء فلم تشف، فبعث الرشيد الى عبيد الله بن المهدى ليختار له من أحذق أطباء مصر، فارسل اليه بليطيان فعالجها وشفيت. وتوفى بليطيان فى عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م.

الطب فى الدولة الطولونية :

عرف فى الدولة الطولونية نظام «الكونسلتو» الموجود فى الوقت الحاضر، والمقصود به ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف عن البلوى ـ أن الطبيب اذا رأى حالة مستعصية كان يرى من الأفضل أن يجتمع عدد من الأطباء

للوصول الى راي، كما نفعل نحن اليوم. ويذكر البلوى أن كل طبيب كان له اعوان ومساعدون كان اسمهم (الشاكرية)، وكان وظيفتهم دق العقاقير وعجن الأدوية حسب أمر الأطباء، أو نفخ النار تحت الأدوية المطبوخة. وكان الأطباء يقومون بتركيب الأدوية اللازمة للمريض، كذلك كانت لهم وسائلهم في الفحص والعلاج، كما كانوا يحددون للمريض أنواع الأطعمة التي يتناولها أثناء مرضه.

ومن الأطباء في الدولة الطولونية :

الطبيب سعيد بن توفيل :

وقد اختلفت المصادر في اسمه، فمنهم من قال سعيد بن نوفل، ومنهم من قال سعيد بن توفيل. على كل حال فقد كان طبيبا نصرانيا، وكان في خدمة أحمد بن طولون من أطباء الخاص يصحبه في السفر، وقد تغير عليه قبل موته، فدعا بالسياط فضربه مائتي سوطا وطاف به على جمل، ونودي عليه : هذا جزاء من اتتمن فخان، ومات بعد يومين، وذلك في سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م بمصر. وقيل في عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

الطبيب هاشم بن سعيد بن توفيل :

وهو ابن الطبيب سعيد بن توفيل ويقول عنه ابن أبي أصيبعة: إنه كان «حسن الصورة، زكي الروح، حسن المعرفة بالطب فتقدم أحمد بن طولون الى سعيد أول ما صحبه أن يرتاد متطببا يكون لحرمه، ويكون مقيما بالحضرة في غيبته، فقال له سعيد : لي ولد علمته وخرجته، قال : أرنيه . فاحضره، فرأى شابا رائقا، حسن الأسباب كلها، فقال له أحمد بن طولون: ليس يصلح هذا لخدمة الحرم، احتاج لهن حسن المعرفة، قبيح الصورة. فأشفق سعيد ان ينصب لهم غريبا فينبو عنه[٥٠] ويخالف عليه، فأخذ

---

(٥٠) ينبو عليه الأمر او الصاحب :لم ينقد له.

هاشما والبسه دراعة (وهى جبة مشقوقة المقدم) وخفين ونصبه للحرم». وقد تمكن هاشم من الحرم باصلاحه لهم ما يوافقهم من عمل أدوية الشحم والحبل، وما يحسن اللون ويغزر الشعر، حتى قدمه النساء على سعيد (٥١).

الطبيب سعيد بن البطريق :

وكان طبيبا نصرانيا من اطباء فسطاط مصر، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم. وقد عين بطريركا على الاسكندرية سنه٣٢١هـ/ ٩٣٣م وتوفى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م وله كتب فى الطب.

الطبيب عيسى بن البطريق :

وكان عيسى أخا لسعيد بن البطريق، وكان طبيبا نصرانياعالما بصناعة الطب علمها وعملها، وكان مقامه بمدينة مصر القديمة، وظل بها الى ان توفى.

الطبيب على المطبب المعروف بالنيدان :

ويذكرابن الداية فى كتاب المكافاة انه صحب رجلا من المسلمين الذين اشتغلوا بالطب، واسمه على المطبب المعروف بالنيدان وان هذا الطبيب «كان حسن المعرفة بكتب افلاطون ورموزه، مبرزا فى الطب».

الطبيب الحسن بن زيرك :

وكان طبيبا فى مصر أيام احمد بن طولون يصحبه فى الاقامة، وتوفى حوالى سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م. يذكر البلوى انه اشترك فى علاج ابن طولون، وأنه كان يعمد فى تطبيبه، فضلا عن الدواء، الى اراحته وعلاجه نفسيا.

---

(٥١) يذكر البلوى انه لم يكن طبيبا ماهرا، وأنه كان أحد أسباب موت احمد بن طولون عندما عالجه خطأ.

الطبيب ابراهيم بن عيسى :

كان طبيبا فاضلا معروفا فى زمانه من اطباء بغداد، وقد خدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون، وتقدم عنده، وسافر معه الى الديار المصرية، واستمر فى خدمته، وقد أقام فى الفسطاط حتى توفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م.

الأطباء فى الدولة الاخشيدية :

الطبيب نسطاس بن جريج :

كان نصرانيا عالما بصناعة الطب. وكان فى دولة الاخشيد بن طغج.

الطبيب ابو الفرج البالسى :

كان طبيبا فاضلا متميزا فى صناعة الأدوية المفردة وأفعالها، وله من الكتب كتاب «التكميل فى الأدوية المفردة» ألفه لكافور الاخشيدى. وقد ذكر ابن سعيد فى كتابه طبيبا يسمى «ابن البالسى» وان لم يذكر ترجمة له، فهل كان هو البالسى هذا أم كان ابنا له؟

ومن الأطباء الذين مروا على مصر :

الطبيب محمد بن عبدون الجبلى العذرى من الاندلس، وقد رحل الى المشرق سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م ودخل البصرة ولم يدخل بغداد، وأتى مدينة فسطاط مصر ودبر مارستانها، ومهر بالطب وأحكم كثيرا من أصوله، ورجع الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م.

ثانيا : علم النجوم :

كانت الاسكندرية مشهورة بخدمتها لعلم الفلك، وكان فيها من لا يزال يمارس التنجيم، وكان الملوك وحكام البلاد يرسلون من كل اقطار العالم الى رهبان الصحارى لينبئوهم بما في ضمير الغيب لهم، وكانوا في ذلك يعتمدون على علم الرهبان بالكواكب أكثر من اعتمادهم على ربانيتهم. وقد ذكرت في الفصل التمهيدي أن من أكبر علماء الفلك كان اسطفن الاسكندري، ولا يزال كتابه في الفلك باقيا.

وبعد الفتح العربي لمصر ظل التنجيم موجودا بها وكان له رجاله ويظهر ذلك بوضوح في المصادر العربية خاصة عند تولية أمير البلاد.

فيذكر ابن سعيد عن الحسن بن رافع الكاتب أنه عند دخول أحمد بن طولون مصر كانت الناس مجتمعة، وكان من ضمنهم شاب مكفوف فسأله رجل عما يجده في كتبهم له، فقال : هذا رجل صفته كذا وكذا وهو يتقلد هو وأولاده أربعين سنة. فقال الحسن بن رافع : «فوالله ما تم كلامه حتى مر بنا أحمد بن طولون، فو الله لقد كانت صفته وخلقه وقده وشمائله على ما حكى المكفوف ولم يغادر شيئا منه».

ويذكر ابن سعيد ذلك أيضا عند تولية الاخشيد، فيقول : «وسمعت بعض الشيوخ المصريين من أهل التنجيم يقولون إن الاخشيد دخل إلى مصر بالطالع الذي دخل به أحمد بن طولون».

ويقول الأبشيهي عن كافور إنه في يوم عندما انتبه من نومه طلب جماعة، وقال : «امضوا الساعة الى عقبة النجارين، واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك، فان كان حيا، فاحضروه، وان كان قد توفي فسألوا عن أولاده». فوجدوه قد مات، وترك بنتين، احداهما متزوجة والأخرى غير متزوجة. فعندما علم كافور بذلك، اشترى لكل واحدة منهما دارا، واعطاهما مالا جزيلا، وكسوة فاخرة، وزوج الغير متزوجة. فلما فعل ذلك وبالغ فيه

ضحك وقال : «أتعلمون سبب هذا؟ قلنا : لا . فقال : اعلموا أنى مررت يوما بوالدهما المنجم، وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب، وأنا بحالة رثة، فوقفت عليه، فنظر إلى واستجلبنى. وقال : انت تصير الى رجل جليل القدر، وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا، ثم طلب منى شيئا، فأعطيته درهمين كانا معى، ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما إليّ وقال : أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين، ثم قال : وأزيدك، أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه، فاذكرنى اذا صرت إلى الذى وعدتك به ولا تنسى. فقلت له : نعم، فقال : عاهدنى أنك تفى لى، ولا يشغلك ذلك عن افتقادي، فعاهدته، ولم يأخذ منى الدرهمين.

ثم إنى شغلت عنه بما تجدد لى من الأمور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة، ونسيت ذلك. فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام، وقد دخل عليّ. وقال لى : أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك، واتمام وعدك؟ لا تغدر، فيُغدر بك. فاستيقظت، وفعلت ما رأيتم، ثم زاد فى احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده ».

وقد ذكرت المصادر العربية إسمين من المنجمين كانوا فى مصر وهما :

ابو الحسن على :

وهو إبنا لأبى سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر، ويذكر عنه ابن كثير انه كان منجما يرجع اليه اصحاب هذا الفن، كما يرجع اصحاب الحديث إلى اقوال ابيه.

محمد بن إدريس الشافعى :

(ت عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) يذكر ابن الوردى فى تاريخه[٩] أن الشافعى درس علم النجوم وتفوق فيه وكان يحسبه، إلا انه بعد حادثة ذكرها، أخذ عهدا على نفسه ان لا ينظر فى هذا العلم، ودفن الكتب التى كانت عنده فى النجوم، وأنكر بعد ذلك على اهل الكلام وعلى من يشتغل فيه.

ثالثا : علم تعبير (تفسير) الرؤيا :

يقول عنه ابن خلدون : «هذا العلم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع، وكتب الناس فيها. وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل الينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الاسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولابد من تعبيرها. فلقد كان يوسف الصديق، صلوات الله عليه، يعبِّر الرؤيا ـ كما وقع في القرآن ـ (سورة يوسف) وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه. والرؤيا مُدرَك في مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم : «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» وقال :« لم يبق من المُبَشِّرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له»

وقد وُجد في مصر المعبرون. فتذكر المصادر العربية أن أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع، إلا الجامع فإنه لم يقع عليه من النور شيء،فتألم وقال : والله ما بنيته إلا لله خالصا، ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه. فقال له معَبر حاذق: هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله، لأن الله تعالى قال : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا (٥٢) وقد صح تعبير هذه الرؤيا، فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا وبقي الجامع عامرا.

كما تذكر المصادر حلماآخر لأحمد بن طولون، فقد قيل إنه لما فرغ من بناء الجامع رأى في منامه كأن نارا أنزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله. فلما أصبح، قص رؤياه. فقيل له :أبشر بقبول الجامع، لأن النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته، ودليله قصة قابيل وهابيل.

---

(٥٢) سورة الاعراف اية رقم ١٤٣ .

وقد ذكر ابن سعيد اسما لأحد هؤلاء المعبرين في الدولة الاخشيدية وهو محمد بن الحسين المكفوف المفسر، فيقول عنه إنه قال : قال لي الاخشيد: رأيت في المنام كأني سلمت الى غلام من غلماني الكبار شيئا فلم يقم به، ثم نقلته إلى غيره فلم يقم به ، حتى سلمته الى جماعة منهم، ثم سلمته الى كافور، وانتبهت وهو في يده، فقلت له : هذا الملك يعود الى كافور ويقوم به. فضحك وعجب. فلما نهضت اخذ بيدي غلام، فلما خرجت قال لي الغلام : رأيت مولاي يخاطبك، وينظر إليّ ويضحك؟! فقلت له : من أنت؟ فقال: أنا كافور. فقلت له : أبقى الله عزك، إن هذا الملك ستملكه واذكرني.

رابعا : علوم السحر :

وعنها يقول ابن خلدون: «هي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية : والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات. ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره، كانت كتبها كالمفقود بين الناس ..... وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم».

ويذكر ابن النديم أن السحر كان موجودا في مصر، وأن الكتب المؤلفة فيه كثيرة.

ويقول المقريزي : «وبالصعيد بقايا سحر قديم».

وتذكر المصادر العربية، وخاصة الجغرافية منها، المدن المصرية في الصعيد التي كان بها سحر من قديم الزمن وهي :

أنْصِنَا : بلدة بالصعيد الأوسط وهي المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جلبهم فرعون. ويقال إنها مطلسمة وأن بها بقية من السحر .

دَلاص : وهى بصعيد مصر من كورة البهنسا على غربى النيل، وهى كانت مجتمع سحرة مصر.

خامسا : علم الصنعة (الكيمياء) :

وصناعة الكيمياء فى هذا العصر كما يقول ابن النديم هى : صنعة الذهب والفضة من غير معادنها.

ويبدو أن صناعة الكيمياء كانت رائجة فى الاسكندرية، فقد ذكرت آنفا أن خالد بن يزيد دعا جماعة من اليونانيين المقيمين بالاسكندرية لينقلوا له كتب الصنعة من اليونانية والقبطية الى العربية.

ومن العلماء المصريين الذين تخصصوا فى علم الصنعة :

ذو النون المصرى :

وهو ابو الفيض ذو النون بن ابراهيم. وكان متصوفا، وله أثر فى الصنعة وكتب مصنفة، فمن كتبه : كتاب الركن الاكبر، وكتاب الثقة فى الصنعة.

عثمان بن سويد أبو حرى الاخميمى :

من اخميم قرية من قرى مصر. وكان مقدما فى صناعة الكيمياء ورأسا فيها. وله مع ابن وحشية الكلدانى مناظرات، وبينه مكاتبات. ومن كتبه : كتاب الكبريت الأحمر ـ كتاب الابانة ـ كتاب التصحيحات ـ كتاب صرف التوهم عن ذى النون المصرى ـ كتاب التعليقات ـ كتاب آلات القدماء ـ كتاب الحل والعقد ـ كتاب التدبير ـ كتاب التصعيد والتقطير ـ كتاب مناظرات العلماء ومفاوضاتهم.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن سليمان :

وقيل إنه من أهل مصر. ولم يتأتى الينا أنه صح له الصنعة .

سادسا : علم الهندسة :

ابو كامل شجاع بن اسلم بن محمد بن شجاع الحاسب :

من أهل مصر ، وكان فاضلا حاسبا عالما، وله من الكتب : كتاب الفلاح ـ كتاب مفتاح الفلاح ـ كتاب الجبروالمقابلة ـ كتاب العصير ـ كتاب الطيرِ ـ كتاب الجمع والتفريق ـ كتاب الخطائين ـ كتاب المساحة والهندسة ـ كتاب الكفاية.

سعيد بن كاتب الفرغاني المهندس :

وهو الذي تولى في عهد أحمد بن طولون بناء العين التي بالمعافر، وبناء مقياس النيل، وجامع ابن طولون ـ كماذكرت في موضع سابق.

وقد وصفه البلوى بانه «رجل نصراني، حسن الهندسة، حاذق فيها»، ويرى الدكتور زكي محمد حسن أن هذا المهندس كان مسيحيا من العراق، لأنه لو كان من مصر لما أغفل البلوى او المقريزى أن ينص على أنه قبطي، ولو كان بيزنطي الأصل لقيل إنه رومي. ولا يبعد أن يكون مهندس الجامع قد جاء الى مصر في ركاب احمد بن طولون، أو أن ابن طولون ارسل في استدعائه عندما عقد العزم على تشييد الجامع وغيره من الأبنية.

ولاشك أن هندسة بناء الجامع وزخارفه الجصية تدل على أن المهندس الطولوني أتي من سامرا، او كان خبيرا بما ازدهر فيها من العمارة والفنون.

الرحلات العلمية والتبادل الثقافي :

وقد كانت هناك حركة دائمة للعلماء، فمصري يرحل الى المدينة، ومدني الى الكوفة، وكوفي الى الشام، وشامي الى هنا وهناك وهكذا.

وكان السبب في هذه الرحلات العلمية أن الصحابة العلماء الذين أخذ عنهم اهل الأمصار المختلفة كان بعضهم يزيد على الآخرين في اشياء

وينقص فى أشياء أخرى، اذ كان بعض الصحابة يغيبون عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات التى يحضر فيها الآخرون وبالعكس، فيفوت كل واحد منهم ما غاب عنه. فلما فتحت البلدان وتفرق الصحابة فى الاقاليم، أصبح كل اقليم متاثرا بالصحابة الذين علّموا فيه، فلما جاء عهد التابعين وتابعيهم شعر كثير منهم بالحاجة الى التفقه على علماء الأقاليم الاسلامية الأخرى، فكثرت الرحلة الى الأمصار المختلفة وتقابل العلماء فى مختلف الجهات. فالرحلة ــ كما يقول ابن خلدون ــ لابد منها فى طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.

وهكذا عملت هذه الرحلات العلمية على التبادل الثقافى وبالتالى توحيد الوطن العلمى .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن هذه الرحلات العلمية كانت من أسباب عدم ظهور شخصية مصر فى كتب العلماء المصريين فى العلوم العربية، وبمعنى آخر أن هذه الرحلات الكثيرة كانت سببا فى ألا تتمايز العلوم العربية بتمايز الأقطار حتى أصبحنا لا نفرق بين كتب المشارقة وكتب المغاربة إلا عن طريق تاريخ المؤلفين انفسهم.

ومن علماء مصر الذين رحلوا لطلب العلم :

ابو سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق :

ويقال إنه أول من رحل من أهل مصر الى العراق فى طلب الحديث، وقد توفى سنة١٨٤هـ/ ٨٠٠م.

زكريا أبو يحيى الوقار المصرى :

كان من موالى قريش، وقيل من موالى عبد الدار وروى عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم وكان مختصا بابن وهب. وقد ذهب الى افريقيا سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م علّم فيها، ثم عاد الى مصر، وتوفى بها سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م وقيل ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م.

احمد بن حازم المعافرى المصرى. توفى بالأندلس.

الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى :

(ت عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م) نزيل برقة. وثقه أبو حاتم وغيره، قال الليث : كان يصلى كل يوم ستمائة ركعة.

محمد بن بشير بن محمد المعافرى :

(ت عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م) أصله من جند باجه من عرب مصر، واستوطن قرطبة، فقد ولاّه الحكم بن هشام (١٨٠ـ ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ ـ ٨٢١م) القضاء بقرطبة، وقد خرج حاجا فلقى مالك بن أنس فجالسه وسمع منه، وطلب العلم ايضا بمصر.

يزيد بن احمد بن ابى عبد الرحمن :

من اهل مصر، كان فقيها فيها، وفد على عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ ـ٩٦١م) بقرطبة، فاكرم مثواه.

ومن علماء افريقية الذين تلقوا علمهم بمصر :

البهلول بن راشد :

(ت عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وقيل عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) وقد أخذ عنه الليث بن سعد.

محمد بن نظيف البراز الافريقى :

(ت عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، فقد أقام بمصر فى طلب الحديث، ومذاكرة العلماء مثل أبى اسحق بن شعبان وغيره وتوفى بمصر.

ومن علماء الأندلس :

عيسى بن دينار :

وقد درس في مصر وكان لا يتقدمه أحد من قرطبة في الفتيا، وقد نشر مذهب مالك فى الاندلس وتوفى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

قاسم بن محمد بن قاسم الاموى :

بالولاء القرطبى الفقيه المحدث. وقد قيل إنه زار مصر مرتين وتفقه على الحارث بن مسكين وعبد الله بن الحكم.

عباس بن ناصح، ابو المعلى الجزيرى الاندلسى الثقفى :

(توفى بعد سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) كان من أهل العلم بالعربية واللغة والشعر المجوّدين. وكان قد رحل مع أبيه الى مصر.

محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد المعروف بالافشين القرطبى :

(ت سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) كان متصرفا فى علم الادب والخبر، رحل الى المشرق، ولقى بمصر ابا جعفر الدينورى، واخذ عنه كتاب سيبويه رواية. وله كتب مؤلفة.

ومن علماء المشرق :

عبدان أبو محمد بن محمد بن عيسى المروزى :

الفقية الحافظ مفتى مرو، وعالمها وزاهدها، وكان قد ارتحل الى مصر وأقام بها سنين، وقرأ على المزنى والربيع وبرع فى المذهب، ثم رحل الى خراسان ونشر بها مذهب الشافعى وتوفى سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م.

محمد بن نصر المروزى الامام أبو عبد الله :

أحد أئمة الفقهاء، وقد ولد ببغداد ونشأ بنيسابور، وأقام بمصر مدة من الزمن، وأخذ الفقه فيها عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذى قال عنه: «كان محمد بن نصر عندنا إماما».

وقد قال فيه العلماء :« لم يكن للشافعية فى وقته مثله». وقد رجع من مصر واستوطن سمرقند وتوفى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م.

محمد بن عبد الله بن ابراهيم، أبو بكر الشافعى محدث العراق :

(ت سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) وقد ارتحل الى مصر للحديث.

الدار قطني، ابو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى :

وقد ارتحل الى مصر وصنف التصانيف، توفى عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م.

ونلاحظ آن التبادل الثقافي بين الدول فى تلك الفترة لم يكن يقتصر على الرحلات العلمية التى كان يقوم بها العلماء للاستزادة، وانما كانت للتجارة أيضا دور فى هذا التبادل الثقافى ويظهر ذلك بوضوح من كتاب ابن الداية «المكافأة» فقد ورد فيه قصة تاجر عربي، سافر إلى الهند للتجارة فغرقت سفينته وسائر من معه، ووجد نفسه فى جزيرة من جزائر الهند، فوجده قوم الجزيرة وأحضروه إلى ملكهم الذى قال له: «لقد نفذت الموهبة الخارجة عنك، فما معك من الموهبة الثابتة عليك». فقال له: «معى الكتاب والحساب». فقال الملك: «ما بقى لك، أفضل من الذى ذهب منك، والصواب أن تعلم ابنى الكتاب بالعربية والحساب، فأرجوأن نعوضك آكثر مما فقدته». وبالفعل علم ابنه العربية والحساب.

الفصل الثانى

الفنون

. التغير الذى طرأ على الفنون فى مصر بعد الفتح العربى.

مراحل الفن فى مصر :

. المرحلة الأولى من الفتح العربى الى العصر الطولونى.

. المرحلة الثانية من العصر الطولونى الى العصر الفاطمى.

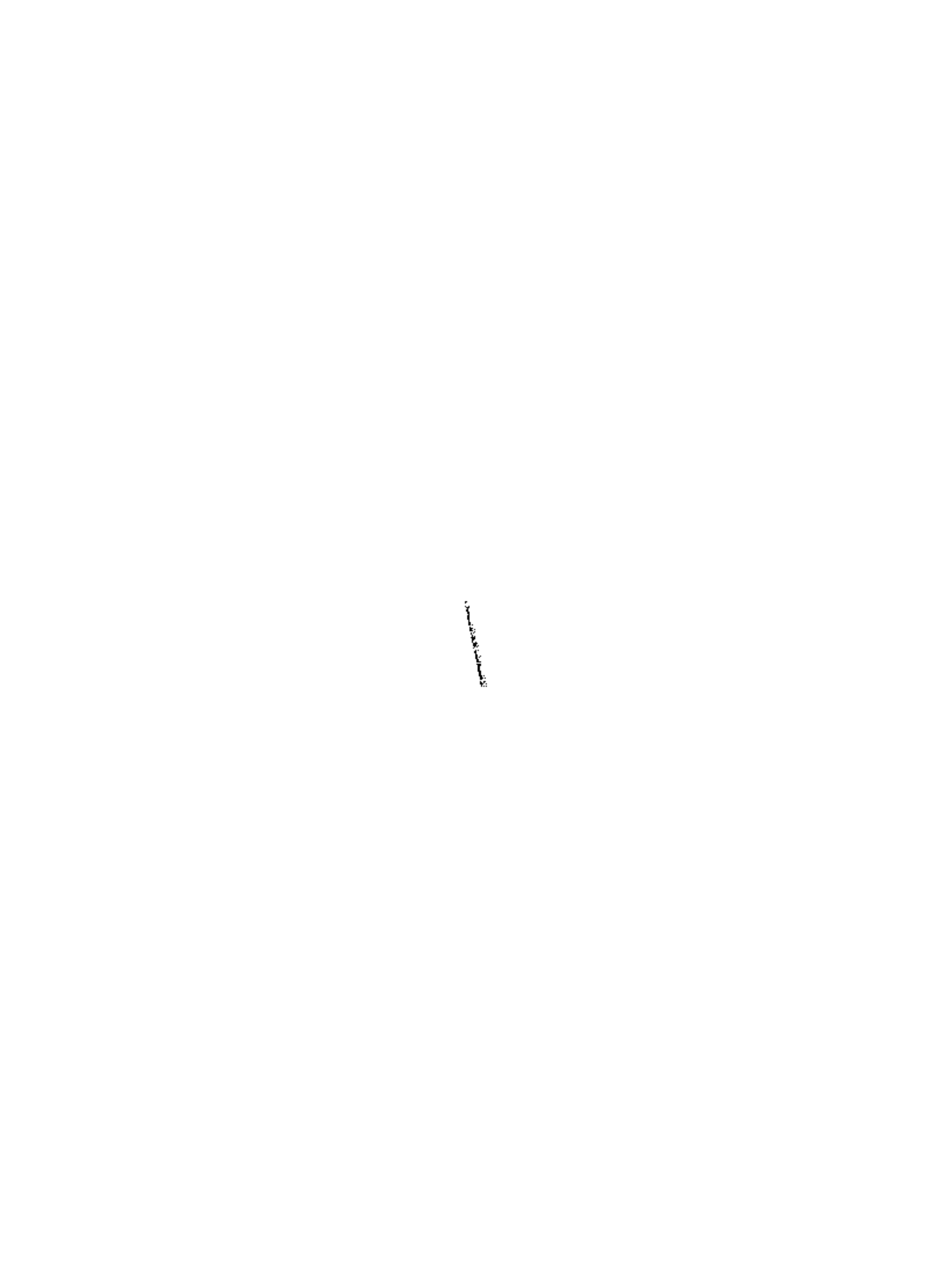
. التغيرات التى طرأت على فنون بعض الصناعات :

. زخارف النسيج.

. زخارف الخشب.

.النحت والتصوير.

. عمارة المساجد.



الفصل الثانى

الفنون

كان تغير الفن فى مصر ضرورة تحتمها طبيعة النظام العربى الجديد الذى يدين بالديانة الاسلامية، فظهر ما يعرف بالفن الاسلامى فيها.

غير أن هذا الفن الجديد لم يكن فنا عربيا، بقدر ما كان فنا مصبوغا بالصبغة الاسلامية، فالعرب لم يكن لهم ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ قبل الاسلام أساليب فنية ناضجة، اللهم إلا فى أطراف شبه الجزيرة حيث قامت الممالك والامارات التى اتصلت بالأمم الأجنبية، وتأثرت بأساليبها الفنية تأثرا كبيرا، كما حدث في اليمن والحيرة وبلاد النبط والغساسنة، فكان طبيعيا اذن ان يكون نصيب العرب فى قيام الفنون الاسلامية روحيا فحسب، وأن يصبح من العسير أن ننسب اليهم أى عنصر فنى فى العمائر والتحف فى بداية العصر الاسلامى، سواء أكان ذلك فى الشكل أم فى الزخرفة أم فى الأساليب الصناعية، وانما تنسب هذه العناصر إلى الشعوب الأخرى التى تألفت منها الامبراطورية الاسلامية عندما فتح بلادها العرب، والتى كانت لها قبل الاسلام أساليب فنية زاهرة، فكانت هذه الأمم أكبر عون للعرب على خلق فن أسلامى طبعه العرب بطابع دينهم، وظهرت فيه شخصيتهم البارزة، ولكن أساسه مدنيات فارس وبيزنطة وأشور ومصر.

والفن الاسلامى يدين بازدهاره للدولة، فالمثالون والمصورون والمهندسون وغيرهم من رجال الفن إنما كانوا يشتغلون بطلب الأمير وتحقيقا لرغبته، واشباعا لشهواته ونحن ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ اذا استثنينا الحاكم فلن نجد للفنون الجميلة رعاة إلا من بلاطه وحاشيته، أو فى الأسر القليلة التى تسكن العاصمة وتعتمد فى معيشتها على الحاكم وبيت ماله، لذلك تنسب فنون المراحل المختلفة فى التاريخ الاسلامى الى الأسرات الحاكمة فيقال : فن أموى، وفن عباسى، وفن طولونى، وفن فاطمى، وغيرذلك.

وعندما فتح العرب مصر كان الفن القبطي بها مزدهرا بما فيه من تقاليد بيزنطية وفرعونية وأشورية وفارسية، فنما الفن الاسلامي وتطورفي مصر من التقاليد القديمة، وباشتراك العمال المصريين، واستمر هذا التعاون بين الفاتحين والمحكومين نحو ثلاثة قرون، ولم يقلل من أهميته قدوم أحمد بن طولون ومعه فريق من الصناع والفنانين العراقيين، فان أثر هؤلاء لم يظهر جليا إلا في نواح خاصة كالعمارة وزخرفة المباني، ولم يستطع العرب الاستغناء عن معونة الأقباط إلا حوالي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حين عم الاسلام مصر، وبعد أن تتلمذ المسلمون مدة طويلة في مدرسة الصناع الوطنيين، تلقوا عنهم فيها أسرار الصناعة وأصول المهنة.

ويمكن تقسيم الفن في مصرمنذ الفتح العربي حتى مجيء الفاطميين إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : من الفتح العربي إلى العصر الطولوني. والمرحلة الثانية : من العصر الطولوني إلى العصر الفاطمي.

وتعتبر المرحلة الأولى هي مرحلة تطور الفن في مصر من الفن القبطي الى الفن الاسلامي، ويطلق عليها مرحلة الانتقال، ويتصف انتاجها بالجمع بين العناصر الفنية القديمة، والميول الاسلامية.ويرى الدكتور زكي محمد حسن أن مصر في هذه المرحلة كانت تابعة للخلافة الاسلامية في الفن، بقدر ما كانت تتبعها في السياسة. إلا ان نشأة الفن الاسلامي في هذه المرحلةكان يحيط بها شيء من الغموض.

أما المرحلة الثانية وهي التي تشمل فترة الدولة الطولونية، فقد ظهر فيها ما عرف بالفن الطولوني، الذي يعتبر أول مرحلة واضحة في تاريخ الفن الاسلامي بمصر.

والفن الطولوني لم يكن مستقلا كل الاستقلال عن فن الخلافة العباسية في ذلك العهد، ولكنه ـ على تبعيته له واشتقاقه منه ـ كان منافسا له، فقد

استطاع بنو طولون أن يتخذوا لأنفسهم بلاطا كبلاط الخليفة فى سامرا وبغداد إن لم يفقه أبهة وعظمة.

والفن الطولونى فن له صفاته ومميزاته المستقلة فى التاريخ الفنى لمصر، فقد أخذ أصوله عن الفن العراقى الذى ترعرع فى سامرا عاصمة الخلافة.

والزخارف الطولونية كبقية الزخارف الاسلامية تستمد أكثر عناصرها من الأشكال الهندسية، ومن الرسوم النباتية التقليدية حينا، أو التى تقرب من الطبيعة حينا آخر. أما تصوير المخلوقات الحية فقليل الظهور، أما الكتابة فلا تلعب فى الزخرفة الطولونية دورا يستحق الذكر، كما وجدت فى الزخرفة الطولونية عناصر قديمة أو قبطية، اذ لا شك فى أن الفنون القديمة والبيزنطية هى المصدر الذى نقل عنه القبط كثيرا من أصول زخرفتهم.

على أيه حال، سنحاول ان نعرض فى الصفحات القادمة التغييرات التى طرأت على الفنون وزخارف بعض الصناعات كنتيجة طبيعية لطبيعة الحكم العربى الذى يدين بالديانة الاسلامية.

بالنسبة لزخارف النسيج:

فقد حذفت منها الشارات والرموز المسيحية مثل الصليب وغيره، وإن ظلت الزخارف القبطية غالبة على المنسوجات المصرية فى القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة ـ أى من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادى ـ وخير دليل على ذلك قطع المنسوجات التى عثر عليها فى بعض المدن بالوجه القبلى وفى الفسطاط وهى من الصوف او الكتان، وزخارفها متعددة الألوان، وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة، وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة. فلم تطبع صناعة النسج فى مصر بطابع اسلامى ظاهر إلا فى العصر الفاطمى (أى ابتداء من أواخر القرن العاشر الميلادى).

وكان العرب منذ الفتح يميلون فى الزخرفة الى العناصر الهندسية والنباتية لكرههم تصوير الانسان والحيوان، وكان هذا الميل نفسه قد بدأ فى الفنون القبطية منذ منتصف القرن الخامس الميلادى، فلم يجد المصريون صعوبة كبيرة فى إرضاء الفاتحين، وانتاج التحف الفنية التى تتفق ومزاجهم.

على أن النساجين القبط احتفظوا مدة طويلة فى العصر الاسلامى ببعض الموضوعات الزخرفية التى كان الروم قد نقلوها عن الفرس، كالدوائر المتماسة، أو المنعزلة، وكالحيوانين المتقابلين، أو اللذين يولى كل منهما الآخر ظهره، وتفصلهما شجرة الحياة المقدسة أو شجرة الخلد (Homa) ، التى نجدها فى كثير من الزخارف الايرانية.

وقد كان لحركة التعريب (التى تناولتها فى موضع سابق) دور هام فى تمييز النسيج الاسلامى عن القبطى، عندما ظهرت الكتابة العربية على المنسوجات منذ القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى.

وقد كانت الكتابة على النسيج بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان، وكان الغرض من هذه الكتابات على الأقمشة الملكية بيان الأمير الذى عملت باسمه، أو الشخص الذى خلعت عليه، اظهارا لرضاء الأمير، أو علامة على تولى احدى الوظائف الكبرى فى الدولة. وقد كانت الكتابات على الطراز تشمل اسم الخليفة وألقابه، وبعض عبارات الأدعية، وكثيرا ما كان يذكر فيها اسم المدينة التى فيها الطراز، واسم الوزير، وصاحب الخراج، وناظر الطراز.

ومن أمثلة ذلك قطعة من النسيج ـ فى مجموعة الأقمشة النفيسة بدار الآثار العربية ـ وجدت فى الفسطاط باسم الخليفة الأمين وعليها الكتابة الآتية: « بسم الله بركة من الله لعبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعته فى طراز العامة بمصر على يد الفضل بن ربيع مولى أمير المؤمنين ».

وفى دار الآثار العربية أيضا قطعة من الكتان الأبيض تشبه كثيرا الاقمشة القبطية، وعليها شريط من زخارف به جامات فيها طيور تقليدية ومنسوج على هذه القطعة بالخط الكوفى البسيط سطر بالحرير الأحمر نصه: « هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين ».

ومن العلامات كذلك التى ميزت النسيج الاسلامى عن القبطى، ظهور الشريط الزخرفى فى وضع أفقى بدلا من الوضع الرأسى.

ومن الملاحظ بوجه عام أن قوام التصميم فى الزخرفة كان شريطا أفقيا او أشرطة أفقية من الرسوم، توازيه أو توازيها أشرطة من الكتابة فى بعض الأحيان.

والخلاصة أن العرب فى هذه المرحلة، لم يغيروا شيئا فى الموضوعات الزخرفية التى كانت تزدان بها الاقمشة، إلا فيما يتعلق بالموضوعات الدينية المسيحية، فقد منعوها، كما أنهم حرصوا على أن يضيفوا الكتابة العربية الى العناصر الزخرفية القديمة. فزخرفة المنسوجات التى ترجع الى هذا العصر قبطية بحتة لا يفرقها شيء عن تلك التى نسجت قبل الاسلام، ولولا وجود الكتابة العربية عليها، لما تردد الانسان فى نسبتها الى العصر القبطى.

وفى العصر الطولونى كانت التقاليد الزخرفية القديمة والقبطية لاتزال تسود صناعة النسج، على أن هناك بعض قطع من النسيج عليها زخارف طولونية أوعراقية ظاهرة. وفى دار الآثار العربية قطع عديدة أغلبها سميك ومنسوج فيه رسوم طولونية المسحة. ويوجد فى المتاحف الكبيرة والمجموعات الأثرية فى مصر وفى البلدان الاجنبية قطع عديدة ترجع زخرفتها الى عصر الانتقال من الطراز القبطى الى الطراز الفاطمى، ويصعب فى بعض الأحيان تمييزها من القطع القبطية، بينما يندر وجود القطع التى عليها زخارف طولونية بحتة تجعل من اليقين نسبتها الى العصر الطولونى.

اما صناعة الخشب، فقد ورث الفن القبطى مهارة قدماء المصريين فى صناعة الخشب، ونقش الزخارف عليه. وتطورت هذه الصناعة على يد النجارين القبط الذين تأثروا بالفن البيزنطى، فزادت الزخارف فى مصنوعاتهم الخشبية زيادة أكسبتها رونقا وجمالا.على ان التقاليد القبطية فى صناعة الخشب أخذت تتطور شيئا فشيئا بعد الفتح الاسلامى حتى اصبحت فى العصر الفاطمى صناعة اسلامية حقة.

وقد وصلت الينا قطع خشبية ترجع الى عصر الانتقال بين الصناعة القبطية البحتة فى القرن السابع والصناعة الاسلامية فى القرن التاسع الميلادى، ونقوش هذه القطع مكونة من أوراق وعناقيد عنب وزخارف نباتية، وغير ذلك من النقوش التى امتاز بها الشرق الأدنى فى العصر المسيحى، وبعض القطع المذكورة لا نكاد نميزه عن القطع القبطية إلا بما عليه من كتابات عربية.

وفضلا عن ذلك، فلا يبعد أن يكون العرب فى مصر قد اتخذوا لأنفسهم شكل كثير من قطع الأثاث القبطية كالدواليب والموائد، ولعلهم أخذوا عنهم أيضا الكرسي الذى يحمل عليه المصحف، والذى يعرفه القبط باسم منجليه(أى محل الانجيل).

اما بالنسبة للتصوير، فقد اجمع المسلمون من سنيين وشيعيين على كراهية النحت وتصوير الأحياء، لما فيهما من تقليد الخالق عز وجل، ولما ورد فى الحديث من أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا تصوير، ومن أن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون، ومن أن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم.

ويذكر الدكتور زكى محمد حسن أن القرآن الكريم لم يأت فيه ما يحرم تصوير المخلوقات الحية أو عمل التماثيل لها، والآية التى كان يفهم منها خطأ أن التصوير محرم فى الاسلام هى قوله تعالى فى سورة المائدة: «ياأيُّهَا

الَّذِيَن آمنُوا إِنما الخَمْرُ والمَيسْرُ والأنصَابُ والأزلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». ولكن الواقع ان المقصود بكلمة «انصاب» في رأى المفسرين هو الاحجار الكبيرة أو الاصنام التى كان العرب يعبدونها ويقدمون لها القرابين. فليس في هذه الآية اذن أى تحريم للتصوير او عمل التماثيل.

اما بالنسبة للاحاديث التى نسبت الى النبى صلى الله عليه وسلم تحرم تصوير المخلوقات الحية أو عمل تماثيل لها، فان بعض العلماء فى العصر الحديث يعتقدون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفكر فى النهى عن التصوير، وأن التصويركان مباحا فى فجر الاسلام، وأن الاحاديث المنسوبة اليه في هذا الشأن غير صحيحة، وأنها فى الحق لا تمثل إلا الراى الذى كان سائدا بين علماء الدين فى بداية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، وهو العصر الذى كتب فيه صفوة العلماء الذين اشتغلوا بجمع الحديث.

ويرى الدكتور زكي محمد حسن أن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، ثم المتمسكين بالدين من الأمويين والعباسيين، نهوا عن تصوير الكائنات الحية ليحموا المسلمين من الأصنام والتماثيل والصور التى قد تقود البسطاء الى نسيان الخالق، أو الى اتخاذها وساطة يتوسل بها الى الله، أو الى عبادتها لذاتها. فقد أبعدوهم عن كل ما من شانه أن يقربهم الى عبادة الأوثان، فضلا عن أن الفقهاء كانوا يعتبرون عمل الصور والتماثيل محاولة غير لائقة لتقليد الخالق عز وجل. ولكن بعد أن بَعُد عهد العرب بالوثنية وزوال خطرها، فقد أفتى كثير من العلماء المحدثين ـ كالشيخ محمد عبده والشيخ عبد العزيز جاويش ـ بأن التصوير العلمى والفنى لايتعارض مع تعاليم الدين الحنيف. وعلى كل حال، فان الأحاديث المنسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم في تحريم التصوير كان لها أثر لا سبيل الى انكاره، سواء اكانت صحيحة أم غير صحيحة.

وهكذا فان الفن الاسلامى، بسبب خضوعه لتحريم التصوير، تخلى عن ميدانين عظيمين من ميادين العبقرية الفنية التى امتازت بها الفنون الأخرى،

لاسيما فنون الغرب التي ورثت الأساليب الفنية الاغريقية، وهذان الميدانان هما : النحت، وتصوير اللوحات الفنية على النحو الذى نعرفه في الفنون الأوربية وفنون الشرق الاقصى.

ومن هنا فان المساجد والأضرحة والعمائر الدينية عموما، وكل مايتصل بها من اثاث، وكذلك المصاحف، خلت فى زخارفها من رسوم الكائنات الحية، ولم تكن فيها صور أو تماثيل يستعان بها في توضيح تاريخ الاسلام وشرح العقائد الدينية وسيرة أبطال الملة، كما كان الحال فى الدين المسيحي.

على أن الأمر لم يخل من ظهور بعض الصور الاسلامية التى ترجع الى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر الميلادى (الثالث والرابع والخامس الهجرى)، وهى محفوظة الآن فى المكتبة الأهلية بفينا، وهى متأثرة بفن التصوير القبطى، وقد كتب عنها الدكتور جرومان وعلق عليها تعليقا علميا وافيا، وذكر ما فيها من شبه بالتصوير القبطي والحبشي.

كما لم يخل من ظهور بعض التماثيل التى اتخذت للزينة في القصور والبِرك وتفننوا فى عملها من الحجر والجص والذهب والفضة وغيرها .

ففي ترجمة عبد الله بن عبد السلام الشهير بابن أبي الرداد ـ المتولى مقياس النيل بمصر ـ أن الخليفة المتوكل على الله امر أحمد بن محمد الحاسب بعمارة المقياس بالجزيرة، فحكى ما عمله في ذلك، وما كتبه من الآيات الكريمة واسم الخليفة على مواضع من المقياس، وكان مما عمله تمثال سَبُع اقامه على احد الحيطان فيقول : « واتخذت مثال سَبُع من رخام ركبته فى وجه الحائط فويقة القناة المطل على النيل، على المقدار الذى اذا بلغ الماء ست عشرة ذراعا دخل الماء في فيه» .

وقد ذكر المقريزى أن باب الصلاة الذى كان يخرج منه أحمد بن طولون من قصره الى مسجده، كان يسمى ايضا باب السباع، لوجود أسدين من جبس عليه.

وبالنسبة لعمارة المساجد :

فقد كانت المساجد الأولى فى الاسلام بسيطة فى تخطيطها، تناسب شعائر الدين الجديد، فكانت قطعة الأرض تحاط بجدران اربعة، وكان السقف يقام على أعمدة مصنوعة من جذوع النخل، او ماخوذة من الاعمدة الحجرية فى المعابد والكنائس القديمة والمهجورة فى الأقطار التى فتحها العرب.

على ان عمارة المساجد لم تلبث ان دخلتها زيادات ثانوية قد يكون حدوثها تاثيرا مسيحيا. فكثيرون من العلماء يظنون أن المحراب مأخوذ عن الحنيّة التى توجد فى صدر الكنيسة، وغالبا الى جهة الشرق.

ويؤيد هذا الراى الدكتور زكى محمد حسن، على اعتبار أن مؤلفى العرب أنفسهم فطنوا الى أن المحراب متخذ من حنية الكنيسة. وكتب بعض علمائهم فى ذلك، فقد الف السيوطى رسالة سماها «إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب».

كذلك يظن بعض العلماء أن مآذن الجوامع الاسلامية مأخوذة عن ابراج الكنائس. وليس هذا الظن غريبا فى شىء - كما يقول الدكتور زكى محمد حسن - وإن كان الواقع أن المؤرخين وعلماء الآثار اختلفوا فى تحديدالتاريخ الذى أدخلت فيه المنارات او المآذن فى المساجد الاسلامية.

الباب الخامس

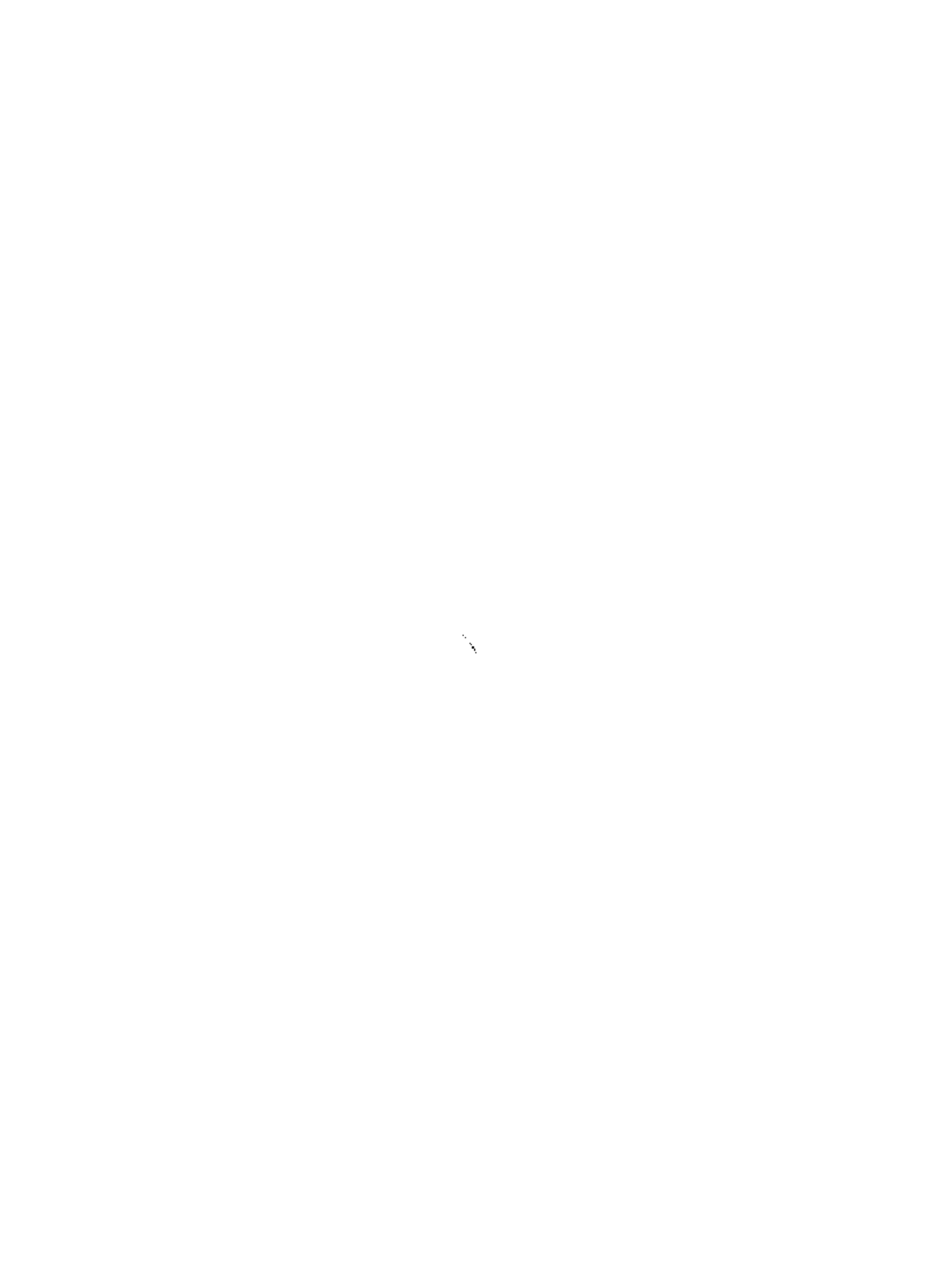
حركة البناء والتشييد فى المجتمع المصرى

- طبقة البنائين.

الفصل الأول : العمائر المدنية .

الفصل الثانى : العمائر الدينية.

الفصل الثالث : العمائر التجارية



طبقة البنائين

كان كل الذين يقومون ببناء العمارة الاسلامية فى مصر من معماريين وبنائين من أهالي البلاد، وهم الأقباط، فلم يشتغل العرب بالعمل بالبناء بعد فتحهم لمصر.

ولقد اشتهرت مهارة المصريين فى صناعة البناء حتى إن العرب لم يقتصروا على استخدامهم في بناء أبنيتهم في مصر، بل كثيرا ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ ما استخدموهم فى الأبنية التى أنشئت فى خارج مصر. ففي كتاب قرة بن شريك الى صاحب كورة اشقوة نراه يحدد أجر أحد العمال الذى سيرسل للعمل بجامع دمشق لمدة ستة أشهر. وفي كتاب أخر منه نراه يطلب عدة رجال من أماكن مختلفة للعمل فى بناء قصر الخليفة الوليد بن عبد الملك. وفي كتاب ثالث يطلب أحد العمال، ويحدد أجره للعمل لمدة ستة أشهر فى جامع بيت المقدس. ونجد كتابا أخر من قرة يختص بالنفقة على أربعين من مهرة العمال الذين استخدموا في بناء جامع دمشق. ونجد كتابا أخر يختص بالنفقة على الفعلة والعمال المهرة الذين يعملون فى جامع بيت المقدس وفي قصر أمير المؤمنين . وهناك كتب أخرى تختص بالصرف على العمال الذين يعملون فى بيت المقدس أو دمشق أو قصر أمير المؤمنين.

ويذكر البلاذرى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز، عامله على المدينة، يأمره بهدم المسجد وبنائه، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر، فبناه عمر بن عبد العزيز وزاد فيه، وكان ذلك فى سنة ٨٧ هـ/ ٧٠٥م، ويقال فى سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٦م.

ويبدو انه كان من العرف أن يعمل الصانع فى البناء طوال اليوم بلا انقطاع، وقد استمر هذا النظام سائدا حتى زمن أحمد بن طولون الذى حدد

ساعة انتهاء عمل صانع البناء بوقت العصر. واستمر هذا النظام، فيقول المقريزى : «ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء، وكان فى شهر رمضان، فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطارا لعيالهم وأولادهم؟ اصرفوهم العصر. فصارت سنة الى اليوم بمصر. فلما فرغ شهر رمضان قيل له : قد انقضى شهر رمضان، فيعودون الى رسمهم، فقال : قد بلغنى دعاؤهم، وقد تبركت به، وليس هذا مما يوفر العمل علينا».

الفصل الأول

العمائر المدنية

- العـــواصم والمدن .
- الجواسق (القصور) .
- المارســــتــــانات.
- الحـــمـــامـــات .
- مصانع الماء ـ الفسقيات ـ العيون ـ القناطر.

الفصل الأول :

العمائر المدنية

العواصم والمدن

كان من الطبيعى بعد فتح العرب لمصر ان يصطبغ كل شىء فيها بالصبغة العربية، وأن تتحول مصر من ولاية بيزنطية الى ولاية اسلامية فى مظهرها وجوهرها، وتتغير تبعا لذلك اهمية الحواضر والمدن، مع انتقال السيطرة من القسطنطينية فى اوربا الى المدينة فى شبه جزيرة العرب، فبعد ان كانت عاصمة مصر هى الاسكندرية، أصبحت هى الفسطاط.

وقد كان من أهم مظاهر هذا التغيير، هو الذى طرأ على بناء وتشييد المدن، وهو تغيير كان يواكب التغيير الذى طرأ على المجتمع المصرى، وتحول فيه تدريجيا من مجتمع يسكن فى مدن قبطية ويتعبد فى كنائس، إلى مجتمع اسلامى عربى يسكن فى مدن عربية، ويتعبد فى مساجد.

كان أول تغيير فى هذا الشأن هو الذى حدث ببناء الفسطاط على يد عمرو بن العاص فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، وانتقل به كرسى الحكم من مدينة الاسكندرية التى كانت حاضرة مصر لمدة تزيد على تسعمائة عام، ودار إمارة ينزل بها الأمراء والحكام، الى الفسطاط التى احتلت هذا المركز. ولم تزل على ذلك حتى بُنِى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه، وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما انشأ أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها، واتخذها الأمراء من بعده منزلا، إلى ان انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط واستمر ذلك حتى بنيت القاهرة فى عهد الدولة الفاطمية.

على أن الفسطاط ظلت المركز الأعظم للحياة المصرية، ولم تكن القطائع والعسكر فى الحقيقة سوى ضاحيتين أو امتدادا لها، مع أن الناس حينئذ كانوا يعتبرون العسكر مدينة قائمة بذاتها، كما اعتبروا القطائع بعد ذلك.

وسنتناول في الصفحات القادمة اختطاط كل من الفسطاط والعسكر والقطائع، ثم الجيزة وحلوان والعباسة.

أولا : الفسطاط :

عن سبب بناء الفسطاط يقول ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب : إن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها، همّ أن يسكنها، وقال : مساكن قد كُفيناها. فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء. قال : نعم ياأمير المؤمنين إذا جرى النيل. فكتب عمر الى عمرو بن العاص : إني لا أحب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف. فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط.

وفي رواية أخرى يقول ابن عبد الحكم إن عمر بن الخطاب كتب الى سعد ابن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى، والى عامله بالبصرة، والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية - أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء، متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت. فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط.

ويرى الدكتور حسن ابراهيم حسن أن تغير عاصمة مصر تحت الحكم العربي كان أمرا طبيعيا، لأن مدينة الاسكندرية لم تعد صالحة لأن تكون حاضرة مصر كما كانت منذ أيام الاسكندر، فلم يكن بد من أن تكون الحاضرة - على أثر انتقال مركز السيادة على مصر إلى بلاد العرب - إما على البحر الأحمر، وإما على نقطة تسهل منها المواصلات البرية، ولما لم تكن العرب أمة بحرية، لم يكن بد من أن يتخذوا حاضرتهم الجديدة في نقطة برية سهلة الاتصال ببلاد العرب، أضف الى ذلك حكمة عمرو في اختيار موقع الفسطاط، لأنه كان يستطيع من هذا الموقع أن يشرف على قسمي الديار المصرية شمالا وجنوبا، ثم لقربه من الطريق الى بلاد العرب.

هذا بالاضافة ـ كما يقول ستانلي لينبول ـ الى أن الخليفة عمر بن الخطاب ـ الذى لم يكن يحلم فى ذلك الوقت بتأسيس امبراطورية إسلامية شاسعة الأرجاء ـ كان مولعا بأن يكون على اتصال دائم بجيشه فى مصر، إذ كان ينظر إلى البلد التى تم له فتحها على انها بمثابة ثكنات للجيش اكثر مما كان ينظر إليها على أنها مستعمرة.

وعن اختيار موقع الفسطاط وسبب تسميتها بالفسطاط يقول ابن عبد الحكم: إن عمرو بن العاص عندما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم، أمر بنزع فسطاطه(خيمته)، فاذا فيه يمام قد فرّخ، فقال : لقد تحرم منا بمتحرّم، فأمر به، فاقره كما هو، واوصى به صاحب القصر، فلما قفل المسلمون من الاسكندرية، وقالوا : أين ننزل؟ قال : الفسطاط ـ لفسطاطه الذى كان خلفه بدار الحصى (الحصار كما يقول المقريزى)، عند دار عمرو الصغيرة اليوم.

وعن سبب تسميتها بالفسطاط يقول السيوطى عن ابن قتيبة : إن العرب تقول لكل مدينة : فسطاط ! ولذلك قيل لمصر : فسطاط. وذكر حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : عليكم بالجماعة، فان يد الله على الفسطاط. قال ابن قتيبة : الفسطاط المدينة.

اما بتلر فيرى أن الفسطاط مشتقة من لفظ «فساطه»، وهو لفظ رومانى «fossatum» كان شائعا فى وقت الفتح على العسكر، وكان الرومانيون فى حصن بابليون اذا ذكروا موضع عسكر العرب سموه الفساطوم، فأخذ عنهم العرب ذلك اللفظ .

وعن موقع الفسطاط يقول المقريزى : إعلم ان موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر، كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة، ينزل به المتولى على مصر من قبل القياصرة

ملوك الروم، عند مسيره من مدينة الاسكندرية، ويقيم فيه ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية.

ويقول ابن دقماق عن الفسطاط : هى مدينة مستطيلة على ضفة النيل الشرقية، تحط فى ساحلها المراكب، والفسطاط فى الاقليم الثالث، وبينها وبين مدينة القاهرة قدر ميلين.

وتدل أوصاف الخطط وتقدير الابعاد ـ كما يقول عبد الله عنان ـ على أن موقع الفسطاط القديمة، كان يشغل مسطحا طوله نحو خمسة الاف متر، حده من الشمال جبل يَشْكُر الذى يقع عليه جامع ابن طولون الآن، ومن الجنوب دير الطين (أو دير مار يوحنا)، وفى وسطه جامع عمرو، ممتدا على ضفة النيل مقابل الجزيرة التى تعرف الآن بجزيرة الروضة، وأن عرض هذا المسطح لم يكن يزيد على الف متر لأن النيل حدّه الغربى. وكان مجرى النيل يومئذعلى ما يظهر أقربْ الى الفسطاط من موضعه الحالى.

وعن اختطاط الفسطاط تذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص قد اختط موضع الفسطاط داره وامر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض. وعندما تنافست القبائل بعضها الى بعض فى المواضع، ولى عمرو بن العاص على الخطط ـ كما ذكرت فى فصل سابق ـ معاوية بن حديج التجيبى، وشريك بن سمى الغطيفى بن مراد، وعمرو بن قحزم الخولانى وحيويل بن ناشرة المعافرى، فكانوا هم الذين انزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل، وذلك فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م.

ويرى محمد عبد الله عنان أنه بتوزيع «الخطط» بين قبائل العرب يبدأ قيام الفسطاط كقاعدة ومدينة اسلامية. وقد نسبت المدينة الى عمرو بن العاص، فقيل : فسطاط عمرو، وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر، فاتخذوها سرير السلطنة.

ويرى محمد عبد الله عنان انه لم يتح للفسطاط فى عصورها الأولى، ما اتيح لغيرها من قواعد الاسلام من الضخامة والبهاء، لأنها لبثت خلال القرنين الأولين للهجرة، عاصمة لاقليم فقط من أقاليم الخلافة، ومنزلا للحكام المحليين، وقاعدة عسكرية لفتوح أخرى فى الغرب والجنوب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان السبب يرجع ايضا ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ الى عيشة الخشونة التى كانت تغلب عليهم فى أول الأمر، ثم مالبث الرخاء أن طغا عليهم، وتدفقت الثروة إليهم من كل جانب فبدأوا ينزعون عنهم عيشة البساطة، وينعمون فى حياتهم ومساكنهم.

وسنعرض الآن وصف الرحالة والمؤرخون العرب للفسطاط لنتبين مدى عظمتها. يقول ابن حوقل :«والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد، ومقدارها نحو فرسخ، على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة، ذات رحاب فى محالّها، واسواق عظام ومتاجر فخام، وممالك جسام الى ظاهر أنيق، وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الأيام خضرة ».

ويقول ايضا : «والدار تكون بها طبقات سبعا وستا وخمس طبقات، وربما سكن فى الدارالواحد المائتان من الناس».

وقبل أن نعرض لاسماء بعض الدور فى الفسطاط وموقعها واسماء الأزقة والشوارع، نقول :إن معظم الدور فى الفسطاط فى باديء الأمر، كانت ذات طابق واحد، اذ لم يكن هناك داع للارتفاع بالمسكن راسيا، لتوافر المساحة الأفقية، كما أن عدم موافقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على بناء غرفة، أرادها خارجة بن حذافة فوق داره، تؤكد لنا هذا الأمر.

كانت أول دار بنيت فى الفسطاط هى **دار عمرو بن العاص** : مكان فسطاطه، وهى اليوم عند باب المسجد.

دار عبد الله بن عمرو بن العاص : عند المسجد الجامع، وهى دار كبيرة بناها بنفسه وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى. وهذا الوصف

يدل على مدى اتساعها بحيث كان يسمح ببناء قصر بداخلها، كما يدل على بساطة تخطيطها على نسق الكعبة فى بداية أمر بنائها.

دار القَنْد : وهى خطة خارجة بن حذافة بن غانم العدوى من الصحابة، وتقع فى غربى دار البركة مع زقاق الأقفال. وكان خارجة أول من ابتنى غرفة بالفسطاط. فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إلى عمرو أن ادخل غرفة خارجة، وانصب سريرا، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن اطَّلع من كُوَاها فاهدمها. ففعل ذلك عمرو، فلم يبلغ الكوى، فأقرها.

وفي رواية ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص: «سلام، أما بعد، فانه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه فاذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء الله. والسلام».

دار البِرْكة : وهى دار بناها عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب عند المسجد الجامع، إلا أن عمر بن الخطاب رفض وارسل اليه يقول : «انّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر؟ وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين». فجعلت سوقا يباع فيها الرقيق - كما ذكرت فى موضوع الأسواق.

دار العُمُد : التى اختطها أبو ذرّ الغِفارى[1]، وكان لها بابان : فى زقاق القناديل، والباب الآخر مما يلى دار بركة.

دار النَخْلة : وهى كانت لكعب بن يسار بن ضِنّه العبسى.

دار السلسلة : فى غربى المسجد، وقد بناها عمروبن العاص حين قدم عليه من بنى سهم مَن لم يكن شهد الفتح.

---

(١) أبو ذر الغفارى واسمه جُندب بن جُنادة. أسلم قديما بمكة، وكان من فضلاء الصحابة ونبلائهم وقرائهم. شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه عشرون حديثا، وقد سكن مصر مدة، ثم خرج منها. توفى بالربذة عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م.

دار بني جُمح : وكان مكانها بركة يجتمع فيها الماء، فقال عمرو بن العاص، خطوا لابن عمي الى جانبي يُريد وهب بن عُمير الجمحي، وهو ممن شهد الفتح فردمت وخطت له.

دار الحَنية ودار الموز: وهما لعبد الله بن سعد بن ابي سرح، اما قصره الكبير المعروف بقصر الجن فقد بناه بعد ذلك في خلافة عثمان بن عفان(٢٤ ـ ٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٥م) وقد امر ببنائه حين خرج إلى المغرب لغزو افريقية.

دار الفلفل : وهي في قبلة المسجد الجامع، وقد اختلف المؤرخون في مالكها، فمنهم من قال : إنه قيس بن سعد بن عبادة عندما ولي البلد من قبل علي بن أبي طالب، ومنهم من قال : إنها لنافع بن عبد القيس، ومنهم من قال : إنها لعقبة بن نافع فأخذها قيس بن سعد منه، ومنهم من قال : إنها لسعد ابن ابي وقاص.

على اية حال، فقد سميت بدار الفلفل، لأن أسامة بن زيد التنوخي عندما كان على خراج مصر، إبتاع من موسى بن وردان فلفلابعشرين الف دينار بامر من الخليفة الوليد بن عبد الملك، ليهديه الى صاحب الروم، فخزنه في هذه الدار.

دار الرمل : ويقول عنها ابن عبد الحكم إن عقبة بن عامر قد بناها لرَمْلة بنت معاوية،فكتب اليه معاوية يقول : لا حاجة لنا بها، فاجعلها للمسلمين. وبرملة سميت دار الرمل، لانهم كانوا يقولون : دار رَمْلَة فحرفت العامة ذلك، وقالوا دار الرمل. وهناك راى اخر يقول : إنما سميت دار الرمل لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب.

الدار البيضاء : وقد اختطها عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوى، ويقال : بل كانت الدار البيضاء صَحنًا بين يدى المسجد ودار عمرو بن العاص، موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد، حتى قدم مروان بن الحكم مصر في سنة

٦٥هـ/ ٦٨٤م، فبناها لنفسه دارا، وقال : «ما ينبغي للخليفة أن يكون ببلد ليس له بها دار». فبنيت له في شهرين.

الدار المذهبة : وهي غربي المسجد الجامع بسوق الحمام، وقد أمر ببنائها عبد العزيز بن مروان سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م عندما كان واليا على مصر، ويبدو أنها عرفت بدار الذهب لأنه جعل لها قبة مذهبة، يقول عنها القلقشندي : اذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره. كما كانت تعرف «بالمدينة»، لسعتها وعظمتها، فقد كان يصب لمن فيها في كل يوم أربعمائة راوية ماء، وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يخبز بها عجين أهلها.

دار ابن رمانة : وقد بناها عبد العزيز بن مروان لابن رمانة، فيقول ابن عبد الحكم : كان ابن رمانة مع عبد العزيز بن مروان في الكتّاب، وكان عبد العزيز قد وهب لابن رمانة خاتما كان له، فلما صار عبد العزيز الى ما صار اليه قدم عليه ابن رمانة من الحجاز، وأخرج له الخاتم فعرفه، وبنى له هذه الدار.

دار بدر الخفيفي : غلام ابن طولون وكانت بالفسطاط، ويقال إن أحمد ابن طولون هو الذي بناها، وقيل اشتراها له، ثم سخط عليه واتهمه بمكاتبة الموفق فقتله بالسياط.

دار المرصدي : وهي التي عند البزازين، وتعرف بدار تحرير الخاصة، كان كافور أمير مصر يسكنها قبل انتقاله الى دار الحرم. ويقال إن بانيها هو محمد بن أحمد الأعور الماذرائي المتوفى سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.

دار الفيل : هي الدار التي على بركة قارون، وكان كافور أمير مصر قد اشتراها، وبنى فيها دارا، ذكر أنه انفق فيها مائة الف دينار، وقد سكنها في رجب عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م الى ان مات ودفن بها. وقيل إنه لم يسكن فيها إلا عدة أيام، حتى عمّروا له دار خمارويه المعروفة بدار الحرم فانتقل اليها

وسكنها عـام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م وأقـام فـيـهـا عشـر سنين الى أن توفى عـام ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م. وقيل إن سـبب انتقاله من دار الفيل بخار البْركة، وقيل وباء وقع في غلمانه، وقيل ظهر له بها جان.

دار الضـيـافـة : يذكر المقريزى أن أول من بني دارا للضـيـافـة بمصـر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمي أحد من شهد فتح مصر من الصحابة. وكان ميدان القصر الغربي الذى هو الآن الخرنشف، دار الضيافة بحارة برجوان. وكان أول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره.

هذه اسـماء بعض الدور التى بناها العرب بالفسطاط ومنها يتضح أن الفسطاط كانت مدينة عربية يسكنها العرب فقط.

يقول المقريزى فى كتابه : إن الفسطاط كان به ثمانية آلاف شارع مسلوك، وعند وصف أزقـة الفسطاط وشـوارعها يقول:«وازقة الفسطاط وشوارعـهـا ضيقة».

وعن الدروب التى بالفسطاط يذكر ابن دقمـاق أنه كان بالفسطاط درب يعرف «بدرب المعاصر»وموقعه بالمصـاصـة على يسـرة من سلك من سويقة اليهود الى «درب محـرس بنانه»، وكان هذا الدرب (أى درب المعاصر) يسكن به «أكابر أعيان المصريين»، مما يشير الى أنه كان من الأحياء الراقية.ومن الدروب ايضـا «درب السراجين»، و«درب دار حوى» و«درب الزجاج».

ومن الأزقـة التى كـانت بالفسطاط «زقـاق القناديل»[٢]، ويذكـر ابن عـبـد الحكم أن زقاق القناديل كان يقال له «زقاق الأشـراف» لأن عمرا بن العاص كان على طرفه مما يلى المسجد الجامع .وكان يوجد بالفسطاط ايضـا «زقاق

---

(٢) عرف بهذا الاسم لانه كان به منازل الاشراف، وعلى ابوابهم قناديل، وقيل: إنما قيل له زقاق القناديل، لأنه كان برسمه قنديل يوقد على باب عمرو بن العاص .

البلاط»، و«زقاق عبد الملك بن مَسْلمة »و« زقاق السمي»، و«زقاق المكي»، و «زقاق ابن رفاعة»، و«زقاق أبي حكيم»، و«زقاق وردان»و«زقاق أشهب» »و «زقاق حَمْد بن غافق»و «زقاق الموزة»، و «زقاق الأقفال»، و «زقاق ابن لؤلؤ» وكان لؤلؤ من قواد الاخشيد، وكان هذا الزقاق يقابل «زقاق الكلبي»، «وزقاق الروّاسين».

ثانيا : العسكر :

لما سقطت الدولة الأموية وجاءت دولة بني العباس، اختط العباسيون مدينة العسكر فقد فر بنو أمية الى مصر وعلي راسهم مروان بن محمد آخر خلفائهم، فتتبعتهم جيوش بني العباس الى مصر بقيادة صالح بن علي بن عبد الله عباس، وأبي عون عبد الملك بن يزيد، فظفرت به. وقد بنوا في الموضع الذي عسكروا فيه مدينة، فسميت لذلك بالعسكر، وكان ذلك عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. ويذكر المقريزي ان هذا الموضع كان في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى، وهي كما تقدّم : خطة بني الأزرق، وخطة روبيل، وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم، ثم دثرت هذه الحمراء، وصارت صحراء، وعندما جاءت جيوش العباسيين عسكروا فيها، وبنوا فيها مدينة سميت بالعسكر.

وكان اختاط العسكر ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ إما لرغبة العباسيين في أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق اليه غيرهم، وإما لأن مروان ابن محمد كان قد أضرم حريقا خرب جانبا كبيرا من الفسطاط، كما يقال في بعض الروايات.

وقد بنى أبو عون فيها دارا للامارة، كما بنى مسجدا عرف بجامع العسكر، كما كانت مقرا للشرطة، وقيل لها الشرطة العليا.

وكانت العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة، وفيها بنى أحمد بن طولون بيمارستانه، كما بنى الجامع المعروف باسمه علي جبل يشكر. ولما

بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر، وكانت عمارة عظيمة كما يقول المقريزى.

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر الى جانب دار الامارة :

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها في سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة.

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة أحد ولاة مصر(١٩٤ ـ ١٩٥هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٠م) من قبل الخليفة الأمين محمد ـ على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين. وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء.

ثالثا : القطائع :

استمر أحمد بن طولون بدار الامارة التى بالعسكر حتى كثرت عساكره وعبيده، وضاقت بهم مدينة الفسطاط، فأمر بحرث قبور اليهود والنصارى التى كانت فى سفح جبل يشكر، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط وسماها «القطائع» وذلك فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م. وقد سميت كل قطيعة باسم من سكنها، سواء ممن تجمعهم رابطة الجنسية أو رابطة العمل. «فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم، وبنى القواد مواضع متفرقة».

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن أحمد بن طولون كان حكيما فى إنشاء القطائع، فقد أمكنه بذلك ابعاد جيشه غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية، وتجنب بذلك ما كان ممكنا حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من سواد الشعب، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم فى بغداد، وكان سببا فى انشاء سامرا.

كما يرى الدكتور زكي محمد حسن أن تخطيط مدينة القطائع أو اسمها لم يكن غريبا، اذ كان يشبه الى حد كبير تخطيط سامرا، كما كان يطلق اسم القطائع على مدينة سامرا التى بناها المعتصم، اللهم إلا القصور الملكية.

وعن موقع القطائع ومساحتها يقول أبو المحاسن : وكان موضعها من قبة الهواء، التي صار مكانها الآن قلعة الجبل، الى جامع ابن طولون وهذا طول القطائع، وأما عرضها فانه كان من أول الرُمَيْلة من تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف الآن (أى فى زمان أبى المحاسن) بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين، وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل. وكان تحت قبة الهواء قصر ابن طولون، وموضع هذا القصر الميدان السلطانى الآن تحت قلعة الجبل بالرميلة. وكان موضع سوق الخيل والحمير والبغال والجمال بستانا . ويجاورها الميدان الذى يُعرف اليوم بالقُبَيْبَات، فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى أنشأه أحمد بن طولون المعروف به، ويجوار الجامع دار الامارة فى جهته القبلية، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمُصلّى الأمير الى جوار المحراب، وهناك دار الحرم.

وقد عمرت القطائع «عمارة حسنة» كما يقول البلوى، وتفرقت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد الحسان، والطواحين. والحمامات والأفران، وسميت أسواقها، فسمى منها : سوق العيارين، يجمع فيه البزازين والعطارين، وسوق الفاميين، يجمع فيه الجزارين والبقالين والشوائين. وكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة وأكثر وأحسن.وسوق الطباخين، يجمع فيه الصيارفة والخبازين وأصحاب الحلواء. ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوق حسن عامر. «فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن».

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية على النحو الآتى :

قصر احمد بن طولون :

وعن وصف قصر أحمد بن طولون تقول المصادر العربية : وبنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه، وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة، فسمى القصر كله الميدان من أجل الميدان، فكان كل من أراد الخروج من صغيرأو كبير اذا سئل عن ذهابه يقول: الى الميدان، وقد عمل للميدان أبوابا وسمى كل باب منها باسم وهى: باب الميدان، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وقد ذكر البلوى فى كتابه أن باب الميدان كان يسمى ايضا باب الصوالجة، فى حين أن المقريزى عد باب الصوالجة من ضمن أبواب القصر، على أية حال فقد كان يوجد ايضا باب الخاصة، لا يدخل منه إلا خاصته. وباب الجبل لانه كان مما يلى المقطم. وباب الحرم لا يدخل منه الا خادم خصى أو حرمه. و باب الدرمون سمى باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرمون لانه كان رجلا أسود، عظيم الخلقة، يتقلد النظر فى جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط .

وباب دعناج سمى باسم حاجب كان عليه يقال له دعناج. وباب الساج عرف بذلك لانه كان مصنوعا من خشب الساج. وباب الصلاة فى الشارع الأعظم، كان يخرج منه الى الجامع الذى بناه، وهو يعرف أيضا بباب السباع لانه صور عليه سبعين من جبس. وكان الطريق الذى يخرج منه أحمد بن طولون، وهو الذى يعرج منه الى القصر، طريقا طويلا، فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كأكبر مايكون من الأبواب، وكانت متصلة بعضها ببعض، واحد بجانب الآخر. وكان احمد بن طولون اذا ركب لعيد او لغيره يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة، ويخرج ابن طولون من الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة، لا يختلط به أحد، فتلك السكة الى اليوم تسمى ثلاثة ابواب، ومن هذه الأبواب واحد قائم الى اليوم، ودخل البابان الاخران فى بناء الناس لما خربت القطائع.

وكانت أبواب قصره التى ذكرناها، تفتح يوم عرض الجيش، أو يوم عيد، أو يوم صدقة، أما سائر الأيام فانها تفتح في وقت وتغلق في وقت .

وكان لاحمد بن طولون في قصره مجلس يشرف منه يوم العرض ويوم الصدقة، لينظر من أعلاه من يدخل ويخرج، وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع .

وقد بُنى على باب السباع مجلسا يشرف منه ليلة العيد على القطائع، ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم، فاذا رأى في حال احد منهم نقصا او خللا أمر له في الوقت بما يتسع له ويزيد فى تجمله، وكان يشرف منه أيضا على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط.

بيت الذهب

بُنى في زمن خمارويه بن أحمد بن طولون، ويحدثنا المقريزى عن جدرانه انها كانت مطلية بطبقة من الذهب، فيها نقوش اللازورد، وجعل فيه، على مقدار قامة ونصف، صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير، وأبهج تزويق، وجعل على رؤسهن الأكاليل من الذهب الخالص، والكوادن[٣] المرصعة بأصناف الجواهر، وفي آذانها الأجراس الثقال الوزن، المحكمة الصنعة، وهى مسمرة فى الحيطان ولونت أجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة. فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا.

---

(٣) الكودن جمع كوادن: البرذون الهجين .

بركة الزئبق:

وجاءت في وسط بيت الذهب، وكان خماريه قد شكا الى طبيبه كثرة السهر، فقال له تأمر بعمل بركة من الزئبق! فعملت بركة - كما يقول المقريزى - يقال إنها خمسون زراعا طولا في خمسين زراعا عرضا، وملأها من الزئبق! فأنفق في ذلك أموالا عظيمة، وجعل فى أركان البركة سككا من الفضة الخالصة، وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة، وعمل فرشا من أدم يحشى بالهواء حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدّه، ويلقى على تلك البركة الزئبق، وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة، وينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يتحرك بحركة الزئبق مادام عليه، وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به، فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق، وقد اقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة.

الدكة:

وقد بنى خمارويه فى القصرايضا قبة تضاهى قبة الهواء سماها «الدكة» فكانت احسن شيء بنُى كما يقول المقريزى - وجعل لها الستر التى تقى الحرو البرد، فتسبل اذا شاء وترفع اذا أحب، وفرش أرضها بالفرش، وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره، ويرى الصحراء والجبل وجميع المدينة .

دار الحرم:

وبنى خمارويه ايضا دار الحرم، ونقل اليها امهات أولاد ابيه مع أولادهن، وجعل معهن المعزولات من امهات أولاده، وأفراد لكل واحدة حجرة واسعة، وقد تكلف بناوها وأجرة الصناع سبعمائة الف دينار.

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب، فى أيام الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠١ ـ ٩٠٧م)، حنقا على بنى طولون عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م، وابقى الجامع .

وسنتناول الآن بناء كل من مدينة الجيزة وحلوان والعباسة.

اولا: الجيزة.

وهى مدينة اسلامية بنيت فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، وقيل فرغ من بنائها سنة ٢٢هـ/ ٦٤١م، وعن سبب بنائها والقبائل التى سكنتها انظر الموضوع الخاص بالقبائل العربية .

ثانيا : حلوان .[٤]

وعن سبب بنائها تذكر المصادر العربية أنه عندما وقع بمصر طاعون فى سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م خرج والى مصر عبد العزيز بن مروان من مصر، ونزل بحلوان، فاعجبته، فاتخذها سكنا ، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط، وبنى بها الدور والمساجد، وعمرها أحسن عمارة، وبنى بها دارا للامارة وكان عبد العزيز بن مروان قد اشتراها من القبط بعشرة الاف دينار.

ثالثا: العباسة .

وهى تقع شمالى بلبيس على نحو مرحلة منها، وهى محدثة سميت باسم عباسة بنت أحمد بن طولون، عندما خرجت مودعة بنت أخيها قطرالندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون لتتزوج المعتضد، فضربت عباسة فساطيطها بهذا الموضع، ثم بنيت به قرية وسميت عباسة باسمها.

---

(٤) تعرف الان باسم حلوان البلد، وهى تابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة. وهى من اقدم القرى التى انشاها العرب فى مصر، واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل، غربى مدينة حلوان الحمامات بمقدار ثلاثة كيلو مترات وجنوبى القاهرة على بعد عشرين كيلو مترا من مصر القديمة.

دار الامارة:

يجدر بنا بعدما تعرضنا لنشأة المدن الاسلامية الجديدة في مصر الاسلامية تحت الحكم العربي، أن نشير الى دار الامارة التي كانت مقرا للأمراء ينزلونها في هذه المدن، سواء كانت بالفسطاط أو العسكر أو القطائع أو حلوان.

تذكر المصادر العربية أن الامراء لم يكن لهم في بادىء الأمر بالفسطاط مقر معين، أو دار للامارة مخصوصة، فنزل عمرو بن العاص، أول أمراء مصر، بداره التي بالقرب من الجامع، وظل الأمراء من بعده ينزلون بداره الى اخر الدولة الأموية عندما تولى عبد العزيز بن مروان ولاية مصر في خلافة اخيه عبد الملك بن مروان، فقد بنى دارا عظيمة بالفسطاط عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م وسماها دار الذهب - كما ذكرنا. فكان عبد العزيز ينزلها، ثم نزلها بنوه بعده. غير أن المصادر العربية تشير الى انه في ولاية عبد العزيز بن مروان تعرضت مصر لطاعون وقع بها سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م - كما ذكرت سابقا. كان من أثره أن رحل الى حلوان وبنى فيها دار للامارة سكنها. على ايه حال فيبدو لنا أن هذه الدار كانت مؤقته حتى انتهاء الطاعون أو انتهاء مدة ولايته.

وعندما بنيت العسكر في ولاية علي بن صالح بن علي الهاشمي في خلافة السفاح أول خلفاء بني العباس، ابتنى فيها دارا للامارة ونزلها. وكان لهذه الدار بابان - كما يذكر البلوى - احدهما بالحارة المعروفة بحوض ابي قديرة (أو ابن قديد كما يقول ابن دقماق) والمعروف الى اليوم بباب الخاصة، وبابها الأخر الملاصق للشرطة الفوقانية، وكان باب الشرطة ايضا أحد ابوابها، وكانت كلها دارا واحدة، ولها باب الى المسجد الملاصق للشرطة .

وقد صارت هذه الدار منزله للأمراء بعده حتى ولاية يزيد بن حاتم لمصر، فقد كتب اليه الخليفة أبو جعفر المنصور يأمره بأن يتحول من العسكر الى الفسطاط وكان ذلك في عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، وقد استمر هذا الوضع حتى قدم أحمد بن طولون اميرا على مصر، فنزل بدار الامارة التي بالعسكر،

والتي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان بن محمد وقتله، ثم تحول منها الى قصره بالقطائع عندما بنى وذلك فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

وكانت دار الامارة التي بناها أحمد بن طولون بجوار جامعه ـ كما يقول المقريزى ـ في الجهة القبلية منه، وكان لها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر. وقد جعل في هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرش والستور والالات ، فكان ينزل بها اذا ذهب الى صلاة الجمعة، فانها كانت تجاه القصر والميدان، فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه .

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن تفكير احمد بن طولون في ترك دار الامارة التي بمدينة العسكر، او التي في الفسطاط يمثل اتجاهه الجديد في الاستقلال بمصر، وفي رغبته في منافسة بلاط العباسيين.

وعندما تولى خمارويه بن أحمد بن طولون مصر بعد أبيه، حُول دار الامارة التي بالعسكر ـ كما تذكر المصادر العربية ـ ديوانا للخراج.

وقد ظل أمراء الدولة الطولونية ينزلون بالقصر الذي بناه أحمد بن طولون، حتى سقطت الدولة الطولونية على يد محمد بن سليمان الكاتب، الذي هدم القصر، كما هدم ايضا دار الامارة التي بالعسكر ـ أو كما تقول المصادر العربية فرقت «حجرا حجرا» .

لذلك عندما تولى مصر محمد بن سليمان (٢٩٢ هـ / ٩٠٤م)، سكن دار بدر الخفيفي غلام أحمد بن طولون ، وكانت بالفسطاط ـ كما ذكرت سابقا ـ ثم سكنها عيسى النوشرى أمير مصر بعده (٢٩٢ ـ ٢٩٧هـ/ ٩٠٤ ـ ٩٠٩م)، فأصبحت منزلة للأمراء، إلى أن ولى الاخشيد مصر، فزاد فيها وعظمها، وعمل لها ميدانا، وجعل لها بابا من حديد وذلك في عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م. وقد ظلت منزلة للأمراء إلى أن جاءت الدولة الفاطمية وبنيت القاهرة .

الجواسق (*)

ومن الجواسق التى بالقرافة :

جوسق بنى عبد الحكم : كان جوسقا كبيرا له حوش ، وكان فى وسط القرافة بحضرة مسجد بنى سريع الذى يقال له الجامع العتيق، وهو أحد الجواسق الثلاثة. وهو جوسق عبد الله بن عبد الرحمن الفقيه الامام.

جوسق المادرائى : هذا الجوسق ـ كما يقول المقريزى ـ لم يبق من جواسق القرافة غيره، وهو جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان فى بحريه، على جانبه الممر من مقطع الحجارة. بناه ابو بكر محمد بن على المادرائى فى وسط قبورهم من الجبانة، وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الأعياد، ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ، ويتحلق القراء حوله لقراءة القرآن . فيمر للناس هنالك أوقات فى تلك الليلة وفى الاعياد بديعة حسنة .

(*) الجَوْسَق جمع جواسق وجواسيق : وهى كلمة فارسية ، بمعنى القصر . قال ابن سيده: الجوسق الحصن، وقيل هو شبيه بالحصن، معرب. وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط: الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور.

المارستان (بيت المرضى)

تميزت المدن العربية في مصر ببناء المارستانات، فلم تكن موجودة قبل الفتح العربي، وإنما استحدث بناؤها بعد الفتح، وهذا يدل على عناية الدولة الإسلامية بصحة رعاياها. وكان الوليد بن عبدالملك هو أول من بنى المارستان في الإسلام في عام ٨٨هـ/٧٠٦م - كما يقول المقريزي - وجعل فيه الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق.

وقد بُني في مصر عدد من المارستانات، وهذه المارستانات هي:

البيمارستان أو المارستان العتيق :

المارستان العتيق بمصر ويعرف بالأعلى، أنشأه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م وقيل في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م، وهو أول مارستان أنشيء بمصر. وعن موقعه يقول المقريزي: «وهذا المارستان موضعه الآن في أرض العسكر، وهي الكيمان والصحراء التي فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح، وفيما بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر، وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر، وقد دُثر هذا المارستان».

ويقول البلوى إن مبلغ ما انفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار.

وقد كان لهذا المارستان أوقاف كثيرة، فقد حبس عليه دار الديوان والقيسارية وسوق الرقيق، حتى قيل كان له في كل يوم من المصروف الف دينار.

وقد شرط في المارستان أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك.

وقد أدخل أحمد بن طولون في هذا المارستان ضروبا من النظام جعلته في مستوى أرقى المستشفيات في الوقت الحاضر - كما تقول الدكتورة سيدة كاشف. فقد اشترط على أنه « إذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته،

وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثيابا ويفرش له، ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف، وأعطى ماله وثيابه» كما عمل بالمارستان حمامين احداهما للرجال والآخر للنساء.

ويبدو أنه كان لهذا المارستان عيادة خارجية (كما في الوقت الحاضر)، إلا أنها كانت في يوم معين من الاسبوع، ومخصصة للفقراء فقط فيقول ابن اياس: «وكان يجلس على باب المارستان فى كل يوم جمعة طبيبان برسم الفقراء».

وعن خزائن الأدوية يقول البلوى: ان المارستان كان يضم فى «خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة، والدرياقات المعروفة التى ليست إلا فى خزائن الملوك والخلفاء، فلم يكن يُعدم فى مارستانه شىء من الأدوية ولا العقاقير الرئيسية، مثل : دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله، واشترى له المستغلات النفيسة التى يفى بعضها بجميع حوائجه». وقد أقام أحمد بن طولون على هذه الخزائن خادما أسود خصيا.

ولقد بلغ من عناية أحمد بن طولون بهذا المارستان وحرصه على راحة المرضى أنه كان يقوم بالاشراف عليه بنفسه، فيمر كل يوم جمعة عليه، يتفقد خزائنه وما فيها والأطباء، وينظر إلى المرضى والمحبوسين من المجانين. ويقال إنه لم يعاود الاشراف عليه مرة أخرى بعد تعرضه للموت على يد أحد المجانين، عندما أخبره أنه ليس مجنونا، وانه يتمنى أن يأكل رمانة عريشية، فأمر له بها، فعندما أخذها غافله ورمى بها فى صدره، فنضحت على ثيابه، ولو كانت قد تمكنت منه لأتت عليه.

مارستان كافور :

ويعرف بالمارستان الأسفل، وقد بناه الخازن بأمر من كافور القائم بتدبير دولة الأمير ابى القاسم أنوجور بن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة

٣٤٦هـ/٩٥٧م. وقال القضاعي إن أمير مصر حبس جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت على هذا المارستان والميضاتين والسقايتين وأكفان الموتى.

وذكر شيوخ المصريين المؤرخين أن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصيني الكبار، والبراني، والقدور النحاس، والهواوين، والطشوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة الاف دينار. وقد نقل إليه من المارستان الأعلى الذي بناه ابن طولون أضعاف ذلك.

مارستان في زقاق القناديل :

وقيل أنه كان في عصر الولاة مارستان في زقاق القناديل دار أبي زبيد.

مارستان المغافر :

وهذا المارستان كان في خطة المغافر التي موضعها ما بين العامر من مدينة مصر، وبين مصلى خولان التي بالقرافة. بناه الفتح بن خاقان في أيام المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/٨٤٦ - ٨٦١م) وقد باد أثره.

الحمامات

كانت المدن الإسلامية تزود بحمامات. مفردها حمام. وهي في معناها اللغوي تعني الماء الحار. وهي ليست من ابتكار المسلمين. كما يقول الدكتور عبد المنعم ماجد ـ ولكنها أخذت من الشعوب التي كانت قبلهم وبخاصة اليونان، فحينما دخل العرب الاسكندرية، وجدوا فيها آلاف الحمامات. وقد دخل الحمام ضمن نظام الإسلام منذ عهد مبكر لارتباطه على الخصوص بفريضة الوضوء، بحيث أن الفقهاء اعتبروه من الأماكن الدينية، فنص الإسلام على النظافة، واعتبرها من جوهر العقيدة.

وتذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما فتح الاسكندرية وجد بها أربعة آلاف حمام. وكان بالفسطاط كما يذكر المقريزي ألف ومائة وسبعون حماما. ويقول ابن اياس: إن مدينة تنيس كان بها ثلاثون حماما.

وقد كان يقوم بالخدمة في هذه الحمامات عمال أو (بلان) كما يقول ابن دقماق، ويورد لنا ابن دقماق قصة عن دخول أحد الأشخاص أحد الحمامات في زمن خمارويه بن أحمد بن طولون، يظهر منها أن عدد العمال المشتغلين في أحد الحمامات في مصر في تلك الفترة، قد بلغ سبعين عاملا، كما يظهر لنا نظام الخدمة في الحمامات والتي توضح ضغط العمل حتى إن العامل يضطر إلى خدمة اثنين أو ثلاثة معا فيقول:

كان بالفسطاط في جهته الشرقية حمام من بناء الروم، أدركتُها عاملة زمن أحمد بن طولون، وكانت ملكا لنجح الطولوني أحد قواد خمارويه، ثم توفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م فانتقلت لديوان خمارويه. قال: فدخلتها في زمن خمارويه سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، وطلبت بها صانعا يخدمني، أي بلانا، فلم أجد فيها صانعا متفرغا لخدمتي، وقيل لي إن كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة، فسألت: كم فيها من صانع؟ فأخبرت أن بها سبعين، أقل من معه ثلاثة. سوى من قضى حاجته وخرج، قال: فخرجت، ولم أدخلها لعدم من

يخدمني بها، ثم طفت غيرها، فلم اقدر على من اجده فارغا إلا بعد أربعة حمامات، وكان الذي خدمني معه ثان، وإنها الف ومائة وسبعون حماما.

كما كان يقوم بالخدمة في الحمامات إلي جانب هؤلاء العمال حراس للملابس، ويذكر الكندي أن أبا صالح يحيي بن داوود الشهير بابن ممدود عندما تولي مصر من قبل المهدي (١٦٢ ـ ١٦٤هـ/٧٧٨ ـ ٧٨٠م) «منع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال: من ضاع له شيء فعلي أداؤه. فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه، ويقول: يا ابا صالح احفظها. فكانت الأمور على هذا مدة ولايته».

وقد انقسمت انواع الحمامات في مصر إلي:

حمامات عامة ـ حمامات خاصة ـ حمامات للسيدات.

وبالنسبة للحمامات العامة :

فقد كان أول حمام بني في مصر بعد الفتح العربي هو حمام الفار، وقد اختطه عمرو بن العاص وهو بسويقة المغاربة، وقيل إنه سمي حمام الفار لأن حمامات الروم كان حجمها كبيرا، فلما بني هذا الحمام، ورأوا صغر حجمه، قالوا: من يدخل هذا؟ هذا حمام الفار.

حمام بُسْر:

وهو بسر بن أبي أرطاة القرشي(٦)، وهذه الحمام من خطته، ولم يبق له اثر.

---

(٦) بسر بن أرطاة: كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد فتح مصر، واختط بها، وكان من شيعة معاوية، شهد صفين معه، وولي البحرين له. وقدأرسله معاوية والي الشام على راس أسطول للاشتراك مع الاسطول المصري في صد الروم، وكان ذلك في موقعة ذي الصواري عام ٣٤هـ/ ٦٥٤م. ويقال إن بسر كان اذا ركب البحر قال: انت بحر وانا بسر، على وعليك الطاعة لله، سيروا على بركة الله. وقد اختلفت الاراء في تاريخ وفاته وفاته.

حمام ابن نصر السراج:

عند حبْس بنُانة، هي من خطة زياد بن نهل من بني سامد بن لؤي، ثم صارت إلى حويت بن جناد مولى بني سمح، وقيل هو مولى عتبة بن أبي سفيان، بناها حمامين، ثم اشتراها عاصم بن أبي بكر بن عبدالعزيز. ثم بيعتا في الصوافي سنة ٢٠٨هـ/٩٢٠م وانتقلتا إلى ابي نصر السراج فبناها حمامين: إحداهما تعرف الآن - كما يقول ابن دقماق - بحمام الكعكي، والثانية تعرف بحمام التكاررة.

حمام السوق الكبير:

وهي من خطة خولان الذى حازه الوليد بن عبدالملك، وتعرف الآن - كما يقول ابن دقماق - بحمام الصافي.

حمام القبو:

هو من فضاء الراية، وكان بشر بن مروان قد حازه فيما حازه، ثم أقطع ذلك كله المهدى لمنارة مولى ابى جعفر المنصور، ثم اشتراه الحكم، ثم تنقلت، وهى الآن في حبس السريّ، وتعرف بالكنيسة لقربها من كنائس أبى شنودة.

حماما الزياتين:

من الفضا لابن الجصاص ابتاعهما من الصوافي، وهما اليوم من جملة الأحباس.

حمام أبي مرة:

كان خطة لرجل من تَنُوخ هو جدّ ابن علقمة، فسأله إياه عبدالعزيز بن مروان، فوهبه له فبناه حماما لزَيَّان بن عبدالعزيز. وأبو مرة هو اسم الصنم الذى على بابه، وكان هذا الصنم من رخام على خلقة المرأة، وقد كسر في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م عندما أمر يزيد بن عبدالملك بكسر الأصنام. وهو يعرف الآن - كما يقول ابن دقماق - بحمام بثينة.

حمام نقاشي البلاط:

هذا الحمام يعرف بحمام أبى الفرج بن الكاتب، حبسه على ائمة الجامع العتيق.

حمام سوق وردان:

هو من الفضاء، وكان من إقطاع مسلمة بن مخلد الانصاري من الصحابة، ثم صار هذا الحمام إلى بنى ابى بكر بن عبدالعزيز بن مروان من قبل امهم، ثم قبض عنهم، فاشتراه ابن أبى خلف، ثم تنقل. وهو الآن - كما يقول ابن دقماق - جار فى ديوان أحباس الجامع العتيق بمصر.

حمام الخشابين:

وتعرف بحمام الجزري، هى حمام عمر بن على بن أبى عبد الرحمن الفهري، وقد خربت.

حمام جنادة:

بالقرافة. قال القاضى إنه ما كان يتوصل إليه إلا بعد عناء من الزحام، وإن قبالته فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم.

حمام الكَبْش:

وهو الحمام الذى يعرف اليوم - كما يقول ابن عبدالحكم - بحمام السوق.

اما بالنسبة للحمامات الخاصة: ويقصد بها حمامات البيوت:

فقد ذكرت سابقا عند الحديث على الدار المذهبة وهى الدار التى امر ببنائها عبدالعزيز بن مروان أنه كان بها حمامان.

ومن الدور أيضا التى امتازت بوجود حمام بها:

دار مسلمة بن مخلد:

يقول ابن عبدالحكم: «فلما ولى مسلمة بن مخلد سأله معاوية داره (دار الرمل وهى خطة مسلمة مع ابو رافع مولى رسول الله (ص) مع عقبة بن عامر) فأعطاه إياه، وخط له فى الفضاء داره ذات الحمام».

دار العُمُد:

يقول ابن عبد الحكم: «واختط أبو ذر الغفارى دار العُمُد ذات الحمام».

دار عبدالأعلى بن أبى عمْرة:

وهو مولى لبنى شيبان، وكانت داره ذات حمام، يقال له حمام التبن.

دار السلسلة:

«قال عبدالملك بن مسلمة: اقطعها عبدالعزيز الفهرى مولى ابن رمانة حين قدم عليه، وبناها له يزيد بن رمانة، وهى الدار التى تعرف اليوم: بدار السلسلة».

أما بالنسبة للحمامات الخاصة بالسيدات:

فلم تذكر المصادر العربية منها - فى حدود علمى - سوى حمام سهل. وكان بعض الولاة يمنعون النساء من الخروج من بيوتهن، والتوجه إلى الحمامات، كما حدث فى ولاية أيوب بن شرحبيل (٩٩ - ١٠١هـ/٧١٧ - ٧١٩م) من قبل عمر بن عبدالعزيز، فقد منع النساء من دخول الحمامات. ايضا فى ولاية مزاحم بن خاقان من قبل المعتز (٢٥٣ - ٢٥٤هـ/٨٦٧ - ٨٦٨م) الذى منع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات.

مصانع الماء - الفسقيات - العيون - القناطر

أولا : بناء مصانع الماء:

المقصود بالمصانع حياض الماء، وهى أشبه بالأحواض التى تبنى فى الأرض لتخزين المياه وحفظها، ولجمع مياه المطر.

ومن البلاد التى بنيت بها المصانع وذكرتها المصادر:

الفسطاط:

وكان بها الكثير من المصانع منها:

المَصْنَعَة المعروفة بكيلة (أو بعليلة كما يقول المقريزى): وكانت بحضرة العقبة التى يصار منها إلى يحصب.

المَصْنَعَة المعروفة بسمينة: وكانت فى وسط يحصب، وهى ذات عمد رخام.

المَصْنَعة ريا: وكانت بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة.

كما كان بالفسطاط مَصْنَعَة مقابلة للميدان من دار الامارة فى طريق المصلى القديم، ومَصْنَعَة تحت مسجد عمرو بن العاص المقابل لدار عبدالعزيز، ومَصْنَعَة مقابلة لمسجد التربة المجاورة للمسجد الأخضر.

تنيس:

ذكر ابن بسام أنه كان بتنيس - على أيامه - مصنعان عظيمان من مصانع المياه ينسبان إلى عمرو بن حفص، أحد من تولى أمرها، كذلك أشار إلى وجود مصنع فى وسط المدينة بناه عبدالعزيز الجروى، وكان يسع ثلاثة آلاف وستمائة جرة من الماء.

وكان أحمد بن طولون قد بنى بتنيس صهاريج لحفظ المياه، وذلك عندما دخلها عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م.

ثانيا : بناء الفسقيات:

فِسْقِية المعافر :

وقد بناها يزيد بن حاتم في أثناء ولايته على مصر من قبل أبي جعفر المنصور (١٤٤ - ١٥٢هـ/٧٦١ - ٧٦٩م) وأجرى إليها الماء من ساقية أبي عون، وذلك بعد شكوى قبيلة المعافر إليه من بُعد الماء عنهم.

وقد أنفق على بنائها «مالا عظيما». فقال له أبو جعفر المنصور: «لم أنفقت مالي على قومك؟».

الفسقية المعروفة بزوف :

وهم بنو زوف بن زاهر بن عامر من مراد. وقد بناها أبو بكر محمد بن على المادرائي في سنتي ثلاث وأربع وثلاثمائة، على يد عمه الحسين بن أحمد ويعرف بأبي زنبور. وقد اشتهرت بزوف لأنها في خطتهم.

ثالثا : بناء العيون :

العين التي بالمعافر :

بناها أحمد بن طولون. وقد تولى بناءها المهندس النصراني الذي بنى جامع أحمد بن طولون بعد ذلك، وهو سعيد بن كاتب الفرغاني. ويقال إنه عندما انتهى من بنائها، ركب أحمد بن طولون ليراها، فاستحسن جميع ما شاهده فيها، إلا أن قدم فرسه غاصت في موضع، لرطوبة الجير، فوقع أحمد ابن طولون، وتصور أن النصراني أراد به سوءا، فأمر بضربه خمسمائة سوط، ثم وُضع بالسجن، واستمر به حتى عرض على أحمد بن طولون بناء الجامع بلا عمد إلا عمودي القبلة. كما ذكرت عند الكلام على جامع ابن طولون.

ويذكر البلوى انه أنفق على العين التي بالمعافر مائة ألف وأربعون ألف دينار.

وقد كانت هذه العين مفتوحة طول النهار - كما يقول البلوى - لمن كشف وجهه للأخذ منها، ولمن كان له غلام أو جارية، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات، فهي لهم حياة ومعونة، واتخذ لها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية. وقد حاول الماذرائيون تقليدها وعمل مثلها، فأنفقوا الأموال الضخمة في ذلك لكنهم فشلوا.

رابعا : بناء القناطر :

قنطرة عبدالعزيز بن مروان :

كانت في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى. وقد بناها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم في سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، وابتنى قناطر عليها. وقد كتب عليها: «هذه القنطرة أمر بها عبدالعزيز بن مروان الأمير، اللهم بارك له في أمره كله، وثبت سلطانه على ما ترضى، واقر عينه في نفسه وحشمه. آمين. وقام ببنائها سعد ابو عثمان، وكتب عبدالرحمن في صفر سنة تسع وستين».

ثم زاد فيها تكين امير مصر في سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م ورفع سمكها، ثم زاد عليها الاخشيد في سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، وموضعها الان - كما يقول المقريزي - خلف خط السبع سقايات.

قناطر احمد بن طولون :

قال القضاعي: قناطر أحمد بن طولون بظاهر المعافر. وكان السبب في بناء هذه القناطر ان احمد بن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده، وتقدم عسكره، وقد كدّه العطش، وكان في المسجد خياط. فقال: ياخياط اعندك ماء؟ فقال: نعم. فأخرج له كوزا فيه ماء، وقال: اشرب ولا تمد! يعني لا تشرب كثيرا. فتبسم احمد بن طولون، وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره، ثم ناوله

إياه، وقال: يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد! فقال: نعم أعزك الله، موضعنا ها هنا منقطع، وإنما أخيط جمعتي حتى أجمع ثمن راوية. فقال له: والماء عندكم ها هنا معوز. فقال: نعم. فمضى أحمد بن طولون فلما وصل داره. قال: جيئوني بخياط في مسجد الأقدام، فجاءوا به. فلما رآه قال: سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية، ويجروا الماء، وهذه ألف دينار خذها. وابتدأ في الانفاق، وأجرى على الخياط في كل شهر عشرة دنانير، وقال له: بشرني ساعة يجري الماء فيها. فجدوا في العمل، فلما جرى الماء أتاه مبشرا، فخلع عليه وحمله، واشترى له دارا يسكنها، وأجرى عليه الرزق السني الدار. وكان قد أشير عليه بأن يجري الماء من عين أبي خليد المعروفة بالنعش. فقال: هذه العين لا تعرف أبدا إلا بأبي خليد، وإني أريد أن استنبط بئرا. فبنى عينه التي بالمعافر، وبنى عليها القناطر.

ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية - كما يقول المقريزي - بلغه أن قوما لا يستطلون شرب مائها، فدعا إليه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم الفقيه الذي يقول: «كنت ليلة في داري اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون، فقال لي: الأمير يدعوك. فركبت مذكورا مرعوبا، فعدل بي عن الطريق.

فقلت: أين تذهب بي؟ فقال: إلى الصحراء، والأمير فيها. فأيقنت بالهلاك، وقلت للخادم: الله الله فيّ، فإني شيخ كبير ضعيف مسن، فتدري ما يراد مني، فارحمني. فقال لي: احذر أن يكون لك في السقاية قول! وسرت معه، وإذا بالمشاعل في الصحراء، وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية، وبين يديه الشمع. فنزلت وسلمت عليه، فلم يرد عليّ. فقلت: أيها الأمير إن الرسول أعنتني وكدني، وقد عطشت فيأذن لي الأمير في الشرب! فأراد الغلمان أن يسقوني. فقلت: أنا آخذ لنفسي. فاستقيت وهو يراني، وشربت، وازددت في الشرب حتى كدت انشق، ثم قلت: أيها الأمير سقاك الله من أنهار الجنة، فلقد أرويت وأغنيت ولا أدري ما أصف: أطيب الماء في حلاوته وبرده؟ أم صفاته أم طيب ريح السقاية؟ قال: فنظر إليّ وقال: أريدك لأمر، وليس هذا

وقته، فانصرفوا فصُرفت. فقال لي الخادم: أصبت. فقلت:: أحسن الله جزاءك، فلولاك لهلكت!

ويذكر المقريزي أن «مبلغ النفقة على هذه العين ومستغلها أربعين ألف دينار». ويبدو أن المقصود بالعين هذه القناطر، خاصة وأنني ذكرت سابقا عن البلوي أنه أنفق على العين مبلغ مائة ألف وأربعين ألف دينار. فهل المائة الف وأربعون الف دينار - التي ذكرها البلوي - هي مجموع الانفاق على العين والقناطر؟ أم كل له مصروفه؟

الفصل الثانى

العمائر الدينية

. الجوامع والمساجد
. الكنائس.
.المصليات.
.الرباطات.

الفصل الثانى
العمائر الدينية

تمشيا مع السياسة الدينية للدولة الحاكمة، كان بناء أى عاصمة يقتضى بناء جامع أو مسجد لها، فانتشرت الجوامع والمساجد فى مصر تبعا لديانة العرب المسيطرين على الحكم وهى الديانة الاسلامية، وفى المقابل تعرضت الكنائس التى بنيت فى العهود السابقة للهدم، غير أننا نرى أن عملية هدم الكنائس أو بنائها كانت ترجع إلى سياسة كل من الوالى أو الخليفة، ولم تكن تبعا لعرف سائد.

وسنتناول فى الصفحات القادمة أهم الجوامع والمساجد التى بنيت، وفى الوقت نفسه القرارات التى اتخذت بشأن بناء أو هدم الكنائس، ثم أراء الفقهاء فى ذلك.

ولكن قبل الخوض فى موضوع بناء الجوامع والمساجد، يجدر بنا اولا أن نبين الفرق بين الجامع والمسجد فى ذلك العصر.

فالجامع ـ كما تقول المصادر العربية ـ هو الذى يقام فيه صلاة الجمعة، وذلك بعكس المسجد. يقول المقريزى : إن صلاة الجمعة كانت تقام فى جامع عمرو بن العاص، إلى أن بنُى جامع العسكر بالعسكر، فصارت الجمعة تقام فى جامع عمرو بن العاص وجامع العسكر، واستمر ذلك الوضع حتى بنى جامع أحمد بن طولون، فصارت الجمعة تقام فى جامع عمرو وفى جامع ابن طولون، وتلاشى أمر جامع العسكر إلى أن قامت الدولة الطولونية.

ثم يقول فى موضع آخر : «لما افتتح عمر البلدان، كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فاذا كان يوم الجمعة، انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك.» كما يقول فى موضع آخر نقلا عن القضاعى : «ولم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر إلا فى هذا

الجامع، قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس : جاء نفر من غافق (١) إلى عمروبن العاص فقالوا : إنا نكون في الريف، أفنجمع في العيدين الفطر والأضحى ويؤمنا رجل منا ؟ قال : نعم.

قالوا : فالجمعة؟ قال : لا، ولا يصلى الجمعة بالناس إلا من أقام الحدود، وأخذ بالذنوب، وأعطى الحقوق».

وسنتناول الآن أهم الجوامع والمساجد بمصر:

أولا : الجوامع

١ ـ جامع عمرو بن العاص ـ المسجد الجامع ـ الجامع العتيق:

وهو أول جامع بنى فى مصر تحت الحكم العربى، وقد شرع عمرو بن العاص في بنائه بعدما فرغ من بناء مدينة الفسطاط وكان ذلك فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م.

ويذكر ابن دقماق أن مكان الجامع كان جنانا ملك قيسبة بن كلثوم التجيبي، ويكني أبا عبد الرحمن، أحد بني سُوم، وأن عمرو بن العاص قد طلب منه أن يجعله مسجدا، فوافق قيسبة وتصدق به على المسلمين.

تذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما وضع قبلة هذا الجامع، كان واقفا عليه نحو ثمانين رجلا من الصحابة، منهم : الزبير بن العوام، والمقداد بن الاسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفارى، وأبو بَصْرَة الغفارى ومحمية بن جزء الزبيدى، ونبيه بن صواب وغيرهم.

وعندما بنى عمرو بن العاص الجامع اتخذ فيه منبرا، وهو أول من اتخذ المنبر، فكتب إليه عمر بن الخطاب يقول : أما بعد، فانه بلغنى انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين، أمّا بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك؟ فعزمت عليك لما كسرته! فكسره عمرو.

---

(١) في الاصل : (بحافق)، وليس لها معنى في القاموس اللغوى، كما انه لايوجد قبيلة دخلت مصر باسم بحافق، وإنما توجد قبيلة باسم غافق، ولذلك اوردناها بالمتن.

وعن وصف جامع عمرو بن العاص عندما بني يقول المقريزي : «قال ابو سعيد العميري : ادركت مسجد عمرو بن العاص، طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا، وجعل الطريق يطيف به من كل جهه، وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص(في شرقيه) وجعل له بابان في بحريه وبابان في غربيه، وكان الخارج اذا خرج إلى زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقي محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربي، وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ، وكان طوله من القبلة إلي البحري مثل طول دار عمرو بن العاص، وكان سقفه مطاطا جدا، ولا صحن له، فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية، وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع.» وكان سقفه من جريد، وأعمدته من جذوع النخل.

الزيادات في جامع عمرو بن العاص:

زيادة مسلمة بن مخلد :

وأول من زاد في جامع عمرو بن العاص مسلمة بن مخلد سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م وهو يومئذ امير مصر من قبل معاوية. وكان سبب الزيادة ان الأهالي شكو اليه ضيق المسجد، فكتب إلى معاوية في ذلك، فأرسل اليه يأمره بالزيادة فيه، فزاد فيه من الجهة الشرقية مما يلي دار عمرو بن العاص، كما زاد فيه من الجهة البحرية، وجعل له رحبة في الجهة البحرية منه، وبيّضه وزخرف جدرانه وسقوفه.

وقد امر ببناء منار المسجد الذي بالفسطاط وهو أول من أحدث المنار بالمساجد. وقيل إن معاوية أمره ببناء الصوامع(٢) للاذان، فجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في أركانه الاربعة وهو أول من جعلها فيه.

---

(٢) عرف المسلمون المكان الذي يلقي منه الاذان باسم المنارة او الصومعة او المئذنة. وكلمة منارة تعني مئذنة مهما كان شكلها. اما الصومعة فتتفق والمنارة في نفس هذا المعنى، ولكنها مئذنة يغلب عليها الشكل المربع، ولا تختلفان إلا في درجة الارتفاع، وفي أن الصومعة يمكن أن تطلق على مئذنة المسجد كما يمكن أن تطلق على برج الكنيسة. اما اسم مئذنة فقد أطلق على برج المسجد في وقت متأخر عندما اخذ شكل الصومعة الاولي في التطور إلى الشكل المألوف للمئذنة.

كما فرشه بالحصر وهو أول من فعل ذلك ايضا، وكان قبل ذلك مفروشا بالحصباء.

زيادة عبد العزيز بن مروان :

وفي أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م)من قبل اخيه عبد الملك، زاد في المسجد الجامع سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م من ناحيته الغربية، وادخل فيه الرحبة التي كانت في جهته البحرية، ولم يجد في جهته الشرقية موضعا يوسعه به، وذكر الكندي : أنه زاد فيه من جوانبه كلها، وأن ذلك كان في سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م.

زيادة عبد الله بن عبد الملك:

وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك من قبل أخيه الوليد، أمر برفع سقف المسجد الجامع، وكان مطاطا وذلك في سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م.

زيادة قرة بن شريك :

وقد ولي مصر من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، فلم يزل بها إلى أن مات في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقد هدم المسجد في مستهل سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م بأمر الوليد بن عبد الملك، وابتدأ في بنائه في شعبان من السنة المذكورة، وقد جعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بني عامر بن لؤي، فكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ٩٣هـ/ ٧١١م.

وزيادة قرة كانت في الجهة القبلية وفي الجهة الشرقية، فقد اخذ دار عمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو، فأدخله في المسجد، وأخذ منهما الطريق الذي بين المسجد وبينهما، وعوضهما بما هو في أيديهم اليوم من الرباع التي في زقاق مليح في النحاسين والعداسين وغير ذلك.

وصار للجامع اربعة ابواب في الجهة الشرقية اخرها باب إسرائيل وهو باب النحاسين، وأربعة أبواب في الجهة الغربية شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وثلاثة أبواب في الجهة البحرية.

كما أنه نصب المنبر الجديد في سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، ونزع المنبر الذى كان في المسجد، وذكر أن عمرو بن العاص كان قد جعله فيه، فلعله بعد وفاة عمر بن الخطاب، وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان، وذكر انه حمل اليه من بعض كنائس مصر، وقيل إن زكريا بن مرقنى (او برقنى) ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن ابي سرح، وبعث معه نجاره حتى ركبه، واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة، فلم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد فيه قرة ابن شريك، فنصب منبره الجديد كما ذكرت سابقا. ولم يكن يخطب في القرى إلا على العصى، إلى ان ولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد، فأمر باتخاذ المنابر في القرى وذلك في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، وذكر انه لايعرف منبرا أقدم من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م أمر المهدى محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر، فجُعلت على مقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أعيدت بعد ذلك.

وأمر قرة ايضا بعمل المحراب بعمل المجوف (٢)، وقيل إنه لم يكن للمسجد الذى بناه عمرو بن العاص محراب مجوف، فقد كان قرة بن شريك هو اول من جعل المحراب المجوف، وكان اول من احدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد بن عبد الملك.

كما احدث فيه المقصورة، ويقول ابن دقماق :وأول ما علمت المقاصير بالجامع بمصر في زمن معاوية (٤٠ ـ ٦٠هـ / ٦٦٠ ـ ٦٧٩م)، ولعل قرة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة، وفي سنة ١٦١هـ / ٧٧٧م أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الأمصار.

وعندما تولى موسى بن ابي العباس مصر من قبل أشناس (٢١٩ ـ ٢٢٤هـ/ ٨٣٤ ـ ٨٣٨م) اخرج المؤذنين خارج المقصورة، وهو اول من اخرجهم، وكانوا قبل ذلك يؤذنون بين يدى الامام يوم الجمعة من داخل المقصورة.

---

(٢) المحراب هو عادة ما يتوسط جدار القبلة، ويشير إلى اتجاه القبلة جهة الكعبة المشرفة، وقد تميز بتجويفه في جدار القبلة.

زيادة صالح بن على بن عبد الله بن عباس :

ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبى العباس السفاح - اربعة أساطين . ويقال إنه ادخل فى الجامع دار الزبير بن العوام وكانت غربى دار النحاس، وكان الزبير قد تخلى عنها ووهبها لمواليه، فادخلها فى المسجد، وقد أدت هذه الزيادة إلى فتح باب خامس من الجهة الشرقية للجامع عرف باسم باب الكحل، كما عمر صالح ابن على أيضا مقدم المسجد الجامع عند الباب الأول موضع البلاطة الحمرا.

زيادة موسى بن عيسى الهاشمى :

ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى عندما تولى مصر سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م من قبل الرشيد، فقد زاد فى المسجد الجامع الرحبة التى فى المؤخرة من حدّ شباك النحاسين إلى نهاية ثلاثة ابواب من الأبواب الشارعة من الشارع إلى هذه الزيادة وهى نصف الرحبة المعروفة برحبة ابى أيوب، ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة اخذ موسى بن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهرى ووسع بها الطريق.

زيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين :

وقد تولى مصر من قبل المأمون سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م، وقد أمر بالزيادة فى المسجد الجامع فى نهاية عام٢١٢هـ/ ٨٢٧م، فزيد فيه من الجهة الغربية، وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير، وما فى الجهة الغربية إلى حد زيادة الخازن، فادخل فيه الزقاق المعروف بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل، ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودور أخرى. وبهذه الزيادة أصبح مساحة طول الجامع ١٩٠ذراعا بذراع العمل، وعرضه ١٥٠ذراعا. كما نصب فيه اللوح الأخضر وهو أول من نصبه، فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح، فوضع أحمد بن محمد العجيفى لوحا أخضر بدلا منه فى نفس المكان، وذلك فى ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون.

زيادة أبي أيوب، احمد بن محمد بن شجاع :

وهو احد عمال الخراج زمن احمد بن طولون، وكانت زيادته في بقية الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب والمحراب المنسوب اليه هو القريب من هذه الزيادة عند شباك الحذائين، وكان بناؤها في سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. وقد أدخل أبو أيوب في هذه الزيادة بعض دار خارجة بن حذافة، وبعض دار ابان بنت الحارث بن مسكين. ويذكر ابن دقماق أن هذه الزيادة كانت بسبب حريق وقع في مؤخر المسجد الجامع «فعمر وزيدت هذه الزيادة في أيام أحمد بن طولون».

زيادة خمارويه بن احمد بن طولون :

وكان قد وقع حريق في الجامع في صفر سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب إسرائيل إلى رحبة الحارث بن مسكين، فهلك فيه أكثر زيادة عبد الله بن طاهر، والرواق الذي عليه اللوح الأخضر، فامر خمارويه بعمارته على يد احمد بن محمد العجيفي، فاعيد على ما كان، وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي عليه اللوح الأخضر، وكانت عمارته في السنة المذكورة، وقد أنفق في اصلاحه ستة الاف وأربعمائة دينار.

زيادة أبي حفص عمر بن الحسن القاضي العباسي :

وكانت ولايته للقضاء في سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، وكان إمام مصر والحرمين، واليه إمامة الحج، وقد ظل قاضيا بمصر خلافة عن أخيه إلى ان صرف الخصيبي وذلك في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، وقد زاد الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح.

زيادة أبي بكر محمد بن عبد الله الخازن :

ثم زاد فيه ابو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب، وهو الرواق ذو المحراب، والشباكين المتصل برحبة الحارث، ومقداره تسعة أذرع، وكان قد بدأ في بنائه سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م، وتم الانتهاء منه سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م على يد ابنه على بن محمد.

٢ ـ جامع العسكر :

وهذا الجامع كان يقع بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مصر، وكان إلى جانب شرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا، كما كان إلى جانب دار امارة العسكر، وكان يصل هذه الدار بالجامع باب. وكان يجمع فيه الجمعة، وفيه منبر ومقصورة. وقد بناه الفضل بن صالح بن على ابن عبد الله بن عباس فى ولايته على مصر عام (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) من قبل المهدى. وقد زاد فى عمارته عبد الله بن طاهر فى أثناء ولايته على مصر من قبل المأمون عام ٢١١هـ/ ٨٢٦ م. وقد ظل هذا الجامع يقام فيه شعائر الجمعة حتى بنى جامع أحمد بن طولون، كما استمر وجود هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة.

٣ ـ جامع احمد بن طولون :

كان سبب بنائه أن أهل مصر شكوا إلى أحمد بن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه، فأمر ببناء هذا الجامع بجبل يشكر وهو يشكر بن جزيلة من لخم.وكان يشكر، المنسوب اليه هذا الجبل، رجلا صالحا، وكان الصالحون يصلون على القطعة البارزة منه، الخالية من البناء، التى فى الحدّ القبلى منه، والمجاورة للباب، ويقال إن فى هذه البقعة قبر هارون عليه السلام، كما كان يقال إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات. لذلك فعندما أراد أحمد بن طولون بناء هذا الجامع اشار عليه جماعة من الصالحين بأن يبنيه على هذا الجبل، وذكروا له فضائله، فقبله منهم وبناه، وأدخل بيت يشكر العبد الصالح فيه.

وقد اختلف المؤرخين فى تاريخ بناء هذا الجامع فيذكر الكندى أنه بدأ فى بنائه سنة٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م وانتهى بناؤه سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩ م، أما ابن دقماق فيقول إنه بدأ فى بنائه سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢ م، ويذكر المقريزى أنه بدأ فى بنائه سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وفرغ منه سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م. وترى الدكتورة سيدة كاشف أن السنين التى ذكرها المؤرخون متقاربة، ولكنها تؤكد أن أحمد بن طولون لم يبدأ فى منشآته العامة ومشاريعه العمرانية، إلا بعد أن

أصبحت مصر كلها تحت سلطانه. ومع ذلك فان الصواب - كما يقول الدكتور زكي محمد حسن - أن الفراغ من بناء هذا الجامع كان في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، وهذا التاريخ وارد في الكتابة التاريخية التي وجدت في الجامع منقوشة بالخط الكوفي على لوح من الرخام.

وقد طلب أحمد بن طولون أن يبني هذا البناء إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي - كما تقول المصادر العربية - فقيل له يبني بالجير والرماد والآجر الأحمر القوي النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لا صبر لها على النار، فبناه هذا البناء.

ويعتقد بعض علماء الآثار ان سبب ذلك أن المهندس عراقي الأصل، وأن اللبن(الطوب النيئ) والآجر خاصة من خواص العمارة في العراق لقلة الحجارة. وعلى أية حال فان اللبن والآجر كانا معروفين في العمارة منذ عهد الفراعنة.

وتذكر المصادر العربية أنه عندما أراد بناء الجامع قدر له ثلاثمائة عمود، فقيل له ماتجدها، أو تنفذ إلى الكنائس في الأرياف والضياع الخراب، فتحمل منها، فأنكر ذلك. وبلغ ذلك (سعيد بن كاتب الفرغاني) المهندس النصراني الذي تولى بناء العين له وكان بالسجن، فكتب إليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد، إلا عمودي القبلة. وعندما حضر بين يديه، قال له : أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمودي القبلة، فأمر بأن تحضر له الجلود، فأحضرت، فصوره له، فأعجبه، وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار وقال له : أنفق، وما احتجت اليه بعد ذلك أطلقناه لك. فوضع النصراني يده في البناء في الموضع الذي فيه وهو جبل يشكر، فكان ينشر منه، ويعمل الجير، ويبني، إلى أن فرغ من بنائه فبيّضه، وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال، وفرش فيه الحصر، وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء.

وتذكر المصادر العربية أن هذا الجامع كان من المال الذى عثر عليه أحمد بن طولون فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون. وقد قدرت نفقات بنائه ـ كما يذكر البلوى ـ بمائة وعشرين ألف دينار.

ويتكون جامع احمد بن طولون من صحن مربع مكشوف طول كل ضلع فيه نحو اثنين وتسعين مترا، أى أن مساحته تبلغ نحو ٨٤٨٧ مترا مربعا وتحيط به أروقة من جوانبه الأربعة، وتقع القبلة في أكبر هذه الأروقة. وبين جدران الجامع وسوره الخارجي ثلاثة أروقة خارجية تسمى الزيادات، وقد امر احمد بن طولون ببنائها عندما ضاق المسجد بالمصلين.

وقد بناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة، كما عمل به منطقة بها عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية. ويقول ابن اياس : إنه علق بهذا الجامع عشرة الاف قنديل من الزجاج المذهب، وكان في صحنه قبة، على عشرة عمد من رخام أبيض، وهى مفروشة بالرخام الملون، كما كان على صحنه شبكة من جميع جوانبه لأجل العصافير. وكان تحت القبة التى فى الصحن قصعة رخام فَسْحَتها أربعة أذرع، في وسطها فوارة تفور بالماء ليلا ونهارا برسم الضوء. كما عمل في مؤخرة الجامع ميضأة [4] وخزانة شراب فيها جميع الأشربة والأدوية، وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للمصلين.

ويذكر ابن دقماق أن المقصورة التى به، والتى تعرف بمقصورة فاطمة الزهراء، سميت بذلك لأن رجلا ـ على حسب قوله ـ رأى فى المنام كأن فاطمة الزهراء رضى الله عنها تصلى فى مكان من هذا الجامع، فأصبح، فأخبر الناس بذلك، فصلوا فيه، وعملوا عليه مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء.

---

(٤) الميضأة : من العناصر الضرورية للطهارة فى أداء شعائر الصلاة بالمنشآت الدينية، وللفقهاء اراء عديدة بشأنها من أهمها انه يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها. وكانت الميضأة تبنى خارج المسجد، وكان يراعى فى وضع بنائها أن تكون خاضعة لظاهرة الرياح حسب الموقع الجغرافى، حتى لا يتأذى الناس داخل المساجد منها.

وتذكر المصادر العربية انه عندما فرغ من بنائه، لم يصل فيه احد من الناس، وقالوا : هذا بُنى من مال حرام، ولايجوز فيه الصلاة! فلما بلغ الأمير احمد بن طولون ذلك، جمعهم في يوم جمعة وطلع المنبر، فخطب خطبة اقسم فيها بالله العظيم انه مابنى هذا الجامع من ماله، وانما بناه من كنز ظفر به عند الأهرام، فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير، وصلوا الجمعة فيه. كما قيل إنه عندما بنى عاب بعض الناس على قبلته، وقالوا إنها ضيقة، خاصة وأنها مخالفة للمحاريب المجاورة لها! وقال آخر : مافيه عمود! وقال آخر : ليست له ميضأة! فاجتمع احمد بن طولون بهم وخطب يقول : إنه عندما شرع في عمارتها، اختلف المهندسون في تحريرها، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة وهو يقول : «ياأحمد، ابن قبلة الجامع على هذا الوضع، وخط في الأرض صورة ما يعمل». فلما كان الفجر صليت، ومضيت مسرعا إلى الموضع الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بوضع القبلة فيه، فوجدت القبلة مصورة، وأن النمل قد طاف على ذلك الخط فوضعت اساس المحراب عليه، لذلك فهو يسمى محراب النمل! وأما العمد والسوارى، فالسوارى لاتكون إلا من مسجد خراب أو كنيسة، وأنا بنيته من حلال من كنز وجدته، فكرهت أن ادخل فيه شائبة. أما عدم وجود الميضأة به فقد أردت تنزيهه عن النجاسة فطهرته منها، وسأبنيها خلفه، فبناها عند دار الفيل.

ويقول ابن دقماق : إنهم عندما خرجوا من عنده، اشاعوا ذلك، فعظُم شأن الجامع، وضاق على المصلين حتى زاد فيه أحمد بن طولون.

٤ ـ جامع الجيزة :

وقد بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م بأمر الأمير على بن عبد الله بن الاخشيد، فتقدم كافور إلى الخازن ببنائه ـ وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان ـ وقد أشرف على بناء هذا الجامع، مع ابى بكر الخازن، أبو الحسن بن ابى جعفر الطحاوى، ويقال : إنهم احتاجوا إلى عمد للجامع فمضى «الخازن» في الليل إلى

كنيسة بأعمال الجيزة، فقلع عمدها، ونصب بدلها أركانا، وحمل العمد إلى الجامع، مما دفع أبا الحسن بن الطحاوى إلى ترك الصلاة فيه بسبب ذلك.

٥ ـ جامع الفيوم :

بناه قرة بن شريك عندما تولى مصر عام (٩٠ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٤م) من قبل الوليد بن عبد الملك.

ثانيا : المساجد

وهى التى بنتها القبائل العربية أو الأشخاص، ولا تقام بها صلاة الجمعة.

وسنتناول فى الصفحات القادمة أسماء المساجد التى بنيت فى الفترة التى يتناولها البحث.

مسجد الرحمة :(*)

بالاسكندرية، وقد بناه عمرو بن العاص بعد هزيمته للروم فى الاسكندرية عندما نقضت الاسكندرية، فعندما أمر برفع السيف عنهم، بنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا. وقد عرف بمسجد الرحمة، وذلك لرفع عمرو السيف هناك.

مسجد عبد الله :

بالفسطاط وقد بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى أثناء ولايته على مصر(٨٦ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م).

ومن المساجد التى بنيت بالفسطاط وذكرها ابن عبد الحكم :

مسجد القرون، **مسجد بنى عَوْف** وهم من قبيلة بلى، **مسجد العيذم** وقد بناه الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان. **مسجد مهرة**.

مسجد حاء وكان عند دار اسحق بن متوكل وهو ذو منارة.

(*) ولعل مكانه الآن بحديقة الشلالات مكان ضريح سيدى عمرو بن يحيى.

مسجد العُتَقَاء. مسجد فَهْم. مسجد حَنْزان وحنزان بطن من غافق. مسجد أحْنُب. مسجد الزمام. مسجد ابو موسى الغافقى وكان فى زقاق حمْد.

مسجد سيبان وسيبان من مهرة وهو المسجد ذو القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدفى. مسجد الزنج. مسجد بادى. مسجد ابراهيم القراط مسجد الزينة.

مسجد تجيب وخولان :

يقول ابن دقماق :

إنه في ولاية موسى بن مخلد أمر ببناء المنار في جميع المساجد، كان ذلك ما عدا مسجدين وهما : مسجد تجيب وخولان.

مسجد القلعة :

يقول ابن عبد الحكم عن سعيد بن عفير : إنه في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م) أرسل اليه عماله : «أن بيوت الأموال قد ضاقت من مال الخمس، فكتب اليهم أن ابنوا المساجد. فأول مسجد بنى بفسطاط مصر، المسجد الذى في أصل حصن الروم عند باب الريحان، قُبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس، يعرف بمسجد القلعة».

مسجد الأقدام :

يقول المقريزى : هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر. قال القضاعي : ذكر الكندى أن الجند بنوه وليس من الخطط. وسمى بالأقدام لأن مروان بن الحكم لما دخل مصر، وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوى غيرهم، وقالوا : لا ننكث بيعة ابن الزبير. فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر بالمغافر في هذا الموضع. فسمى المسجد بهم لانه بنى على اثارهم، والآثار الأقدام. يقال جئت على قدم فلان، أى على أثره. وقيل بل أمرهم بالبراءة من على بن ابى طالب فلم يتبرؤوا منه فقتلهم هناك. وقيل إنما سمى مسجد الاقدام لأن قبيلتين اختلفتا فيه، كل تدعى أنه من خطتها، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام، وجعل لأقربهما منه!

والقديم من هذا المسجد هو محرابه والأروقة المحيطة به، وأما خارجه فزيادة الاخشيد، والزيادة الجديدة التى فى جهته البحرية تمت فى فترة متأخرة عن بحثنا.

جامع محمود بالقرافة :

وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم، فهو الذى بنى هذا المسجد. وذلك ـ كما يقول المقريزى ـ أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه، فالتفت عن يمينه، فرأى محمودا فأمر بضرب عنق الرجل ففعل، فلما رجع محمود إلى منزله تفكر وندم، وقال : رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدى، وأنا طائع غيره مكره على ذلك فهلا امتنعت. وكثر أسفه وبكاؤه، وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية، ولا يعود فيها، ولم ينم ليلته من الغم والندم، فلما أصبح غدا إلى السرى، فقال له : إنى لم أنم فى هذه الليلة على قتل الرجل، وأنا اشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود إلى الجندية، فأسقط اسمى منهم، وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود، وأقام فيه.

مسجد القبة :

وهو مسجد بَنِى عبد الله بن مانع بن مورع، وكان موضعه عند فتح مصر بخطة المغافر.

مسجد الفارسيين بالجيزة.

مسجد التنور :

هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم، بناه أحمد بن طولون فى صفر سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م وبنى فيه المنارة كما جعل فيه صهريجا فيه الماء، وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التى بالمغافر. وقد هدم هذا المسجد على يد قائد من قواد أحمد بن طولون يدعى وصيف قاطر ميز، وحفر تحته، متصورا أن تحته مالا فلم يجد فيه شيئا.

مسجد فائق :

مولى خمارويه بن أحمد بن طولون، كان فى سفح جبل المقطم، مما يلى طريق مسجد موسى عليه السلام.

مسجد موسى : بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات فى سفح جبل المقطم.

مسجد الفقاعى : هو أبو الحسن على بن عبد الله، وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدى، وكان فى وسط هذا المسجد محراب مبنى بطوب يقال إنه من بناء حاطب بن أبى بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، ويقال إنه أول محراب اختط فى مصر.

من المساجد أيضا مسجد الربيع، ومسجد الزمام، ومسجد ابن عمروس.

المصليات

وكانت تبنى المصليات لتقام بها صلاة العيد. يقول المقريزى : وفى هذه المصلى مشهد الأعياد. ويؤم الناس ويخطب بها فى يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص.

وعندما فتح العرب مصر كان مصلى العيد، وهو مصلى عمرو بن العاص، مقابل اليحموم، وهو الجبل المطل على القاهرة، فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، أمر بتحويله فحوّل إلى موضعه المعروف بالمصلى القديم عند درب السباع، ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، ثم بناه أحمد بن طولون فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

وفى امارة عنبسة بن اسحاق على مصر فى أيام المتوكل (٢٣٨ ـ ٢٤٢هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٥٦م) ضاق المصلى القديم وهو مصلى عمرو بن العاص ـ بالناس، فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد، فابتدئ فى بنائه فى العَشْر الأخير من شهر رمضان عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، وصلى فيه صلاة عيد الاضحى من هذه السنة، وهو المصلى الذى بالصحراء عند الجارودى، ثم جدده الحاكم وزاد فيه، وجعل له قبة وذلك عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

وقد عرف المصلى الجديد بمصلى خولان، وهم من قبائل اليمن، وقد شهدوا فتح مصر.

تعرضنا فى الصفحات السابقة لأهم الجوامع والمساجد التى بنيت فى مصر كنتيجة طبيعية لانتشار الدين الاسلامى دين الدولة الحاكمة. وفى المقابل سنتناول سياسة الدولة الحاكمة بشأن بناء أو هدم الكنائس التابعة لديانة أهل البلد الأصليين وهم الاقباط وأراء الفقهاء فى مثل هذه القرارات.

بناء الكنائس فى مصر

تذكر المصادر العربية ان اول كنيسة بنيت بفسطاط مصر، كانت هى الكنيسة التى خلف القنطرة وذلك فى ولاية مسلمة بن مخلد مصر (٤٧ ـ ٦٢هـ/ ٦٦٧ ـ ٦٨١م) من قبل الخليفة معاوية. ويذكر ابن عبد الحكم أن الجند أنكروا ذلك على مسلمة، وقالوا له : «أتُقر لهم ان يبنوا الكنائس؟ حتى كاد أن يقع بينهم وبينه شر، فاحتج عليهم مسلمة يومئذ فقال : إنها ليست فى قيروانكم، وانما هى خارجة فى أرضهم، فسكتوا عند ذلك».

وفى ولاية الوليد بن رفاعة (١٠٩ ـ ١١٧هـ/ ٧٢٧ ـ ٧٣٥م) من قبل هشام بن عبد الملك، أذن للنصارى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م فى بناء «كنيسة يومنا» أو «أبو مينا» ـ كما يقول الكندى ـ بالحمراء، وتعرف الحمراء اليوم ـ كما يقول المقريزى ـ بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر. وقد كان السماح ببناء هذه الكنيسة سببا فى قيام ثورة يتزعمها «وهيب اليحصبى» ضد الوالى الوليد بن رفاعة، أدت إلى مقتل وهيب اليحصبى. ثم هدأت الثورة بعد ذلك.

وفى ولاية موسى بن عيسى الاولى(١٧١ ـ ١٧٢هـ/ ٧٨٧ ـ ٧٨٨م) من قبل الخليفة هارون الرشيد أذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى قد هدمها الوالى على بن سليمان، وتذكر المصادر العربية ان بناء هذه الكنائس كانت بعد مشورة الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة اللذين اعتبرا هذه الكنائس

«هى عمارة البلاد»، وقد احتجا بأن الكنائس التى بمصر لم تُبنَ إلا فى الاسلام فى زمان الصحابة والتابعين. ويعلق أبو المحاسن على ذلك بقوله «وهذا كلام يتأول»، كما أنه يعتبر تصرف موسى بن عيسى بشأن هذه الكنائس من الأمور الغير معقولة.

ويذكرساويرس أنه فى أثناء خلافة المعتز(٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ٨٦٨م) ذهب وفد من الاقباط اليه، ليسألوه «فى أمر البيَع، وشرحوا له ما فعله ابن المدبر وما جرى منه». فكتب لهم سجلا يتضمن موافقته، والسماح لهم ببناء البيع « فى كل أرض مصر»، ثم يذكر ساويرس أن الخليفة المعتز توفى قبل أن يختم هذا السجل، فطلبوا من الخليفة الذى تولى بعده الاقرار بهذا السجل، فوافق وعندما وصل السجل إلى أرض مصر، طلب الأنبا شنودة من متولى أرض مصر فى ذلك الوقت، أن يتمم أمر الملك، فكتب له إلى جميع البلاد ببناء جميع البيعْ فى كل المواضع حسب ماورد به أمر الملك[٦].

أما الاسكندرية، التى كان بها أعظم كنائس الروم حتى إن ملك الروم كان يخشى من استيلاء العرب عليها كما يقول ابن عبد الحكم، فنلاحظ أن المصادر العربية ـ فى حدود علمى ـ قد أغفلت ذكر القرارات التى تتعلق ببناء أو هدم كنائسها، اللهم إلا ماذكره المقريزى من بناء كنيسة مرقص بالاسكندرية فى ولاية عمرو بن العاص الثانية (٣٨ ـ ٤٣هـ/ ٦٥٨ـ ٦٦٣م)، وأنها ظلت قائمة حتى هدمت فى سلطنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦ ـ ٦١٥هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٨).

وعندما انشأ عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان سمح لكاتبه (أثناسيوس) ببناء كنيسة فى قصر الشمع، فلم يكتف اثناسيوس بواحدة بل شيد اثنتين هما : كنيسة مارجرجس، وكنيسة أبى قير.

(٦) اخطأ ساويرس فى ذكر اسم الخليفة الذى تولى الخلافةبعد المعتز فقد ذكر أنه المستعين بالله، ومن المعروف أن المستعين بالله تولى الخلافة عام(٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) وأنه قتل عام ٢٥٢هـ، وأن الخليفة الذى تولى بعد المعتز هو المهتدى بالله وكان ذلك عام (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩م).

اما بالنسبة لقرارات هدم الكنائس فى مصر :

يذكر ابن النقاش أن عمر بن عبد العزيز ارسل إلى حيان بن سريج عامله على مصر يأمره بهدم بيع النصارى المستجدة. ويذكر أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز قد أرسل كتابا إلى عماله يقول فيه :«لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولابيت نار، ولاتحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار.»

وفى سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م هدم اسامة بن زيد التنوخى الكنائس، والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك.

وعندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة كتب إلى والى مصر بأن يجرى النصارى على عوائدهم وما بايديهم من العهد. فمضى البطريرك قزما kosmas إلى هشام، واستطاع بمعونة بعض العلماء أن يحمل الخليفة على أن يرد له الكنائس الملكانية بمصر، وهى الكنائس التى كان الأقباط قد استولوا عليها، فكتب هشام إلى واليه بمصر باخذ هذه البيع من اليعاقبة.

كما تذكر المصادر العربية أنه فى ولاية على بن سليمان على مصر(١٦٩ ـ ١٧١هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٨٧م) من قبل الهادى، أصدر قرارا بهدم الكنائس المحدثة بمصر، فهدم كنيسة مريم الملاصقة لكنيسة ابى شنودة، وهدم كنيسة مَحْرَس (محارس) قسطنطين، على الرغم من أن النصارى عرضوا عليه فى المقابل خمسين ألف دينار ليتركها، إلا انه امتنع.

وفى عام ١٩١هـ/ ٨٠٦م أمر الخليفة الرشيد بهدم الكنائس والديور.

وفى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل ايضا بتخريب كنائس النصارى المحدثة فى الاسلام، وأكد هذا الأمر فى عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م.

كما يذكر ابن سعيد انه فى عام سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م انهدمت قطعة من كنيسة أبى شنودة، فبذل النصارى للاخشيد مالا ليطلق عمارتها فقال لهم : خذوا فتيا الفقهاء. فأفتى ابن حداد بألا تعمر، وبذلك أفتى اصحاب مالك، وافتى محمد بن على بأن لهم أن يرموها ويعمروها، واشتهر ذلك عنه، فحملت الرعية إلى داره النار، وارادوا قتله، فاستتر منهم وندم على فتُياه، وشغبت الرعية وأغلقت الدروب وأحاطت بالكنيسة، فارسل الاخشيد

عساكره، ثم دعا بأبى بكر بن الحداد الفقيه وقال له : «اركب إلى الكنيسة فان كانت تبقى فاتركها على حالها، وان كانت مخوفة فاهدمها «فذهب اليها ودخلها ثم قال : «تبقى كذا خمسة عشر سنةثم يسقط منها موضع، ثم تقيم إلى تمام أربعين سنة ويسقط جميعها». وعندما علم الاخشيد بذلك تركها ولم يعمرها.

هذا بالنسبة لقرارات بناء أو هدم الكنائس فى مصر تحت الحكم العربى، والسؤال الآن : هل كانت هذه القرارات تتفق مع الدين الاسلامى ؟ اتفق كل من الماوردى وأبى يوسف وأبى عبيد على عدم استحداث كنائس فى دار الاسلام، فيقول الماوردى :« ولا يجوز أن يحدثوا فى دار الاسلام بيعة ولاكنيسة، فان أحدثوها هدمت عليهم، ويجوز أن يبنوا ما استهدم من بيعهم وكنائسهم العتيقة».

ويقول أبو يوسف :« ويمنعوا من أن يحدثوا بناء بيعة أو كنيسة فى المدينة، إلا ما كانوا صولحوا عليه، وصاروا ذمة، وهى بيعة لهم او كنيسة، فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم».

ويقول أبو عبيدة عن توبة بن النمر الحضرمى قاضى مصر عن غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«لاخصاء فى الاسلام ولاكنيسة». كما يقول هذا الحديث أيضا عن عمر بن الخطاب.

أما بالنسبة للمذاهب الأربعة، فيقول ترتون :

إن الأئمة يتفقون على عدم استحداث بيع أو كنائس فى دار الاسلام، ويرى مالك والشافعى وابن حنبل أنه لا يجوز إحداث كنيسة فيما قارب المدن والأمصار بدار الاسلام، أما ابو حنيفة فيقول بالمنع اذا كان المكان قريبا من المدينة ولا يبعد عنها بأكثر من ميل، فان زاد عن ذلك جاز للذميين البناء، أما اذا انهدم شئ من كنائسهم وبيعهم فى دار الاسلام وأرادوا ترميمه أو تجديده جاز لهم ذلك فى رأى ابن حنبل والشافعى ومالك، اما ابو حنيفة فيجيزه لهم اذا كانت الكنيسة او البيعة فى ارض فتحت صلحا، اما اذا كانت قد فتحت عَنْوَة فانه لا يجوز لهم ذلك، وقد ذهب بعض أصحاب أحمد

وجماعة من اعلام الشافعية كأبى سعيد الاصطخرى وأبى على بن ابى هريرة إلى أنه لايجوز للذميين ترميم ما تشعث، ولا تجديد بناء على الاطلاق، ولأحمد رواية ثانية أنه يجوز ترميم ما تشعث دون ما استولى عليه الخراب، اما الرواية الثالثة فهى تجيز ذلك لهم على الاطلاق.

واذا كان كتاب الأم للشافعى يورد اراء الشافعى وليس آراء تلاميذه - كما يقول تريتون - فقد كان المفهوم سنة ٢٠٠هـ عدم استحداث كنائس فى امصار مصرها المسلمون، اما إن كانوا فى قرية يملكونها منفردين، فلم يكن هناك مايمنعهم من إحداث الكنائس.

وهكذا يظهر لنا أن قرارات بناء أو هدم الكنائس كانت تتوقف على طبيعة الفتح العربى للبلد لذلك يقول القلقشندى فى كتابه تحت عنوان :

(فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة).

«ومنها - أنهم لايحدثون كنيسة ولا بيعة فيما احدثه المسلمون من البلاد: كالبصرة، والكوفة، وبغداد، والقاهرة، ولا فى بلد اسهم أهلها عليها : كالمدينة واليمن. فان احدثوا فيها شيئا من ذلك نُقض، نعم يترك ماوجد منها ولم يعلم حاله لاحتمال اتصال العمارات به.

وكذلك لا يجوز إحداث الكنائس والبيع فيما فُتح عنْوة، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء. أما ما فتح صلحا بخراج على أن الرقبةلهم، فيجوز فيها إحداث الكنائس وابقاء القديمة منها، فان الأرض لهم. وان فتحت صلحا على أن تكون لنا : فان شرط إبقاء القديمة بقيت وكأنهم استثنوها، ويجوز لهم إعادة المتهدمة منها، وتَطْيين خارجها دون توسيعها».

وبالنسبة لمصر فقد اختلف المؤرخون فى طبيعة الفتح العربى لمصر، وبعد دراستنا لطبيعة الفتح العربى لمصر - وذلك فى فصل سابق - وجدنا ان مصر فتحت صلحا اذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب والاقباط أهل البلاد، كما أنها فتحت عَنْوَة اذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب والروم المسيطرين على الحكم. على اية حال، فقد نص الصلح الذى تم بين عمرو بن العاص والأقباط - كما ذكرنا سابقا - على الآتى : هذا ما أعطى عمرو بن العاص لأهل مصر

من الامان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لايدخل عليهم شئ من ذلك ولاينتقض».

كما ذكرت سابقا ايضا أن شروط صلحهم كانت ستة شروط كما اشارت إليها المصادر العربية : لايخرجون من ديارهم، ولا تنزع نساؤهم ولا ابناؤهم، ولا كنوزهم، ولا ظاراضيهم، ولايزاد عليهم، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم. وهكذا نستطيع أن نقول تبعا لنص الصلح وللشروط الستة أن الأقباط في مصر كان لهم الحق في بناء كنائس جديدة لأن الأرض ملكهم وقد ذكرنا سابقا أن الأقباط كانوا يملكون الاراضي، وقد ضربنا المثل بالمرأة القبطية التي كانت تملك اراضي شاسعة في قرية طاء النمل، لذلك فعندما أنكر الجند على مسلمة موافقته على بناء كنيسة لهم، اخبرهم انها في ارضهم.

كما كان لهم الحق بالتالي في الابقاء على الكنائس القديمة وترميمها، لانهم اعطوا الأمان عليها.

وهكذا لم يكن هدم أو بناء الكنائس في مصر تبعا للصلح الذي تم في وقت الفتح بين عمرو بن العاص والأقباط، وانما يتوقف على سياسة الحاكم واليا كان أم خليفة، وهو ما يفسر لنا التناقض في قرارات الولاة في هذا الشأن، حيث كان بعضهم يبيح وبعضهم يمنع.

وفي ختام هذا الموضوع يجدر بنا أن نشيرإلى أن بناء المساجد، كان يستلزم نقل كثير من الأعمدة والتيجان من الكنائس، لاستخدامها في بناء المساجد، وترى الدكتورة سيدة كاشف أنه لا يجب أن يتطرق إلى أذهاننا أن الكنائس خربت عمدا لتسد حاجة البناء في المساجد، وخاصة في العهد الأول للاسلام، وانما كان من السهل أن يأخذ العرب بقايا ما خربه الفرس اثناء غزوهم لمصر قبيل الفتح العربي.

على اننا نلاحظ انه على الرغم من ان نقل الأعمدة من الكنائس إلى المساجد كان أمرا شائعا، إلا أنه لم يكن موضع ترحيب دائما، فقد ذكرنا

سابقا أن أحمد بن طولون عندما أخبروه أن جامعه يحتاج إلى حوالى ٣٠٠ عمود لبنائه، وبالتالى يستلزم أخذها من الكنائس التى فى الأرياف والضياع الخراب، لم يتحمس للفكرة، حتى عرض عليه المهندس النصرانى بنائه بلا عمد إلا عمودى القبلة، وقد ذكر بعد ذلك فى خطبة له أنه رفض استخدام أعمدة الكنائس لأنه لم يكن يحب أن يدخل فيه شائبة.

كما ذكرنا أن أبا الحسن بن الطحان ترك الصلاة في جامع الجيزة، لأن محمد بن عبد الله الخازن أخذ عمده من كنيسة، وذلك على الرغم من أنه كان يصلى في جامع عمرو بن العاص والذى كانت أكثر أعمدته من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر كما ذكر المقريزى .

الرباطات

يقصد بالرباطات بيوت المسنين فى العصر الحاضر، وهى خاصة بالسيدات المسنات، ويقول المقريزى: كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط، على هيئة ما كانت عليه بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والأرامل العابدات، وكانت لها الجرايات والفتوحات، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ ».

ومن الرباطات التى كانت بالقرافة:

رباط الأشراف:

كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء، وبنى عبد الله، وبمسجد القبة، وهو شرقى بستان ابن نصر. بناه أبو بكر محمد بن على المادرائى ووقفه على نساء الأشراف

الفصل الثالث

العمائر التجارية

. القيساريات .

. الفنادق .

الفصل الثالث

العمائر التجارية

اقتضى النشاط التجارى فى مصر، بناء العمائر التجارية التى كانت ـ فى فترة بحثنا ـ تنقسم إلى القيساريات والفنادق.

أولا : القيساريات:

وكانت القيساريات تتكون عادة من مجموعة من المبانى العامة بها حوانيت ومصانع ومخازن وأحيانا مساكن وبها كذلك أروقة. والكلمة مشتقة من لفظ يونانى معناه السوق الامبراطورية، مما يدل بوضوح على أنها كانت من إنشاء الدولة، أما فى مصر الإسلامية فيبدو أنها كانت من إنشاء التجار وكبار رجال الدولة .

ومن القيساريات التى بنيت فى مصر فى فترة بحثنا، يذكر ابن عبد الحكم أن عبد العزيز بن مروان بنى قيسارية العسل، وقيسارية الحبال، وقيسارية الكباش، كما بنى قيسارية عبد العزيز التى كانت تختص ببيع البز، وقد سماها العامة قيسارية أبى مرة وهى خطة كعب بن عدى العبادى فاشتراها عبد العزيز منه وبنى بها حماما لابنه زبان كما ذكرت سابقا ، ويبدو أنه أطلق عليها قيسارية عبد العزيز نسبة له. كذلك يذكر ابن عبد الحكم أن هشام بن عبد الملك قد بنى قيسارية تعرف بقيسارية هشام، وكان يباع فيها البَزّ الفسطاطى، وكانت تقع فى الفضاء بين القصر وبين البحر. وعن سبب بناء هذه القيسارية يقول الكندى :« كتب الحر (أى الحر بن يوسف) إلى هشام يعلمه أن النيل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن بالبناء فيها، فإن الناس مضطرون إليها. فأذن له فى بنائها قيسارية، فابتدأ فى بنائها فى رجب سنة سبع ومائة، وفرغ منها فى سنة ثمان ومائة، وهى قيسارية هشام التى عند الجسر ».

قيسارية نكا. وربما كانت نسبة الى نكا الأعور الذى تولى مصر من قبل المقتدر بالله عام ٣٠٢ ـ ٣٠٧ هـ/ ٩١٥ ـ ٩١٩م.

قيسارية ابن أبي الثريا. ويقول عنها ابن دقماق إنها كانت من خطة النضر بُشَير بن عمرو المزنى، ثم إلى ابنه بشير، وكان قاضيا بمصر زمن عبد العزيز بن مروان عام (٦٨ ـ ٦٩هـ/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨م)، ثم صارت فى أيدى جماعة من مزينة، ثم صار بعضها لأبى الثريا أحد غلمان محمد بن تكين امير مصر (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، وتوفى أبو الثريا فى عام٣٦٩هـ/ ٩٧٩م.

قيسارية الأنماط القديمة . وهى خطة عمرو بن أبى سحابة اليحصبى، وقد صارت إلى الشريف أبي عبد الله الحسن بن محمد طباطبا الحسينى فبناها، وسكنها أصحاب الأنماط فى عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م.

قيسارية نحرير. بعقبة بنى فليج وهى منسوبة إلى نحرير الأزغلى.

القيسارية المقابلة لمسجد جبر بن القاسم كانت قديما لعلى بن محمد الأسدى الكاتب، من أصحاب خمارويه بن أحمد بن طولون، وقد توفى عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م.

قيسارية بدر الخفيفى.

ثانيا: الفنادق :

أما الفنادق، فيقصد بها العمائر التى انشئت لا قامة التجار الأجانب، تسهيلا لاقامتهم فى البلاد، وقيامهم بالصفقات التجارية، وكانت إدارة الجمارك بالموانىء (الديوان) هى الهيئة التى تشرف على هذه الفنادق، وتكلف بالسهر على سلامتها ودفع إيجارها واصلاحها . وكان كل فندق يشرف عليه موظف يعرف بالفندقى تختاره الجالية التى يتبع لها الفندق وهو الذى يمثلهم أمام السلطات.

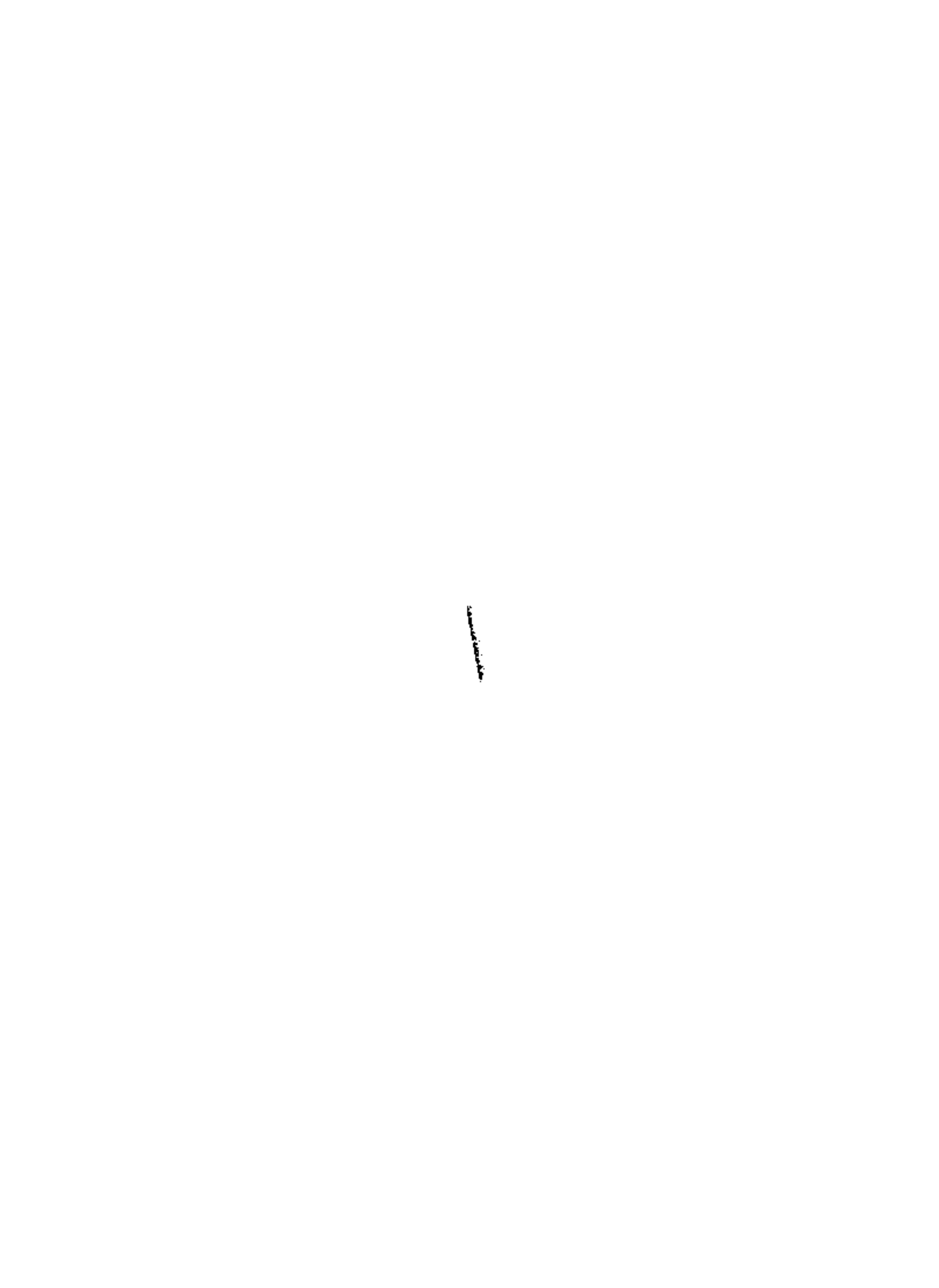
وكان يسمح لبعض الفنادق احيانا بايواء الاجانب المارين بمصر أو الاسكندرية والشام، أو لحجاج بيت المقدس وسيناء لبعض ليال نظير دفع نفس الأجر الذى يدفعه التاجر عن كل ليلة يقضيها.

والفندق هو بناء ضخم مربع على شكل الحصن، امتدت خارجه حدائق غرست بها بعض الأشجار. وكان الفندق يتألف من عدة طوابق، وفي الدور الأرضي منها كانت توجد المخازن والحوانيت التي تطل على فناء داخلي فسيح يسمح بتعبئة البضائع وتفريغها، بينما تضم أدواره العليا مساكن التجار الذين كانوا ينامون فيها، ويغلقون غرفهم بأقفال رومية. وكلمة فندق كلمة يونانية الأصل.

ومن الفنادق التي ظهرت بفسطاط مصرفي فترة بحثنا (من الفتح العربي الى بداية الدولة الفاطمية):

فندق حوى بن حوى العذرى : وكان يوجد بعقبة النجارين، وكان نافذا الى دار العنقود، فسد الباب، وهو الباب الحجر المقابل لدار العنقود. وحوى هذا من أهل وادي القرى، ذكره ابن يونس، وقد توفي بمصر سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م.

فندق ابن حرمه : وهو بأول سوق العداسين، وكان أمراء مصر ينزلون في المسجد الذى على بابه من زمن الفتح الى ايام يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣م).



الخاتمة

بعد أن تتبعنا في الأبواب والفصول السابقة التحول الذي طرأ على المجتمع المصري بعد الفتح العربي، يجدر بنا هنا أن نوجز مظاهر هذا التحول كما أسفرت عنها هذه الدراسة.

لقد أبقى العرب بعد دخولهم مصر على جميع الأنظمة التي كانت سائدة فيها في العصر البيزنطي، نظرا لأنه لم يكن لديهم أنظمة أفضل منها يطبقونها من ناحية، ولأن هذه الأنظمة كانت تخدم مصالحهم من ناحية أخرى.

وبالنسبة للملكية العقارية في مصر، فقد اختلف المؤرخون في طبيعة الفتح العربي لمصر وانقسموا الى ثلاث فرق:

الفريق الأول : يرى أن مصرقد فتحت صلحا .

الفريق الثاني : يرى أن مصر قد فتحت صلحا ما عدا الاسكندرية وثلاث قرى هي : سلْطِيْس، ومِصيل، وبَلْهيب.

الفريق الثالث : يرى أن مصر قد فتحت عَنْوَة.

وقد تبين لي من بحث هذه الآراء أن فتح العرب لمصر كان عنوة وصلحا في نفس الوقت، فهو عنوة من زاوية العلاقة بين العرب والبيزنطيين، وهو صلح اذا نظر اليه من زاوية العلاقة بين العرب والأقباط.

وكان السؤال الذي طرحته كيف انعكست طبيعة الفتح العربي على الملكية العقارية في مصر؟

لقد كانت الأراضي في مصر قبل الفتح العربي تنقسم الى ثلاثة أنواع:

النوع الأول : أراضي التاج البيزنطي، وأراضي الاقطاعات العسكرية وأراضي الاقطاعات التي منحت للشخصيات الكبيرة المنتمية للحكم السابق.

النوع الثاني : الأراضي المقدسة سواء التي خصصت للكنائس أو التي خصصت للأديرة.

النوع الثالث : الأراضي التي كانت مع الأقباط.

وبالنسبة للنوع الأول فقد استولت عليها الخلافة العربية، أما النوع الثاني فلم تتخذ حكومةالعرب أي موقف تجاهها إلا في إمارة عبد العزيز على مصر (٦٥ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ـ ٧٠٥م) الذي فرض الخراج على الأراضي التي تمتلكها الكنائس والأديرة.

أما بالنسبة للنوع الثالث وهي الأراضي التي كانت مع الأقباط فقد اختلف المؤرخون المحدثون في شكل الملكية العقارية فيها، هل كان للمصريين حق الملكية التامة أو كان لهم حق الانتفاع فقط؟ وقد وجدت أن هذا الخلاف لم يكن فقط يرجع الى الاختلاف حول شكل الملكية العقارية في مصر قبل الفتح، بل يرجع أيضا الى الاختلاف حول طبيعة الفتح العربي لمصر.

على أية حال فقد اتفق المؤرخون على أن أراضي مصر سواء فتحت صلحا أم عنوة هي أرضي خراجية .على أن هذا لم يمنع في رأيي من وجود الأراضي العشرية نتيجة لا ستيلاء الدولة الحاكمة على أراضي البيزنطيين والأراضي التي تركها أهلها أو أراضي من قتل منهم في الحرب، وجميع الأراضي التي ليس لها صاحب .

وقد تمثلت أشكال الحيازة العقارية في مصر بعد الفتح العربي في ثلاثة أشكال :

الشكل الأول : الاقطاع، وكانت هناك الى جانب اقطاعات العرب، اقطاعات أخرى للأقباط .

الشكل الثاني : الأحباس أو الأوقاف، وكانت توقف على المشروعات الخيرية، ويشرف عليها القضاة .

الشكل الثالث : نظام القَبّالات، وهو منح حق جباية الضرائب، وخاصة خراج الأرض، في مزادات علنية .

أما بالنسبة للنظام المالي المتمثل في جباية الخراج والجزية، فقد كان استمرارا للنظام البيزنطي وذلك من نص أورده ابن عبد الحكم يقول فيه: «كان عمرو بن العاص، لما استوثق له الأمر، أقر قبطها على جباية الروم»،

وبالنسبة للجزية فكان يدفعها أهل الذمة، وإن كان بعض عمال الخراج عمدوا الى تحصيلها ممن اسلم منهم، على اعتبار ان الاسلام اضر بالجزية.

وبالنسبة لطبقة الفلاحين، فقد كانت عند الفتح العربى من الاقباط، وظلت كذلك بعد الفتح العربي حوالي قرن من الزمان خاصة مع تحريم عمر بن الخطاب على الجند في مصر العمل بالزراعة، ثم دخل العرب في هذه الطبقة مع مجيء قبيلة قيس إلى مصر عام ١٠٩ هـ /٧٢٧م، ونزولها بلبيس فقد كان مجيئوها مشروطا بعملها بالزراعة، وبعد مرور حوالي قرن اخر على مجيءقبيلة قيس أسقط المعتصم العرب من الديوان، فلم يكن أمامهم سوى الاشتغال بالحرف المختلفة التى كان من ضمنها الزراعة.

أما بالنسبة لطبقة الصناع التى كانت تتكون من الأقباط فقد استمرت فى عملها بالصناعة بعد الفتح العربى لمصر، وحتى بعد سقوط العرب من الديوان وعملهم فى شتى مجالات الحياة المختلفة.

وبالنسبة لطبقة التجار التى كانت تتركز في الاسكندرية وتتكون من اليهود خاصة ومن الروم والاقباط والسوريين وعناصر أخرى، فبعد الفتح العربى لمصر أضيفت إليها طبقة من التجار العرب الذين استوطنوا مصر.

كما أضيفت إليها طبقة من تجار فارس فى الدولة الطولونية، وفى الدولة الاخشيدية أضيفت إليها أيضا طبقة من اليهود من سوريا.

وقد استطاعت طبقة التجار أن تكون ثروات طائلة من عملها بالتجارة، انعكس بالتالى على نفوذها السياسى، اذ استطاعت أن تتولى أعلى المناصب فى الدولة.

وبالنسبة للنظام الادارى فقد أبقى العرب على الموظفين فى وظائفهم، وكان هؤلاء الموظفون إما عمال من القبط أو عمال من الروم، واحتفظوا لأنفسهم بالمناصب الرئيسية مثل : الوالى وصاحب الخراج وصاحب الشرطة وغيرها ـ التى تمكنهم من تاكيد سيطرتهم، كما تضمن لهم خدمة مصالحهم.

ثم مـا لبث أن تغـيـر هذا الوضـع ـ بعـد فـتـرة من الفـتح ـ تحت عـاملين أساسيين هما :

١ ـ تعريب الدواوين.

٢ ـ تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة في وظائف الدولة.

وكان الدافع وراء هذين العاملين ـ كما أثبتنا ـ هو توافر طبقة من العرب يستطيعون أن يتولوا الوظائف بدلا من أهل الذمة. على أن الحاجة الى استخدام الأقباط في الوظائف الحكومية ظلت قائمة، والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر من أسماء لموظفين أقباط طوال الحكم العربي.

وقد اختلف الأمر بالنسبة للنظام الحربي، فقد حل الجيش العربي محل الحاميات العسكرية الرومانية، وحرم على جنوده العمل بأى مهنة أخرى غير الجهاد حتى يظل على أهبة الاستعداد للحرب. ولكن الى جانب هذا الجيش النظامي، كان هناك جيش من المتطوعة كانوا أحرارا في العودة الى ديارهم وأعمالهم بعد انتهاء الحرب. و لم يشترك المصريون الأقباط في الجيش، بل كانوا يدفعون الجزية لقاء اعفائهم من الجندية.

على أن هذا الجيش العربي قد أصابه الكثير من التغيير على مر الزمن وفقا للتطورات التي حدثت في الخلافة نفسها من حيث سيطرة العرب أو الفرس أو الترك، فعندما كانت هذه السيطرة في يد العرب، كان الجنس العربي هو المكون للجيش، وقد استمر ذلك حتى نهاية الدولة الأموية، فلما سقطت هذه السيطرة في يد الفرس مع الدولة العباسية، لم يعد الجنس العربي وحده هو المكون للجيش، حتى اذا ماوصلنا الى زمن المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) الذى استكثر من الترك، وانتقلت السيطرة اليهم، وجدنا المعتصم يأمر واليه على مصر كيدر نصر بن عبد الله (٢١٧ ـ ٢١٩هـ/ ٨٣٢ ـ ٨٣٤م) باسقاط العرب من الديوان وقطع أعطياتهم وكان ذلك عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وكان من نتيجة ذلك تحول العرب من طبقة عسكرية الى طبقة مدنية، فاحترفوا الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من المهن والحرف التي كانت حتى ذلك الوقت وقفا على أهالي البلاد .

هذا فيما يتعلق بالجيش أما فيما يتعلق بالأسطول، فلم يختلف الوضع عما كان عليه في مصر البيزنطية، فقد اعتمد العرب اعتمادا كليا على الأقباط في العمل على الاسطول كملاحين وعمال وليسوا كمقاتلين، كما استمروا على سياسة الدولة البيزنطية في الاستعانة بخبرة الأقباط في تصنيع السفن .

وبالنسبة للنظام القضائي فقد تغير في مصر بعد الفتح العربي وفقا لشريعة الفاتحين الجدد وهي الشريعة الاسلامية، ولكنه احتفظ بالهيكل القديم مع تغيير مسمياته ووظائفه.

لقد كان النظام القضائي البيزنطي يقوم على أربعة أنواع من المحاكم:

النوع الأول : وهو المحاكم العادية.

النوع الثاني : وهو محكمة الامبراطور.

النوع الثالث : وهو القضاء الكنسي أو المحاكم الكنسية.

النوع الرابع : وهو المحاكم العسكرية .

وقد أبقى العرب على هذا الهيكل مع تغيير مسمياته ووظائفه كما ذكرنا، وهو ما أثبتناه في الرسالة، فكان في العصر الاسلامي أربعة أنواع من المحاكم:

النوع الأول : وهو المحاكم العادية، وكانت هذه المحاكم تتبع الشريعة الاسلامية سواء في اختيار قضاتها أو في أحكامها أو غير ذلك.

النوع الثاني : وهو محكمة الخليفة أو كما تسميه المصادر العربية النظر في المظالم، وكانت تقابل محكمة الامبراطور في العصر البيزنطي .

أما النوع الثالث : فهو محاكم أهل الذمة، وقد أثبتنا أن هذه المحاكم تقابل المحاكم الكنسية في العصر البيزنطي، وكان يتولى القضاة فيها رجال الدين من أهل الذمة، الذين ترك لهم العرب أمر قضائهم.

وقد تقلصت سلطة هؤلاء القضاة الذميين لأن العقوبات التي كانوا يحكمون بها كانت عقوبات دينية فقط، وأصبح من مصلحة الذمي اللجوء الى القضاء الاسلامي لأنه أنفذ وألزم.

أما النوع الرابع والأخير وهو قضاء الجند، فقد اختلف عن المحاكم العسكرية فى الدولة البيزنطية، ففى حين كانت هذه المحاكم دائمة، فان محاكم قضاء الجند فى الدولة الاسلامية اقتصرت على وقت الحرب فقط.

أما بالنسبة لتعريب المجتمع المصرى،فقد جرى هذا التعريب من خلال العوامل الآتية:

١ـ هجرة القبائل العربية.

٢ـ انتشار اللغة العربية.

٣ـ انتشار الاسلام.

وقد ارتبطت هذه العوامل ببعضها البعض، فقد أدى نزوح القبائل العربية الى مصر ونزولها فى الريف الى اختلاطها بالأهالى، وهذا أدى الى انتشار اللغة العربية. كما أدى الى انتشار الاسلام .

وقد اختلف الأمر بذلك عما كان عليه قبل الفتح العربى، فلم يختلط الرومان أو البيزنطيون بالمصريين، وانما عاشوا فى مصر كطبقة حاكمة، ولذلك لم يكن لهم تأثير على المصريين سواء من حيث العادات والتقاليد أو اللغة .

وقد تبع التحول فى المجتمع المصرى من مجتمع قبطى ـ بيزنطى الى مجتمع عربى تحول فى العادات والتقاليد، وفى الأعياد والمواسم، وفى الطعام والشراب وغير ذلك .

وفى الوقت نفسه حدث تحول كبير فى الحركة الفكرية فى مصر. فقد كانت مركز الحركة الفكرية قبل الفتح العربى الاسكندرية، وعندما فتح العرب مصر انتقل هذا المركز من الاسكندرية الى الفسطاط العاصمة الجديدة للعرب، وإن لم يتأثر مركز الاسكندرية كثيرا بهذا الانتقال خصوصا فيما يتعلق بالعلوم الفلسفية.

وقد مرت الحركة الفكرية فى مصر بعد الفتح العربى بمرحلتين:

المرحلة الأولى : من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الاسلامية والأدبية.

والمرحلة الثانية: ما بعد حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الفلسفية.

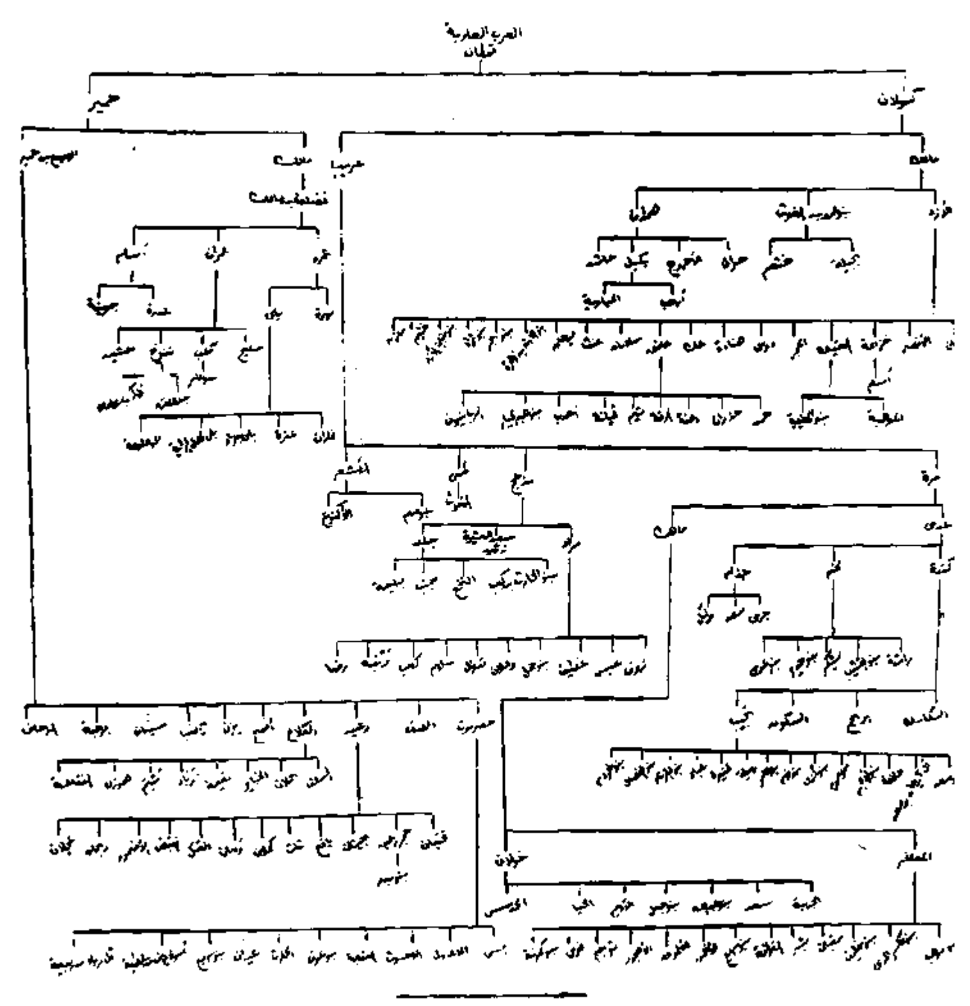
كذلك كان من أهم الميادين التى حدث فيها تحول كبير ميدان الفنون. فقد كان تغير الفن فى مصر ضرورة فرضتها طبيعة النظام العربى الجديد الذى يدين بالديانة الاسلامية، فظهر ما يعرف بالفن الاسلامى، ولم يكن فنا عربيا بحتا وانما هو فن مصرى اسلامى، طبعه العرب بطابع دينهم.

وقد تأثرت بهذا التحول أيضا حركة البناء والتشييد فى المجتمع المصرى، وان ظل يقوم بها البناءون الأقباط. وقد كان من نتيجة التحول العربى للمجتمع المصرى أن تغيرت أهمية الحواضر والمدن مع انتقال السيطرة من القسطنطينيةفى أوربا الى المدينة فى شبه جزيرة العرب، فبعد أن كانت عاصمة مصر هى الاسكندرية أصبحت هى الفسطاط. فتناولت بناء كل من العواصم والمدن الجديدة فى المجتمع المصرى العربى الجديد.

وقد ظهرت فى هذا المدن المساجد والجوامع تبعا لديانة العرب المسيطرين على الحكم، وفى المقابل تعرضت الكنائس التى فى العهود السابقة للهدم، ولكن عملية الهدم هذه لم تكن سياسة ثابتة، وانما خضعت لسياسة كل من الوالى أو الخليفة.

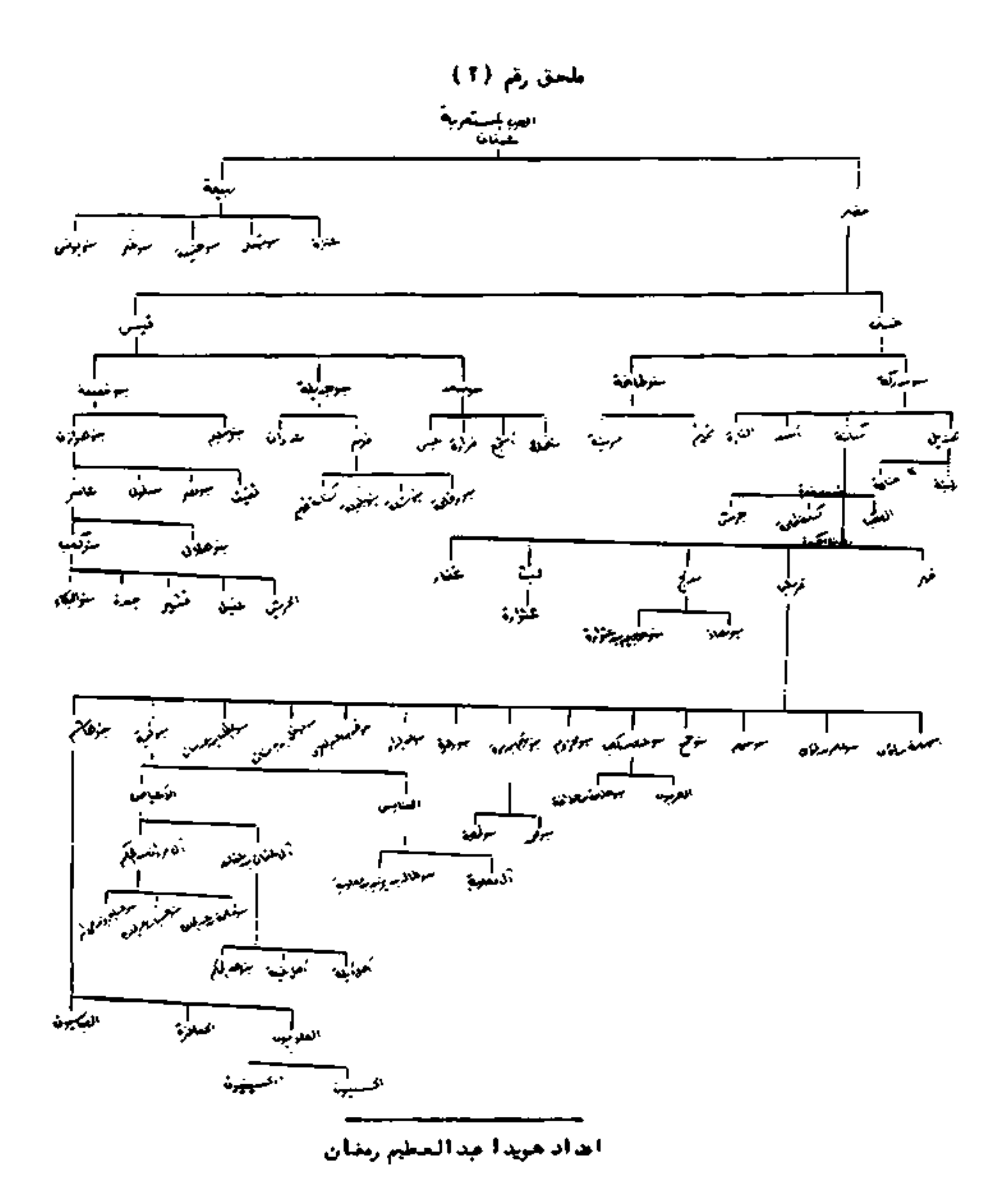
ومن هذا العرض يتضح حجم التحول الهائل الذى طرا على المجتمع المصرى بعد الفتح العربى .

ملحق رقـــم (١)

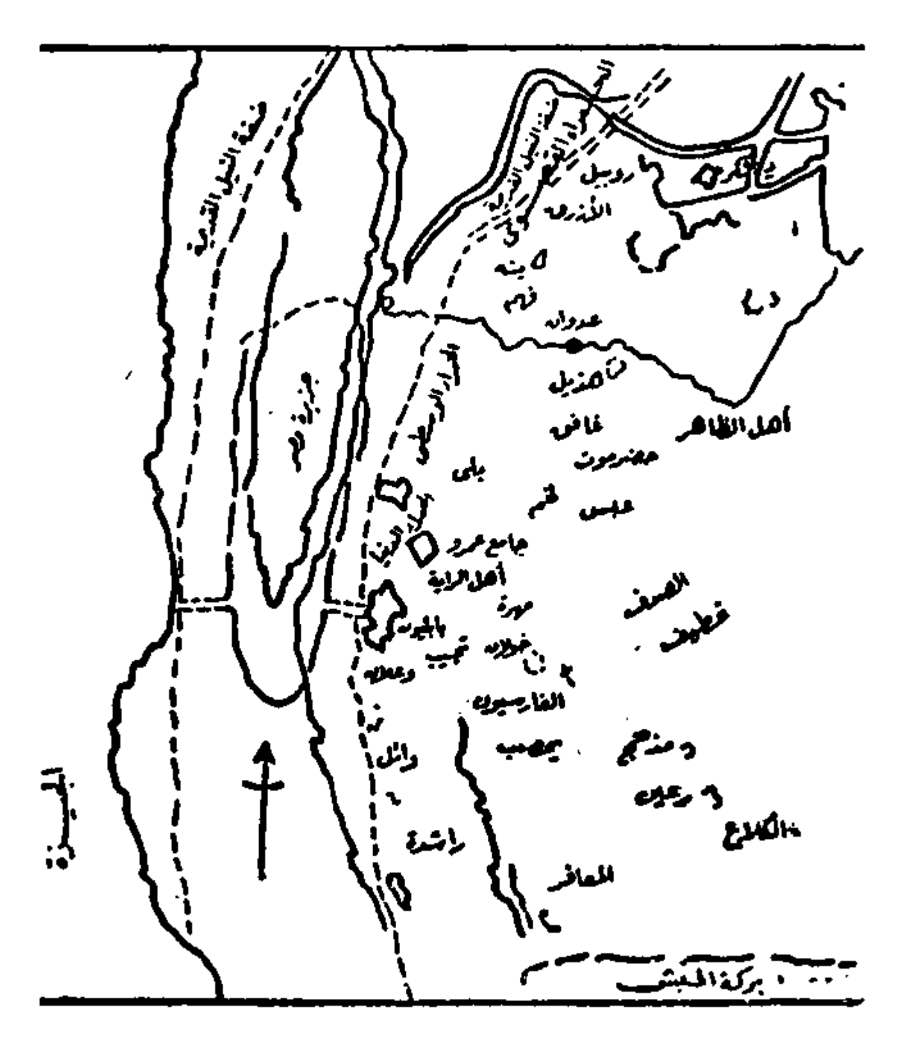


اعداد هويدا عبد العظيم رمضان

ملحق رقم (٢)



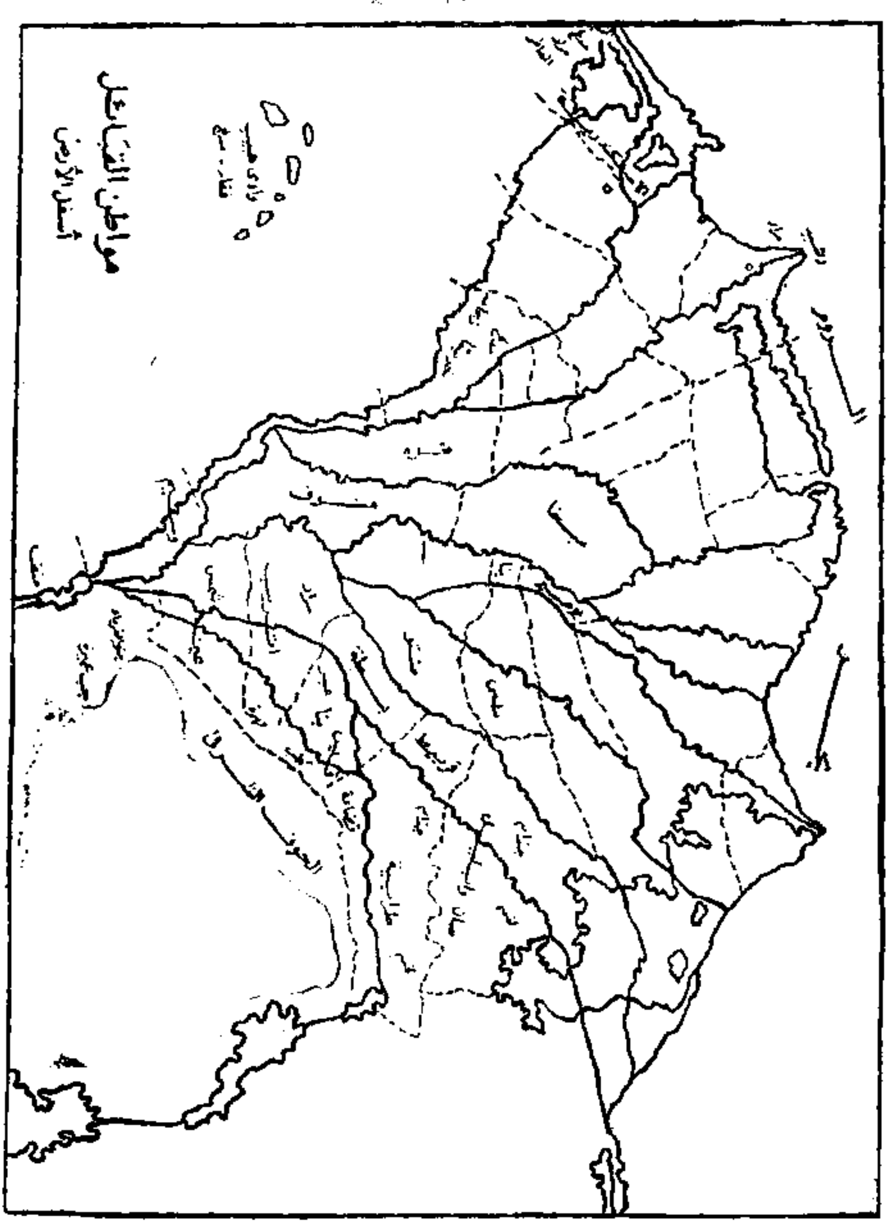
اعداد هويدا عبدالعظيم رمضان



خطط الفسطاط سنة ٢١هـ

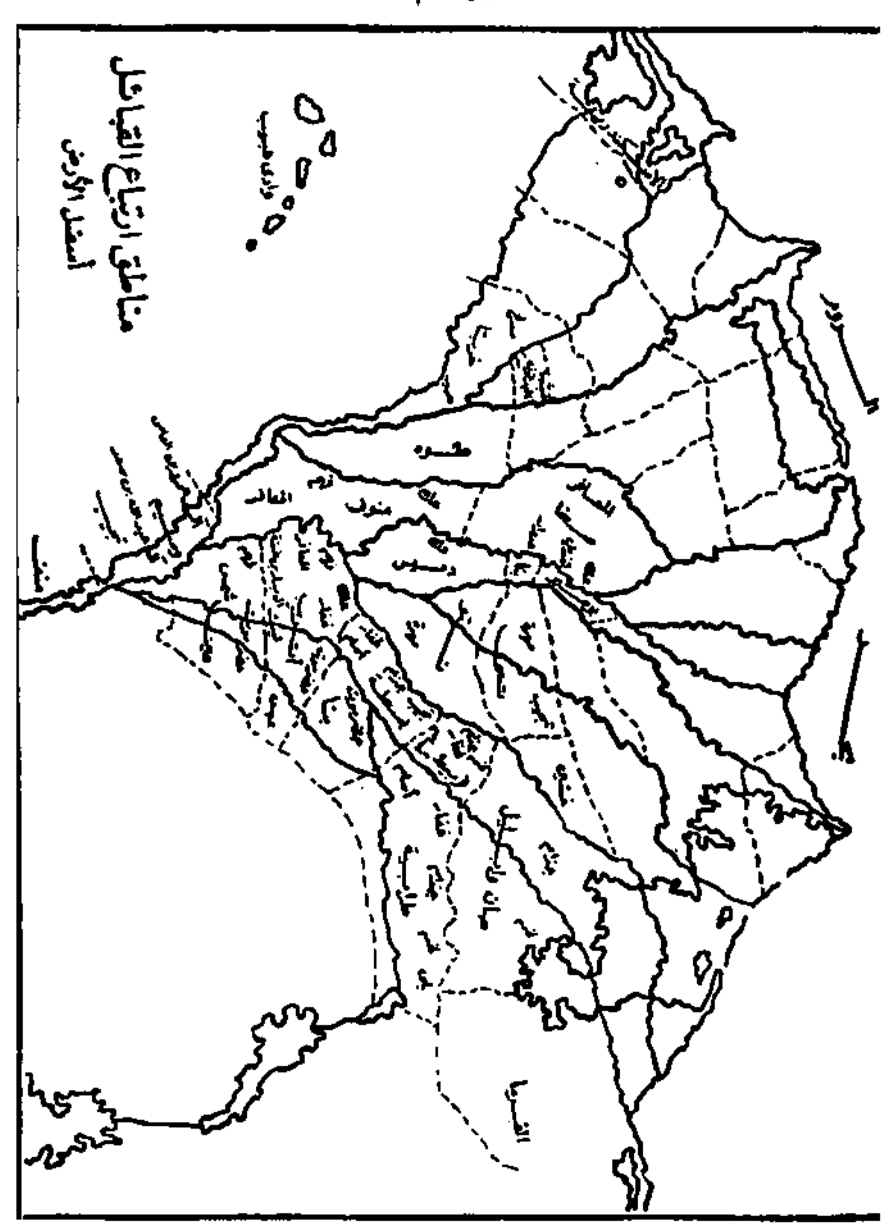
من كتاب مصر فى فجر الاسلام - للدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف

ملحق رقم (٤)



من كتاب القبائل العربية في مصر - للدكتور عبد الله خورشيد

ملحق رقم (٥)



من كتاب القبائل العربية في مصر - للدكتور عبد الله خورشيد

ملحق رقم (٦)

عقد الزواج رقم ١٥٩ مؤرخ في شهر ربيع الأول سنة ٢٥٩ هـ.

[جروهمان: أوراق البردي العربية، السفر الأول]

١ بسم الله ا[لرحمن الرحيم]

٢ [ه]ـذا ما أصدق إسـ[ـمعيل مولى أحمد] بن مروان القر[شي] بمدينة أشمون عايشة

٣ [إ]بنت يوسف السا[كنة . . . . عند ما خطب]ها الى نفسها وه[ي ا]مرأة أيم بالغ بعد أن فو[ضت]

٤ [ام]رها الى جدّها [يعقوب] بن اسحق ال[. . . . و] أشهدت له شهود

٥ [بـ]توكيلها إياه فقبل وكا[لتـ]ـها وانفذ [نكاحـ]ـها وأصـ[ـدقها] إسمعيل مولى

٦ [أ]حمد بن مروان القرشي أربعة دنانير مثاقيل طرا جياد وازنة يعجل لها

٧ [ا]سمعيل دينرين مثقالين نقدا حالا معجلا ويبقى لعا[يشـ]ـة إبنت يوسف

٨ على زوجها إسمعيل مولى أحمد بن مروان دينرين مؤخرين الى خا[مسة] سنين

٩ أولهم شهر ربيع الا[ول] سنة تسع وخمسين ومائتين وشرط اسمعيل مولى

١٠ أحمد بن مروان لامرأته عايشة تقوى الله العظيم بحسن الصحبة والمعاشرة

١١ كما أمر الله عز وجل وسنة محمد صلى الله عليه وسلم على

١٢ الإمساك بالمعروف أو التسريح بالاحسان وشرط اسمعيل

١٣ مولى أحمد أن كل امرأة يتزوجها على إمرأته عايشة ابنت يوسف

١٤ [تقـ]ـدم تلك المرأة بيد عايشة تطلق كيف [شـ]ـاءت من الطلاق

١٥ وولى عقدة هذا النكاح يعقوب بن اسحق فقبل الوكالة وأنفذ

١٦ النكاح ورضى اسمعيل بالمهر المعجل والمؤخر والشروط المسميات

١٧ في هذا الكتاب وألزم ذلك نفسه في صحة عقله وبدنه وجواز

١٨ أمره لا علة به من مرض ولا عرة في شهر ربيع الأول سنة تسع

١٩ وخمسين ومائتين وشه[ـد على] ذلك

ملحق رقـــم (٧)

عقد الزواج المرموز له برقمي ١٤٠ + ٨٦ مؤرخ فى العشر الأواخر من شهر شعبان سـنة ٢٧١ هـ.

[جرومان: أوراق البردى العربيه ، السفر الأول]

١ [بســـم الله الرحمن الرحيم]

٢ هذا ما أصدق ي[حنس بن شنوده الساكن م]دينة أشمون دروا ابنت

٣ شنوده [الساكنة مدينة كذا عند ما خطبها الى نفسه]ا وهى امرأة أيم بالغ تلى

٤ نفسها . . [. . . . . فلان بن فلان البق]ال وأشهدت له شهودا

٥ بتوكيلها إياه فى إن[كاحها] ن فأصدقها أ[ر]بعة دنانير

٦ عينا ذهبا لمرأته فإ[ل اصابته بها] ودخوله عليها دينرين نقدا جياد

٧ معجلا وأخرت . . [ ] صداقها على زوجها يحنس بن شنوده

٨ خمسة سنين متواليات أ[ولهن] شعبان من سنة إحـ]دى وسبعين ومايتين وعليه تقوا

٩ الله وحده لا شريك له و[احسان صحبته]ا وقد أوصل يحنس بن شنوده الدينرين

١٠ المعجلين الى امراته دروا [ابنت شنوده . . . . .] ىله وأقرت بوصولها اليها وذلك

١١ فى العشر الأواخر من شعبا[ن سنة إحد]ى [و] سبعين ومائين شهد على ذلك

١٢ ا[بر]ه[يم . . . .]

تابع ملحق رقـــــم (٨)

١٢ [أن يـ]ـتق الله وحده لا شريك له ويحسن صحبتها وعشرتها ولا يضار بها ويفعل ما أمره الـ[ـله]

١٣ [وسنة مـ]ـحمد صلى الله عليـه وسلم على ما أمر الله به من الامساك بالمعروف أو التسريح باحـ[ـان]

١٤ [ ] اسحق بن سرى بانفاذه هذا النكاح على ما ذ[كرو] فسر . . . . [بعد ان قرى]

١٥ [عليهم] حرفا حرفا عرفوا ما فيه فاقروا بفهمه [ومعر]فة ما فيه من تعرفهم بأ[سمائهم وأنسابهم]

١٦ [وذلك فى] العشر الأواخر من جمـادى الآخرة من سنة تسع وسبعين ومائتين شهـ[ـد فلان بن فلان على]

١٧ [اقرار اسـ]ـحق بن سرى وعلى اقرار يعقوب بن اسحق بن يحيى بجميع ما فى هذا الكتاب النكاح [وذلك فى جمادى الآخر سنة ٢٧٩]

١٨ [ ] . . . على اقرار هنيدة ابنت اسحق بن سرى وعلى اقرا[ر] ا . . [ ]

١٩ [ ] بجميع ما فى هذا الكتاب وذلك فى جمادى الآخر [من سنة تسع وسبعين ومائتين شهد فلان بن فلان على قرار يعقوب]

٢٠ [بن اسحق النسا]ج وعلى اقرار اسحق بن سرى الطراف الأب [وذلك فى جمادى الآخر من سنة تسع وسبعين ومائتين]

٢١ [شهد] . . . . بن العباس على اقرار ا[سحق بن سرى . . . وعلى اقرار يعقوب بن]

٢٢ [اسحق و] كتب شهادته فى جمادى الآخر من سنة [تسع وسبعين ومائتين]

٢٣ [ ] . . . . على اقرار اسحق [بن سرى]

ملحق رقـــم (٨)

عقد الزواج رقم ١٢١ مؤرخ فى العشـرة الأيام الأخيره من شـهر جمادى

الآخرة ســنة ٢٧٩ هـ. [جروهمان : أوراق البردى العربية ج ١ ص]

١ [بسم الله الرحمن الرحيم]

٢ [هـذا ما أصد]ق يعقوب بن [اسـ]حق بن [يـ]حيى النسـاج الساكن مدينة أشمون هنيدة ابنت [احـ]ق بن [سرى]

٣ [عندمـ]ـا خطبها الى نفسها وهى يومئذ امرأة أيم بكـ[ـر با]لغ بعد أن فوضت أمرها الى ... [ ]

٤ [وتوكيـ]ـلها إياه فى [نكاحها مـ]ـن] يعقوب بن اسحق بن يحيى [بالـ]ـصداق العاجل والآجل [لهـ]ـا [عليه]

٥ [عجل لهـ]ـا من ذلك قبل اصابته بها ودخوله عليها دينرين نقدا حالا معجلا ... هنيدة ابنت احـ[ـق بن سرى]

٦ [بعدا]ن خلين خمسة سنين متواليات أولهن جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين وما[يتين]

٧ [وشرط احـ]ـق بن سرى شروطا أوجبها على نفسه بعد أن عقد عقدة نكاحها .. [ ]

٨ [او] ذمية فأمرها بيد امرأته هنيدة ابنت احق تطلقها عليه ما شات من [الطلاق]

٩ [جايز] عليه ولازم له وكل جارية يتخذها عليها ... [يـ]ـكون بيعها بيد امرأته هـ[ـنيدة ان شاءت عتقت]

١٠ [وان شاءت بيـ]ـعت فعتقها وبيعها جايز عليه ولازم له ولا يمنعها من أهلها ولا يمنع أهلها [منها]

١١ [احـ]ـق بن سرى بأمرها ورضانا بعد أن أشهدت له شهودا بتوكيلها إياه [وعليه]

ملحق رقم (٩)

عقد الزواج رقم ١٤٤ يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري.

[جرومان: أوراق البردي العربية، السفر الأول]

١ بسم الله الرحمن الر[ر]ح[يم]

٢ هذا ما أصدق حميد بن شهران أصد[دق من العين]

٣ الجيد [المصري ع]شرين دينارا . [تاما]

٤ [وافيـ]ا وابرائه من ذلك براة قبض واستيفى وبقى لها [كذا دينـ]ارا مؤخر لها عليه الى انقضى ثمانية حجج متواليات

٥ أولهن تاريخ هـذا الكتاب وعليه أن يتق الله عز وجـ[ـل فيها ويحسن صحبتها ب]المعروف كما أمره الله تبارك وتعالى

٦ به في كتابه وسنة محمد رسوله صلى الله عليه وعلى آ[له . . . . فيـ]ـما عليه من ذلك ودرجة زايدة كقول

٧ الله تعالى وللرجال عليهن درجة والا[له] عزيز حكيم وتولى تزويجها . . . . وبأمرها

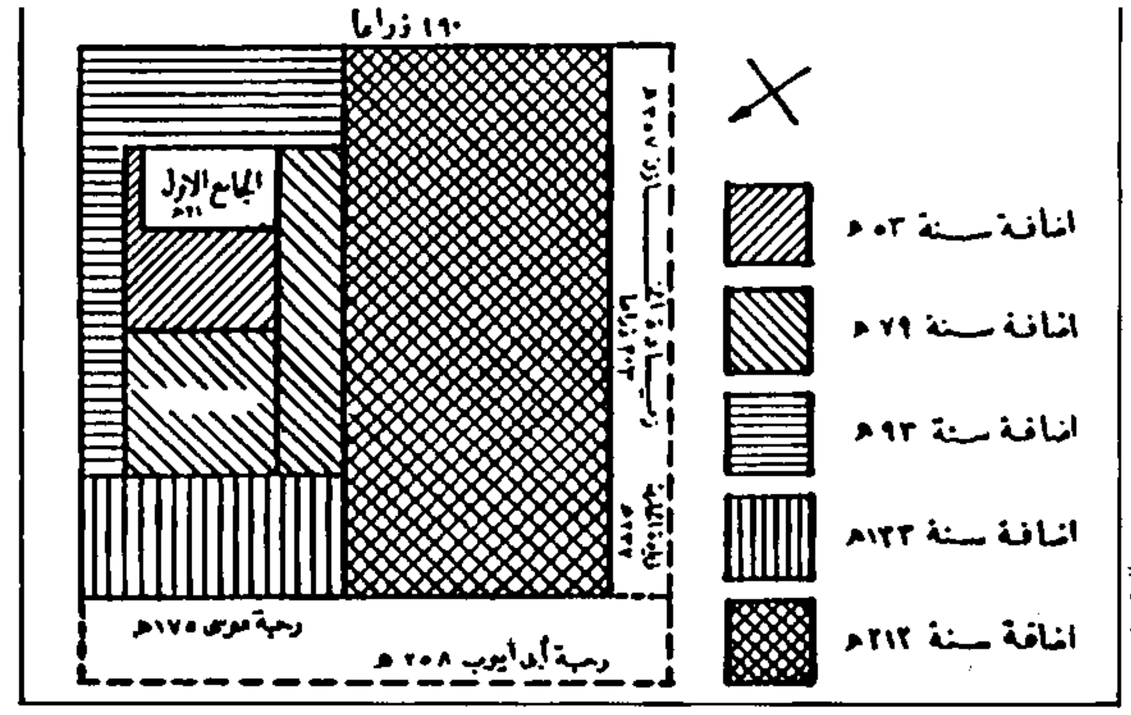
٨ ورضاتها وتوكيلها إياه بذلك وإشهادها لهـا [وعليـ]ها وهي يوميذ بنت بكر بالغ صحيحة العقل

٩ والبدن جايزة الأمر لها وعليها فـ[ـرضى حميـد بن شهران بهذا] الصداق المذكور عاجله وآجله

١٠ وعلى الشرايط المذكورة فيه وقبل ا[لزوج المذكور هـذا النكاح] المقر بمـا شرط له وعليه

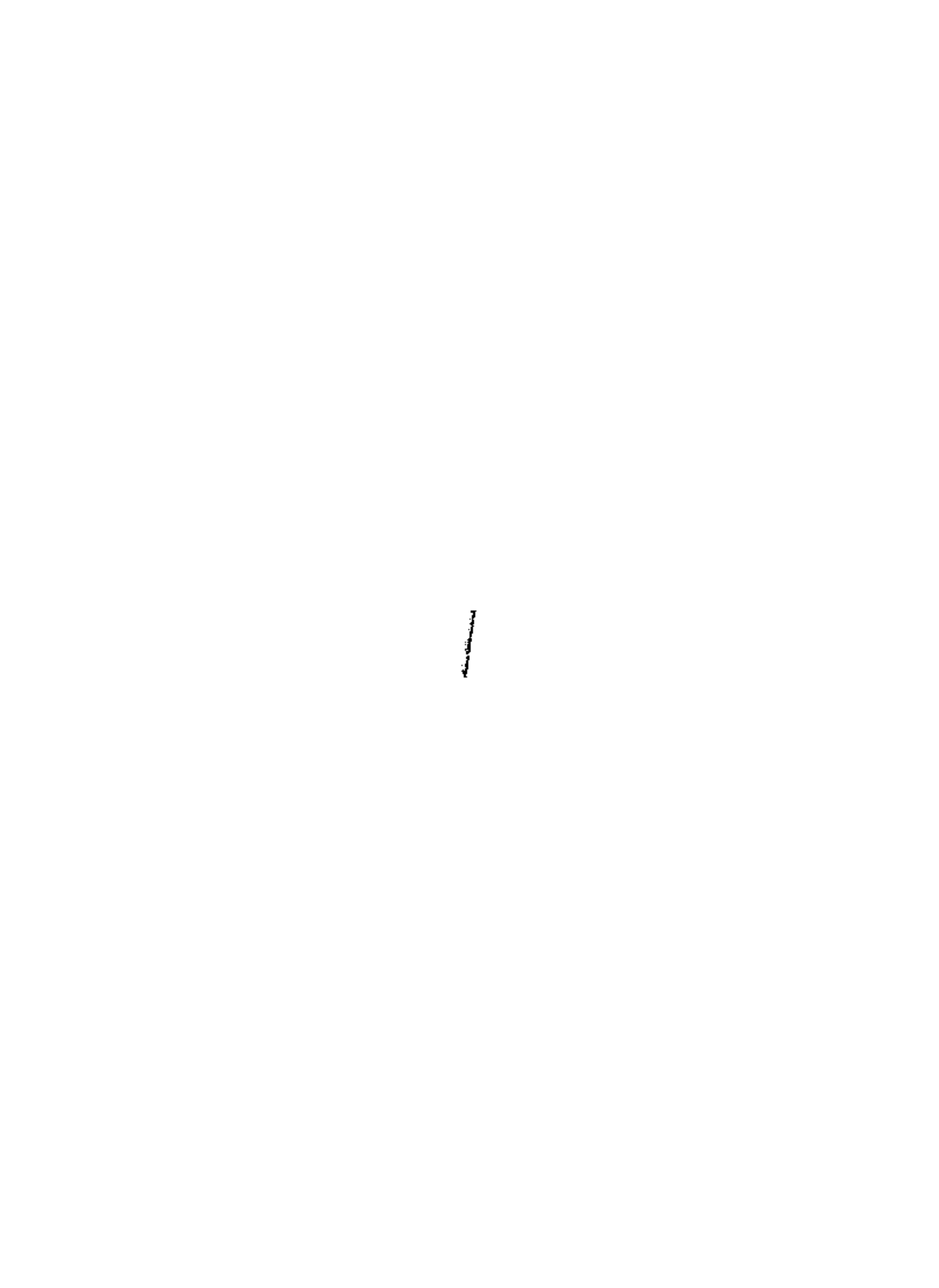
١١ بزوج . . [في صحة عقولهم وابدانهـم وجواز أمورهم طايعين غير مكرهين] و[لا مجـ]ـبرين ولا [مضـ]ـطهدين

١٢ [ ] . . .



الاضافات المتعاقبة التى طرأت على جامع عمرو بن العاص.

من كتاب العمارة الاسلامية فى مصر - للدكتور كمال الدين سامح.



المصادر والمراجع العربية والمعربة

اولا: المصادر العربية:

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكرت عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) :

١ ـ التكملة لكتاب الصلة ٢٠ جزء، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببيروت، جـ١ ١٩٥٥م، جـ٢ ١٩٥٦م.

ابن أبى اصيبعة (موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي ت عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م):

٢ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . تحقيق الدكتور نزار رضا.

دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥م.

ابن الأثير (عز الدين ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد الشيبانى ت عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

٣ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة . دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٤ـ الكامل فى التاريخ . ١٢ جزء. دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢هـ هـ/ ١٩٨٢م.

ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م):

٥ ـ معالم القربة فى أحكام الحسبة . تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان والأستاذ صديق أحمد عيسى المطيعى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٦م.

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):
٦ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور. الجزء الأول من القسم الأول. تحقيق الأستاذ محمد مصطفى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن بسام (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب عاش قبل عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م):
٧ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تحقيق الأستاذ حسام الدين السامرائي. مكتبة المعارف ـ بغداد ١٩٦٨م.

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي ت عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):
٨ ـ رحلة ابن بطوطة. دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن البيطار (ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ت عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):
٩ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ).

ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم ت عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):
١٠ـ الحسبة في الاسلام. مطبعة المؤيد ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

ابن جبير
(ابو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى ت عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

١١ـ رحلة ابن جبير. دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن جزى
(عبد الله بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي عاش الى أواخر القرن الثامن الهجرى وربما أدرك أوائل التاسع / الرابع عشر. الخامس عشر الميلاديين):

١٢ـ الخيل. تحقيق الأستاذ محمد العربي الخطابى . دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م.

ابن الجوزى
(أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ت عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

١٣ـ سيرة عمر بن الخطاب . تحقيق طاهر النعسان الحموى وأحمد قدرى كيلانى .
المكتبة التجارية الكبرى (المطبعة المصرية) . القاهرة (بدون تاريخ).

ابن حوقل
(ابو القاسم بن حوقل النصيبى ت عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

١٤ـ صورة الأرض. دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٧٩م.

ابن خردانبة
(ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت في حدود عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م):

١٥ـ المسالك والممالك. مكتبة المثنى ـ بغداد ١٨٨٩م.

ابن خلدون
(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

١٦ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر . ٧ اجزاء .
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٧ـ المقدمة. ٣ أجزاء. تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى .
دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

ابن خلكان
(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان ت عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م):

١٨ـ وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان. ٨ أجزاء .
تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الفكر ودار صادر ـ بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ابن الداية
(أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ت عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م):

١٩ـ المكافأة وحسن العقبى . تحقيق محمود محمد شاكر .
دارالكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

ابن دقماق
(ابرهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):

٢٠ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار، فى تاريخ مصر وجغرافيتها، وبآخره فهارس كتاب الانتصار. الجزء الرابع والخامس.
تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (بدون تاريخ).

ابن الراهب (ابو شاكر بطرس بن ابى الكرم المهذب المعروف بابن الراهب):
٢١ـ تاريخ ابن الراهب. مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٣م.

ابن رسته (ابو على أحمد بن عمر بن رسته ت عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م):
٢٢ـ الأعلاق النفيسة. المجلد السابع. طبعة ليدن ١٨٩١م.

ابن زولاق (الحسن بن زولاق ت عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)
٢٣ـ أخبار سيبويه المصرى . تحقيق محمد ابراهيم سعد وحسين الديب. مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

ابن الساعى (تاج الدين ابي طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعى ت عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م):
٢٤ـ نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء .
تحقيق الدكتور مصطفى جواد. سلسلة ذخائر العرب العدد (٢٨) ـ دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م.

ابن سعد (محمد بن سعد ت عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):
٢٥ـ الطبقات الكبرى . ٨ اجزاء . دار صادر ـ بيروت (بدون تاريخ).

ابن سعيد (على بن موسى بن سعيد المغربى ت عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م):
٢٦ـ المغرب فى حلى المغرب. الجزء الأول القسم الخاص بمصر. تحقيق الدكتور زكى محمد حسن ـ الدكتورة سيدة كاشف ـ الدكتور شوقى ضيف. مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م.

ابن سعيد (علي بن سعيد المغربي عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٢٧- النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور حسين نصار. دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠م.

ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ت عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م):

٢٨- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية. مطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر ـ القاهرة (بدون تاريخ).

ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم ت عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م):

٢٩- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن انس وأصحابه رواية ابنه أبي عبد الله محمد (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م).
تصحيح وتعليق احمد عبيد. مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م):

٣٠- فتوح مصر وأخبارها . مكتبة المثنى ـ بغداد (بدون تاريخ).

ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبرى ت عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٣١- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية ١٩٥٨ م.

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ت عام ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

٣٢ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ٨ أجزاء. مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

ابن فرحون (القاضي برهان الدين بن فرحون المالكي ت عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م):

٣٣ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . ٢ جزء تحقيق الدكتور محمد الأحمدي ابو النور. دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة جـ١ ١٩٧٢م، جـ٢ ١٩٧٦م .

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى ت عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

٣٤ـ مسالك الابصار في ممالك الأمصار. تحقيق دوروتيا كرافولسكي. المركز الاسلامي للبحوث ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ت أو اخر القرن الثالث الهجري/ أوائل العاشر الميلادي):

٣٥ـ مختصر كتاب البلدان . طبعة ليدن ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

٣٦ـ عيون الأخبار . ٢ مجلد. المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣م.

ابن قيم الجوزية (شمس الدين ابى عبد الله محمد بن أبى بكرت عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م):
٣٧ـ أحكام أهل الذمة . ٢ جزء. تحقيق الدكتور صبحي الصالح .
دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير ت عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
٣٨ـ البداية والنهاية . ١٤ جزء ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، من الجزء الثالث إلى الجزء الثامن الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ابن مماتي (الأسعد بن مماتي ت عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):
٣٩ـ قوانين الدواوين. تحقيق عزيز سوريال عطية. سلسة صفحات من تاريخ مصر العدد (١٢) ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن النقاش (ابو امامة محمد بن علي بن النقاش ت عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م):
٤٠ـ المذمة فى استعمال اهل الذمة. تحقيق الدكتور سعد بن حسين عثمان. أبها ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى ت عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):
٤١ـ تاريخ ابن الوردى. الجزء الأول . الطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ابو عبيد (القاسم بن سلام ت عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م):

٤٢ـ الأموال. تحقيق محمد خليل هراس. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م.

أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء ت عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

٤٣ـ تقويم البلدان. دار الطباعة السلطانية ـ باريس ١٨٤٠م.

٤٤ـ المختصر في أخبار البشر . ٤ أجزاء. المطبعة الحسينية المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٠٧م.

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكي ت عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٤٥ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ١٢ جزء. وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣م.

أبو يوسف (القاضي يعقوب بن ابراهيم ت عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):

٤٦ـ الخراج. المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م والطبعة الثانية ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح ت عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م):

٤٧ـ المستطرف في كل فن مستظرف . ٢ جزء. تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

الإدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي ت عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٤٨- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق سعد محمد حسن، مراجعة الدكتور طه الحاجرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٦م.

الاصطخرى (ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف بالكرخى ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) :

٤٩- المسالك والممالك . تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال.
وزارة الثقافة والارشاد القومي - القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

الاصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشي ت عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

٥٠- الاغاني، ٣٠ جزء، تحقيق ابراهيم الأبيارى.
دار الشعب - القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

البلاذرى (أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى ت عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٥١- فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى ت فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى):

٥٢- سيرة أحمد بن طولون. تحقيق محمد كرد على. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة (بدون تاريخ).

التميمي (ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد ت عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

٥٣- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار . تحقيق مرزوق على ابراهيم - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

التنوخي (القاضي ابو المحاسن المفضل بن محمد ت عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م):

٥٤- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - المجلس العلمي رقم (١٥) - طباعة إدارة الثقافة والنشر بالجامعة - الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

جرومان (ادولف جرومان):

٥٥- اوراق البردى العربية . ٦ اسفار دار الكتب المصرية - القاهرة. السفر الأول ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٣٤م.

السفر الثالث ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٥٥م.

السفر الرابع ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٦٧م.

السفر الخامس ترجمة الأستاذ عبد الحميد حسن، مراجعة الدكتور محمد مهدى علام ١٩٦٨م.

السفر السادس ترجمة ومراجعة وتعليق الدكتور عبد العزيز الدالى ١٩٧٤م.

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):
٥٦ـ الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا ـ ابراهيم الأبيارى ـ عبد الحفيظ شلبى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

الحافظ ابن رجب (ت عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م):
٥٧ـ الاستخراج لأحكام الخراج. تحقيق جندى محمود شلاش الهيتى. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

الحميرى (محمد عبد المنعم الحميرى من أبناء القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى):
٥٨ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار . تحقيق الدكتور إحسان عباس. مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٧٥م.

الخزرجى (الحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله بن أبى الخير بن عبد العليم بن عبد الله بن على بن حسن الأنصارى صنف هذا الكتاب عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م):
٥٩ـ خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال . المطبعة الخيرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ/ ١٨٩٤م.

الذهبى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت عام ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م):
٦٠ـ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعيان. تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى. دار الكاتب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨م.
٦١ـ تذكرة الحفاظ. ٤ أجزاء. دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٦٢ـ العبر في خبرمن غبر ٢ جزء . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. التراث العربي ـ سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر العدد (٤) ـ الكويت ١٩٦٠م.
٦٣ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار . ٢ جزء. تحقيق بشار عواد معروف ـ شعيب الأرناوط ـ صالح مهدى عباس. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ت عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م):
٦٤ـ مختار الصحاح. دار القلم ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسى ت عام ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م):
٦٥ـ طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. سلسلة نخائر العرب العدد (٥٠) ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٣م.

ساويرس (ساويرس بن المقفع عاش حتى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ أواخر العاشر الميلادى):
٦٦ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة. المجلد الثانى (٣ أجزاء). مطبوعات جمعية الآثار القبطية ـ مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ـ القاهرة جـ١ ١٩٤٣م، جـ٢ ١٩٤٨م، جـ٣ ١٩٥٩م.

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):
٦٧ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . ١٢جزء. مكتبة القدسى القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر ت عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٦٨ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. ٢ جزء تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة الطبعة الأولى جـ١ ١٩٦٤م، جـ٢ ١٩٦٥م.

٦٩ـ تاريخ الخلفاء. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٧٠ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . ٢ جزء. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى جـ١ ١٩٦٧م، جـ٢ ١٩٦٨م.

الشابشتي (ابو الحسن علي بن محمد ت عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م):

٧١ـ الديارات. تحقيق كوركيس عواد. مطبعة المعارف ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

الشعراني (ابو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى الشافعى المصرى من أعيان علماء القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى):

٧٢ـ الطبقات الكبرى . ٢ جزء . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

الشيرازى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى ت عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م):
٧٣- القاموس المحيط . ٤ أجزاء .الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصرت عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م):
٧٤- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة. نشره الدكتور السيد الباز العرينى، واشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى ت عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م وقيل عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م):
٧٥- ادب الكتاب. تعليق محمد بهجه الأثرى ومراجعة محمود شكرى الآلوسى. دار الباز للطباعة والنشر - بغداد ١٣٤١هـ/ ١٨٩٦م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ت عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
٧٦- تاريخ الرسل والملوك. ١٠ أجزاء. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. سلسلة ذخائر العرب العدد (٣٠) - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).

عبد اللطيف البغدادى (ابن يوسف بن محمد بن على موفق الدين ت عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م):
٧٧- الافادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. تحقيق احمد غسان سبانو.
دار قتيبة - دمشق - الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الفيومي (أحمد بن محمد بن علي ت عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م):
٧٨- المصباح المنير. مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني):
٧٩- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. عالم الكتب - بيروت (بدون تاريخ).

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
٨٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . ١٤ جزء. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٨١ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتب الحديثة - القاهرة -الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٨٢ - مآثر الانافة في عالم الخلافة. ٣ أجزاء. تحقيق عبد الستار أحمد فراج . عالم الكتب - بيروت (بدون تاريخ).
٨٣ - نهاية الأرب في معرفة انساب العرب. تحقيق ابراهيم الابياري .
الشركة العربية للطباعة والنشر - تراثنا العربي (١) - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م):
٨٤ - الولاة وكتاب القضاة. دار الكتاب الإسلامي - القاهرة (بدون تاريخ) عن طبعة دار الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م.

الكندى
(عمر بن محمد بن يوسف الكندى المصرى ت بعد عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م):
٨٥ ـ فضائل مصر . تحقيق ابراهيم أحمد العدوى ـ على محمد عمر .
دار الفكر ـ بيروت، ومكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

الماوردى
(أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ت عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):
٨٦ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان (بدون تاريخ).

المبرد
(محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى البصرى أبو العباس المبرد ت عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م وقيل عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م):
٨٧ ـ الكامل فى اللغة والأدب. ٢جزء. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥ـ ١٩٤٦م.

محمد بن طلحة
(أبو سالم ت عام ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م):
٨٨ ـ العقد الفريد للملك السعيد. المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م.

المسعودى
(أبو الحسن على بن الحسين بن على ت عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):
٨٩ ـ التنبيه والاشراف. مراجعة عبد الله اسماعيل الصاوى. مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها ـ القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٩٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر. ٤ أجزاء . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

المفضل بن سلمة (أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ت عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م):

٩١- الملاهى وأسمائها من قبل الموسيقى. تحقيق غطاس عبد الملك خشبة. الهيئةالمصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٥م.

المقدسى (محمد بن أحمد المقدسى ت عام ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩ م) :

٩٢ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازى طليمات.المختار من التراث العربى رقم (١٣) - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق ١٩٨٠ م.

المقريزى (تقى الدين أبو العباس احمد بن على ت عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

٩٣- إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات فى مصر . دار ابن الوليد - حمص (بدون تاريخ).

٩٤- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين. عالم الكتب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦١م.

٩٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية . دارصادر - بيروت (بدون تاريخ).

(كاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى):
٩٦ ـ الاستبصار فى عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد. دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية) ـ بغداد ١٩٨٦م.

(أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحق المعروف بالوراق ت عام ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م):
٩٧ ـ الفهرست. تحقيق رضا ـ تجدد ابن على بن زين العابدين.
طهران ١٩٧١م.

(محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبى ت عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨)م :
٩٨ـ مباهج الفكر ومناهج العبر، صفحات من جغرافية مصر. تحقيق الدكتور عبد العال عبد المنعم الشامى ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ قسم التراث العربى ـ السلسلة التراثية ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
٩٩ـ معجم الأدباء.٢٠ جزء دار الفكر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٠٠ـ معجم البلدان . ٥ أجزاء. دار صادر. بيروت (بدون تاريخ).

يحيى بن آدم (القرشي ت عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م):

١٠١ـ الخراج. صححه وشرحه ووضع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، والطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

اليعقوبي (احمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ت عام ٢٨٤هـ-٨٩٧م):

١٠٢ ـ البلدان. طبعة ليدن ١٨٩١م.

اليماني (عبد الباقي بن عبد المجيد ت عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م):

١٠٣ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين.

تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ثانيا: المراجع:

ابو صالح الألفى (الدكتور):
١ـ الفن الاسلامى. أصوله ـ فلسفته ـ مدارسه.
دار المعارف ـ القاهرة (بدون تاريخ).

احمد امين ٢ـ ظهر الاسلام. ٤ أجزاء . مكتبة النهضة المصريةالقاهرة (بدون تاريخ)جـ١،٢،٤ الطبعة السادسة، جـ٢ الطبعة الخامسة.
٣ـ فجر الاسلام . مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة عشر ١٩٨٧م.

احمد تيمور باشا ٤ـ التصوير عند العرب . أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكى محمد حسن .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٢م.

احمد جاب الله شلبى ٥ـ الحضارة الاسلامية خلال الأربعة عشر قرنا الماضية:
التعليم والتربية عند المسلمين.
دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن ١٥م ـ المجلد الأول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٥م.

احمد الشرباصى ٦ـ الائمة الاربعة. سلسلة كتاب الهلال العدد (١٦٢) ـ دار الهلال ـ القاهرة سبتمبر ١٩٦٤م.

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور):
٧- وسائل التسلية عند المسلمين.
دروسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن ١٥م - المجلد الأول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٥م.

احمد عبد السلام ناصف (الدكتور):
٨- الشرطة في مصر الإسلامية.
الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

احمدصادق سعد ٩ - تاريخ مصر الإجتماعي - الإقتصادي.
دار ابن خلدون - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

آدم متز ١٠- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ٢ جزء.
ترجمة الأستاذ الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

اسماعيل باشا البغدادي ١١ - هدية العارفين - اسماء المؤلفين وآثار المصنفين .
٦ اجزاء. .
مكتبة المثنى - بغداد عن طبعة استانبول ١٩٥١م.

امينة احمد إمام الشوربجي (الدكتورة) :
١٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م).
رسالة دكتوراة غير منشورة.
كلية البنات - جامعة عين شمس ١٩٩٢م.

الأب انستاس الكرملى
١٣ ـ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات.
مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

أيدرس بل
(هـ . أيدرس بل) :
١٤ ـ مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.
ترجمة الدكتور عبداللطيف أحمد على ـ والدكتور محمد عواد حسين.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٤م.

بتلر
(الدكتور الفريد . ج . بتلر) :
١٥ ـ فتح العرب لمصر . ٢ جزء.
ترجمة محمد فريد ابوحديد.
سلسلة تاريخ المصريين العددين ٢٧ و٢٨ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

تريتون
(الدكتور 1. س. تريتون) :
١٦ ـ أهل الذمة فى الإسلام.
ترجمة الدكتور حسن حبشى.
دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

توفيق سلطان اليوزبكى
(الدكتور):
١٧ـ التعريب فى العصرين الأموى والعباسى ـ المجلة المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد الرابع والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٧م .

جاستون فييت ١٨ ـ المواصلات في مصر في العصور الوسطى.
ترجمة محمد وهبي.
بحث في كتاب (في مصر الإسلامية) مقالات متنوعة لطائفة من الأساتذة ـ مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ١٩٣٧م.

جرجي زيدان ١٩ ـ تاريخ التمدن الإسلامي . ٥ أجزاء.
مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس.
دار الهلال ـ القاهرة ١٩٦٨م.

جون مارلو ٢٠ ـ تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢م.
ترجمة الدكتور عبدالعظيم رمضان.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٦م.

(الدكتور):

حسن إبراهيم حسن ٢١ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
٤ أجزاء.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٣م.

٢٢ ـ المجمل في التاريخ المصري (حسن إبراهيم حسن وأخرون).
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

٢٣ـ النظم الاسلامية (حسن ابراهيم حسن ـ محمد عبد الرحيم مصطفى ـ علي إبراهيم حسن).
دار السعد ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٠م.

حسن محمود (الدكتور) :
٢٤ ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي (د. حسن محمود ـ د. أحمد إبراهيم الشريف).
دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة (بدون تاريخ).

حسن محمود الشافعي ٢٥ ـ العملة وتاريخها .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

حسيني (س. أ. ق حسيني) :
٢٦ ـ الإدارة العربية .
ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد العدوي، ومراجعة عبدالعزيز عبدالحق.
سلسلة الألف كتاب العدد (١٨٦) ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة (بدون تاريخ).

خير الدين الزركلي ٢٧ ـ الأعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
الجزء الخامس.
مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ـ الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

درويش النخيلي (الدكتور):
٢٨ ـ السفن الاسلامية على حروف المعجم.
دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

رافت عبد الحميد (الدكتور):

٢٩ـ الدولة والكنيسة، الجزء الأول (قسطنطين) مطبعة أطلس - القاهرة ١٩٧٥م.

٣٠ ـ الدولة والكنيسة، الجزء الثانى (أثناسيوس) مطبعة سعيد رافت - جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٨٠م.

٣١ ـ ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى.
كتاب روزاليوسف ـ العدد الحادى عشر ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م.

زكى محمد حسن (الدكتور) :

٣٢ ـ بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية.
مجلة جمعية محبى الفن القبطى - المجلد الثالث ١٩٣٧م - مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة.

٣٣ ـ الفن الإسلامى فى مصر .
مطبوعات دار الآثار العربية ـ القاهرة ١٩٣٥م.

٣٤ ـ فنون الإسلام .
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

٣٥ ـ فى الفنون الإسلامية .
مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ١٩٣٨م.

٣٦ ـ كنوز الفاطميين .
دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م.

ستانلى لينبول ٣٧ ـ سيرة القاهرة .
ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور على إبراهيم حسن، وإدوار حليم.
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٢٤م.

سعاد ماهر محمد (الدكتورة) :
٣٨ ـ البحرية فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية .
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ وزارة الثقافة ـ القاهرة ١٩٦٧م.
٣٩ ـ تطور العمائر الإسلامية الدينية بتطور وظائفها .
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثامن عشر ـ القاهرة ١٩٧١م.
٤٠ ـ الفنون الاسلامية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٦م .

٤١ ـ النسيج الإسلامى .
الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ـ مطابع دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٧م.

سعيد اسماعيل على (الدكتور) :
٤٢ ـ تاريخ التربية والتعليم فى مصر .
عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٥م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :
٤٣ ـ العلم بين المسجد والمدرسة .
بحث فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية.
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥١) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٢م.

٤٤ ـ الفلاح والإقطاع فى عصر الأيوبيين والمماليك .
بحث فى كتاب الارض والفلاح فى مصر على مر العصور.
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

سليم حسن (الدكتور) :
٤٥ ـ مصر القديمة، ٢ جزء.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٢م.

سليمان نسيم (الدكتور) :
٤٦ ـ الأقباط والتعليم في مصر الحديثة .
تقديم ومراجعة الأنبا غريغوريوس، والدكتور عزيز سوريال عطية.
منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي (بدون تاريخ).

سهام مصطفى ابو زيد (الدكتورة) :
٤٧ ـ الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٦م.

السيد الباز العريني (الدكتور) :
٤٨ ـ الحسبة والمحتسبون في مصر .
المجلة التاريخية ـ المجلد الثالث ـ العدد الثاني ـ اكتوبر ١٩٥٠م.
٤٩ ـ مصر البيزنطية .
دار النهضة المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

السيد طه السيد ابو سديرة (الدكتور) :
٥٠ ـ الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي.
(٢٠ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤١ ـ ١١٧١م).
سلسلة الألف كتاب الثاني العدد (٩٥) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩١م.

السيد محمود عبد العزيز سالم (الدكتور):

٥١ـ المآذن المصرية. نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني.
مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) :

٥٢ ـ أحمد بن طولون .
أعلام العرب العدد (٤٨) ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٥٣ ـ الأرض والفلاح في مصر الإسلامية .
بحث في كتاب (الأرض والفلاح في مصر على مر العصور) ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

٥٤ ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومي.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلدان التاسع والعاشر ـ القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م.

٥٥ ـ تعريب مجتمع الاسكندرية .
بحث في كتاب (مجتمع الاسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٥م.

٥٦ ـ دراسات في المجتمع المصري الإسلامي قبل العصر الفاطمي، مستخرج من (دراسات اثارية إسلامية) ـ المجلد الثاني ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٥٧ ـ دراسات في النقود الإسلامية .
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثاني عشر ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م.

٥٨ ـ عبدالعزيز بن مروان .
اعلام العرب العدد (٧٠) ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة اكتوبر ١٩٦٧م.

٥٩ ـ العرب والبحار .
حولية كلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ العدد الرابع ـ يولية ١٩٦٤م.

٦٠ ـ مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه .
مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٠م.

٦١ ـ مصر الإسلامية واهل الذمة .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٣م.

٦٢ ـ مصر في عصر الاخشيديين .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٢٩) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

٦٣ ـ مصر فى عصر الولاة .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (١٤) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٨م.
٦٤ ـ مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية.
دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

عبد الحفيظ محمد على
٦٥ ـ الحركة الديرية فى مصر وأثرها على بلدان البحر المتوسط فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين.
بحث فى كتاب (مصر وعالم البحر المتوسط) إعداد وتقديم الدكتور رؤوف عباس ـ دار الفكر للدراسات والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦م.

عبد الخالق سيد أبو رابية
٦٦ ـ عمرو بن العاص .
الزهراء للإعلام العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

عبد الرحمن زكى
(الدكتور) :
٦٧ ـ الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع.
المكتبة الثقافية العدد (١٥٨) ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مكتبة مصر ـ القاهرة أول يونية ١٩٦٦م.

عبد الله خورشيد
(الدكتور) :
٦٨ ـ القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة.
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

عـبـد المجـيـد عابدين (الدكتور) :

٦٩ ـ لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده.
مطبعة الشبكشي بالأزهر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

عبدالمنعم سلطان (الدكتور) :

٧٠ ـ تاريخ الشرطة في مصر الإسلامية في عصر الولاة، من الفتح حتى قيام الدولة الطولونية ٢٥٤هـ / ٨٦٨م.
القاهرة ١٩٨٥م (بدون مكان للطبع).

٧١ ـ المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية.
دار المعارف ـ القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

عبدالمنعم ماجد (الدكتور) :

٧٢ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م والطبعة الخامسة ١٩٨٦م.

عطية القوصي (الدكتور) :

٧٣ ـ أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثاني والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٧٤ ـ تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية.

دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٦م.

٧٥ ـ من أخبار المدن الإسلامية المندثرة «تنيس».

قبلت للنشر في العدد الأول من (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) مجلة كلية الآداب والتربية ـ جامعة الكويت.

عطية مصطفى مشرفة (الدكتور):

٧٦ ـ القضاء في الإسلام بوجه عام وفي العهد الإسلامي في مصر بوجه خاص إلى سنة ٣٥٨هـ.

مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

علي إبراهيم حسن (الدكتور):

٧٧ ـ مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني.

مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ يناير ١٩٥٤م.

علي حسني الخربوطلي (الدكتور):

٧٨ ـ البحر المتوسط بحيرة عربية.

سلسلة إقرأ العدد (٢٤٧) ـ القاهرة (بدون تاريخ).

•

٧٩ ـ الحضارة العربية الإسلامية.

مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

عمر رضا كحالة

٨٠ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ٥ أجزاء.

المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

فاطمة مصطفى عامر (الدكتورة) :

٨١ ـ استضافة الجيوش الإسلامية أثناء الفتوحات الإسلامية.
دار العلوم للطباعة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

كوبلاند (ج . و. كوبلاند) :

٨٢ ـ الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا.
ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٥م.

لجنة التاريخ القبطي

٨٣ ـ خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر .
مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٢٥م.

محمد رمزى

٨٤ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م. قسمين وفهرس.
دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
القسم الأول خاص بالبلاد المندرسة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤م.
القسم الثاني أربعة أجزاء (جـ ١ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م، جـ ٢ ١٩٥٨م، جـ ٣ ١٩٦٠م، جـ ٤ ١٩٦٣م).

محمد ضياء الدين الريس (الدكتور) :

٨٥ ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦١م.

محمد عبد الرحمن البكر (الدكتور):

٨٦ ـ السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي.
الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور):

٨٧ ـ الفن المصري الإسلامي.
سلسلة إقرا العدد (١١٤) ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٢م.

محمد عبد الله عنان

٨٨ ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية.
دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

٨٩ ـ مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

محمد عبد المنعم خفاجي

٩٠ ـ شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية (٢٠ ـ ٣٥٨هـ).
(محمد عبدالمنعم خفاجي ـ محمد مصطفى الماحي).
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٩١ ـ مواكب الحرية في مصر الإسلامية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧م.

محمد عزة دروزة ٩٢ ـ عروبة مصر فى ظل العروبة الصريحة والإسلام.
الجزء الثانى.
سلسلة كتب قومية العدد (٨٩) ـ مطابع الدار القومية ـ القاهرة ١٧ يناير ١٩٦١م.

محمد قنديل البقلى ٩٣ ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى.
مراجعة الدكتور عبدالرحمن زكى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٣م.

محمد كامل حسين (الدكتور) :
٩٤ ـ الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى اخر الدولة الفاطمية.
سلسلة الألف كتاب العدد (٢٤٤) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩م.

محمد كامل مرسى بك (الدكتور) :
٩٥ ـ الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن.
مطبعة نورى ـ القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

محمد محمد فياض ٩٦ ـ التقاويم .
سلسلة الألف كتاب العدد (١٦٣) ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٨م.

محمود بن محمد بن عرنوس ٩٧ ـ تاريخ القضاء فى الإسلام .
المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ـ القاهرة ١٩٣٤م.

مصطفى جواد ٩٨ ـ سيدات البلاط العباسى.
دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ١٩٥٠م.

مصطفى طه بدر (الدكتور) :
٩٩ ـ مصر الإسلامية . الجزء الأول (من الفتح الإسلامي حتى زوال الدولة الاخشيدية).
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٤م.

مصطفى العبادي (الدكتور) :
١٠٠ ـ الأرض والفلاح في مصر الرومانية.
بحث في كتاب (الأرض والفلاح على مر العصور) ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

١٠١ ـ مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٨٥م.

مصطفى عبد الله شيحة (الدكتور) :
١٠٢ ـ الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي (٢٠ ـ ٦٤٨هـ / ٦٤١ ـ ١٢٥٠م).
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

المعجم الوجيز ١٠٣ ـ طبعة وزارة التربية والتعليم ـ القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

مليحة رحمة الله (الدكتورة) :
١٠٤ ـ الملابس في العراق خلال العصور العباسية.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثالث عشر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

المنجد في اللغة والاعلام
١٠٥ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م.

المورد
١٠٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٧م.

الموسوعة المصرية
١٠٧ ـ الموسوعة المصرية تاريخ مصر القديمة وآثارها.
المجلد الأول، الجزء الثالث تاريخ وآثار مصر الإسلامية.
مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات (بدون تاريخ).

القس منسى يوحنا
١٠٨ ـ تاريخ الكنيسة القبطية.
مكتبة المحبة ـ القاهرة ١٩٨٣م.

نقولا يوسف
١٠٩ تاريخ دمياط منذ أقدم العصور.
مطبعة التحرير ـ القاهرة ١٩٥٩م.

نيكولسون
(رينولد .أ. نيكولسون) :
١١٠ ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه.
ترجمة أبوالعلا عفيفي.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

يونان لبيب رزق
(الدكتور) :
١١١ ـ أوروبا في عصر الراسمالية . (د. يونان لبيب رزق ـ د. رؤوف عباس ـ د. عبدالعظيم رمضان).
دار الثقافة العربية ـ القاهرة ١٩٨٣م.

الكشافات

١ ـ كشاف الاعلام
٢ ـ كشاف البلاد والاماكن
٣ ـ كشاف المصطلحات والمعانى

• قام بعمل الكشافات هويدا عبدالعظيم رمضان.

١ ـ كشاف الأعلام

٢ ـ كشاف البلاد والأماكن

- ن -

- و -

٣ ـ كشاف المصطلحات والمعانى

المحتويات

الباب الخامس :

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٦٤٧/١٩٩٤

I.S.B.N 977-01-3999-8